الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-

كلية: أصول الدين

قسم: الكتاب والسنة

تخصص: تفسير وعلوم القرآن

رقم التسلسلي:......................

الرقم التسجيل:......................

الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د، تخصص تفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

حمزة بن علال

إشراف الدكتور:

عبد الرحمان معاشي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د. الجمعي شبايكي	رئيسا	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر
د.عبد الرحمان معاشي	مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر
د. رضوان لخشين	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر
د. زكرياء توناني	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر
د. عيسى بوعكاز	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة
د. مهدي دهيم	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر(1)

السنة الجامعية : 1437-1438 هـ/ 2016-2017 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بســم الله الرحمان الرحيــم

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾

سورة الزمر: الآية 09

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهــداء

أهدي هذا العمل إلى ....

أمي الغالية ....نبع الحنان وأعظم هبة من الله

والدي .... .مثلي الأعلى ورمز فخري واعتزازي

زوجتي ....قرة عيني ومأمن سري وحياتي

أبنائي إخوتي وأخواتي .... أصدقائي كل باسمه ومقامه

إلى كل من ساعدني لإتمام هذا العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى على أن وفّقني لإنجاز هذا العمل، فله الحمد والمنة، ثمّ أشكر الذين قدّموا لي يدَ المساعدة خلال هذه الفترة، وفي مقدّمتهم أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمان معاشي الذي لم يدَّخر جهداً في مساعدتي، فله من الله الأجر ومني كلّ التقدير، أسأل الله أن يمتّعه بالصحة والعافية وأن ينفّع بعلومه.

كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى السادة أعضاء اللجنة المناقشة كل باسمه ومقامه على تفضّلهم بقبول مناقشة هذا البحث فأكملوا بيانه وعظموا شأنه فلهم مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

كما لا أنسى أن أشكر سماحة الدكتور/ رابح دوب الذي بدأ معي الخطوات الأولى في إعداد مقترح هذه الدراسة، ولم تشأ الأقدار أن نكمل سويا فجزاه الله عنّا خير الجزاء وأطال الله في عمره.

وفي الأخير أشكر كل من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنَّ مِنْ أجلّ الأعْمَالِ عِندَ اللهِ فضلاً وأوفرِهَا أجراً خدمةَ كتَابِه الكَريم، وأحسنَ ما يدّخرهُ المرءُ ليومٍ يتبيَّنُ فيه الخاسرُ من الرّابح، وقدْ جَاءَ في فضلِ القرآنِ وأهلِه أحَاديثُ كثيرةٌ، ولوْ لم يكنْ في ذلكَ إلاَّ ما جَاءَ في الصَّحِيحِ عنْ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ أنّه قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ صَلىّ اللهُ عليْه وَسلّمَ: **((خيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمَهُ))**[1] لكان كافياً.

فَحمَلةُ القرآنِ القائمُونَ بحقوقِه نطقاً وعلماً وعملاً أهلُ اللهِ وخاصتُه، ولهذا تسابقَ علماءُ الإسْلامِ لإعطائِه الأولويَّة التي يستَحقُّهَا؛ فَحفِظُوه في الصُّدورِ والسُّطورِ، وفسّرُوا آياتِه، وعلّمُوه للنّاسِ حِفظًا وتجويدًا، وَكشفُوا وُجوهَ إعجازِه، وأسْرارَ بلاغتِه، فكانَ ذلك تصديقاً لقولِه تَعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾[2]

ولما كانَ هذا الذِّكرُ محفُوظاً إلى يومِ الدِّينِ، خُصّتْ به الشَّريعةُ الإسلاميَّة ليبقَى المعجزَةَ الباقيةَ، فهُو مُعجزةُ الإسلامِ، لا تَنقضي عجائبُه ولا يتوقّفُ الكشْفُ عن وجوهِ الإعجازِ فيه، فقَدْ تقرَّر ذلك في الأذهَانِ على مدَى الأزْمَانِ، فخَدمَهُ كثيرٌ من الدَّارِسين قديماً وحديثاً، وأدْلوا بدَلوهِم في إظهارِ هذا الإعْجازِ، فألَّفُوا مُصنّفاتٍ[3] قيّمةً تغوصُ في أعمَاقِ المعاني وأنساقِ الآياتِ وتَرابطِ السُّورِ، ودَلالاتِ الكلمَةِ، وإيحاءاتِ الجُملِ، وإيماءاتِ الحُروف إعْجازَ بلاغةٍ وبيَانٍ، وفصَاحةَ لِسانٍ ونظمٍ وأحكامٍ.

وقَدْ ظَهرَ إعجازُ القرْآنِ الكريمِ في ضُروبٍ كثيرةٍ منهَا: الإعْجازُ البياني، والإعْجازُ التَّشريعِي، وَالإعْجازُ الغيبي، والإعْجازُ العلمِي، إلاَّ أنّ الإعْجازَ البيَاني هُو أظهرُها، فبلاغةُ القرآنِ وأسَاليبُ بيانِه وَاضِحةٌ، لذلكَ أعْجزَ الجنَّ والإنسَ بمن فيهِم الفُصحاءُ والبُلغاءُ وأهلُ اللِّسانِ، وتحدّاهُم علَى أنْ يأتُوا بمثلِه، ولوْ كانَ بَعضُهم لبعضٍ ظهيراً، قالَ تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ ﴾[4]

---

[1]- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البوغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ /1987م، الجزء الرابع، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلّمه، ص: 1919، رقم: 4739.

[2]- سورة الحجر: الآية 9.

[3]- من بين هذه المصنّفات: إعجاز القرآن للرافعي، إعجاز القرآن للباقلاني، دلائل الإعجاز للجرجاني، معترك الأقران للسيوطي، المعجزة الكبرى لمحمد أبي زهرة .

[4]- سورة الإسراء: الآية 88.

وَهذَا النَوعُ من الإِعْجازِ قدْ تناولتْهُ الدِّراساتُ بكثرةٍ، حيثُ تناولتْ القُرآنَ من حيثُ نظمُه وأداؤُه التَّعبيريُ. وأودُّ في هذا البَحْثِ أن أَلفتَ الأَنْظارَ إلى جانبٍ قد نَدَرتْ الأقلامُ فيه، وهُو جَانبُ الإِعْجازِ البيَانيِّ في سَاحةِ القِراءاتِ القُرآنيةِ المتواتِرة، لاسِيما وأنَّ عُلماءَنا يُقرُّونَ بِسلامتِها، وصِحّة سنَدِها إلى النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسَلّمَ-، إضافةً إلى كونها تُعدُّ قرآناً أيضاً.

الإشكاليةُ:

إذا كَانَ عُلماءُ البَيانِ قدِ اجْتهدُوا في اسْتخْراجِ جَوانبِ الإعْجازِ البيانِي التي تَلْتقي عليهَا القِراءاتُ القرآنية، فإنّ مجَالَ الكِتابَةِ في القِراءاتِ المتواترة هُو لوْنٌ جديدٌ من أَلْوانِ إعْجازِ هَذا الكِتابِ، لأنَّه إذا كانَ مُعجزًا في بيانِه عنْدما تَلتقي القِراءات، فإنّهُ لاشَكّ أنّ هذَا الإعْجازَ يمتدُّ أيضاً عند اختلاَفِ القِراءاتِ، لأنَّ حِكْمةَ الله اقتضتْ أن يكُونَ معَ هذا الاخْتلافِ فِي الأداءِ والقِراءةِ ضُروبٌ جديدةٌ من الجمَالِ والبلاَغةِ يمتلكها كُلّ وجهٍ من وُجوهِ هَذهِ القِراءة، فيمتدُّ الإعْجازُ ويتعاظمُ شأنُه.

انْطلاقاً ممَّا سبقَ، يَأتِي هذَا البحثُ ليُبيِّنَ هَذِه الضُروبَ الجَديدَةَ التي تمتَلكُها كُلّ قِراءة، ويُبيّنُ أيضًا كيفَ يمتدُّ هذا الإعْجازُ في ضَوءِ القِراءاتِ القرآنيَّة المتواترةِ، وعَليه تتمَحورُ إشكاليةُ البحثِ في الآتي:

هلْ يتحقَّقُ الإعجازُ البياني في ضَوءِ اختلافِ القراءاتِ القرآنيَّة؟ وإنْ تحقَّق فمَا هيَ مظاهرُه التي يُمكنُ اكتشافهَا منْ خلالِ هذَا الاختلافِ؟ ومَا هو أثرُ ذلكَ في توجِيهِ المعَاني؟ وهلْ كانَ للقرآنِ المكيِّ والمدنيِّ أثرٌ في بناءِ مظاهرِ الإعجازِ البياني وَالبلاَغِي منَ القراءاتِ القُرآنيَّة؟ هلْ يُصاحِبُ هذا الاختلاَف خصائصَ بيانية يمكنُ أن نُضيفهَا لخصَائص القرآنِ الكريمِ بشقَّيهِ المكيِّ والمدنيِّ؟

هلْ يحملُ الاختلافُ الواردُ في القِراءاتِ القُرآنيَّة مَعانيَ ودلالاتٍ جديدة ذاتَ شأْنٍ يُمْكن أن نُضيفَها إلى مقاصدِ القرآنِ الكريمِ؟ هل يُصاحِبُ هذا التغيير تنوُّعا في المقاصِد؟ هلْ تختلفُ المقاصدُ باختلافِ القراءات؟

أهميةُ الموضوعِ :

مَكمنُ الأهميَّة في الموضُوعِ يَظهرُ فيمَا يلي:

- كَونهُ يتعلَّقُ بالقرآنِ الكريمِ .
- الوُقوفُ على أسرارِ كتابِ الله -عزّ وجلّ- .
- الإفادةُ من جوانبِ إعجازِه في الدَّعوة إلى الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- العكُوفُ على القراءاتِ القرآنيَّة لاسْتجْلاءِ مناحي الإعجازِ فيها من جرّاءِ اختلافِ حُروفِها، فالقِراءاتُ القرآنيَّة علَى تنوّع طُرق أدائِها تزدَادُ حُسناً وجمالاً، فلاَ تنقضِي عجَائبُها.
- يُعزّزُ بُحُوثَ الإعجازِ القرآنِي، وينهَضُ في إرساءِ دعَائِمِ لَونٍ طريفٍ من هذِه المباحِثِ التي وَردتْ مادتُها منثُورَةً في بُطونِ كُتبِ التَّفسيرِ والبلاغةِ والتوجيهِ واللُّغةِ.
- يُبرزُ ما يتَّصل بأغْوارِ اللُّغة والبَلاغةِ أكْثرَ ممّا يتَّصِلُ باختلافِ اللَّهجَات العربيَّة.
- يُبرزُ الخصَائصَ البيَانيَّةَ التي تمتازُ بهَا السُّوَرُ المكيَّةُ والسُّوَرُ المدنيَّةُ.
- يُبرزُ المعَاني والدَّلالاتِ والمقاصدَ التي تحمِلهَا اللَّفظةُ القرآنيَّة من جرّاءِ اختلافِها.

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ :

وَلقَدْ دَفعني إلى اختيَارِ هَذا الموضوعِ عِدّةُ أسْبابٍ من أهمّهَا:

- صِلتي بالقرآنِ الكَريم وعُلومه، فاشتغَالي بالقرآنِ الكريم حِفظاً وتجويداً، قِراءةً وإقْراءً، جَعلني أَميلُ إلى هذَا الموْضُوع.
- رغْبتي في مُواصَلةِ البحْث في عِلمِ القِراءاتِ مِن خِلال كَشفِ هَذا الإعْجَازِ البيَاني الوَاردِ فيهاَ من خلالِ مَا اختَلفَ فيهِ القُرَّاء.
- الرَّغبةُ في تذوُّقِ سَعة القِراءات القرآنيَّة وخَصائصِها البيَانيَّة المتعدِّدَة .
- العمَلُ عَلى إدْراكِ فُروقِ التَّعبير القُرآني مِن خلاَل اختلاَفِ القِراءاتِ .
- دَعْمُ المكتبةِ الإسلاميَّة بهذَا العمَل.

أَهْدافُ الموضوعِ:

تَسْعَى الدِّراسةُ لتحقيقِ الأهْدافِ الآتيَة:

- مَعْرفةُ مظَاهرِ الإعجازِ البيَاني في القُرآنِ الكَريم معَ إدْراكِ أهميّته كَوجْهٍ من وُجُوه الإعجازِ .
- إبْرازُ الخصَائصِ البيانيَّة الخاصَّةِ بالسُّورِ المكيَّة والسُّورِ المدنيَّة.
- اسْتجلاءُ المقاصِدِ القُرآنيَّة وإبرازُها لتكُونَ وَسيلةً للتدبُّرِ وَالتفكُّر.
- التأْكيدُ عَلى أَنّ الاختلاَفَ الواردَ في القِراءاتِ لهُ دلالتُهُ ومعنَاهُ ومقاصِدهُ وبلاغتهُ.
- إثراءُ بُحوث الإعجازِ القُرآني بهذَا اللَّونِ من المباحِثِ الإعجازية، وتَوسِيعُ دائِرةِ البحثِ في الدِّراساتِ القُرآنيَّة والبُحُوثِ الأكَاديميّةِ المتعلِّقَةِ بالإعجازِ القُرْآني.

الدِّراساتُ السّابقة :

بعْدَ البَحثِ والتَّحرِّي والاسْتفسَارِ هُديتُ إلى أنّ هَذَا الموضُوعَ لمْ تَتطَرّق إليهِ أقلامُ الباحثينَ، لأنّهُ يتعلَّقُ بجانِبِ اخْتلافِ القِراءاتِ القُرآنيَّة واسْتجلاَءِ جَوانبِ الإعجَاز فيهَا، بيْد أنَّ جُلّ الجُهودِ في هذَا المضمَارِ – أقصِدُ الإعجازَ البيَاني –كانَتْ تدُورُ حولَ ما تَلتقِي عليْه القِراءاتُ القرآنيَّة وَهيَ كَثيرةٌ، إلا أنّهَا تهتَمُّ بالبَحْثِ في بَيانِ القُرآنِ وبلاغتِه وإعجازِه، ولاَ تُشيرُ إلى جَوانبِ الإعجازِ في القِراءاتِ القرآنيَّة المختلَف فِيها، وإنّما تَعرِضُ الإعجازَ البيَاني من خلالِ ما أجْمعَ عليهِ أئِمّة القِراءةِ .

وَمعَ ذلكَ فقَد وَجدْتُ دِراسةً لهَا علاقةٌ بموضُوعِ البَحثِ وأَظنُّها الوَحيدةَ- حسَب عِلمي– مَوسومةً بـ : "الإعْجازُ البيَاني في ضوءِ القراءاتِ القرآنيَّة المتواترة " لصَاحبِها أحمد بن محُمَّد الخرّاط، وهي دِراسَةٌ بيانيةٌ تشتمِلُ علَى إحْدى وثمانينَ (81) آية من الذِّكرِ الحَكيم، ورَد فيهَا بعضُ القراءاتِ العشرِ المتوَاترةِ، وَحوتْ هذِه الآياتُ على خمسةٍ وسبعينَ (75) كلمةً قُرآنيَّةً أبرزَ فيهَا جَوانبَ من أسرارِ الإعجازِ البيَاني في ضَوءِ القِراءاتِ القُرآنيَّة.

وَهذِهِ الدِّراسةُ عِبارَةٌ عنْ كِتابٍ مِن مطبُوعَات مجْمع مَلك فهْد لطِباعةِ المصحَف الشَّريفِ بالمملكَةِ العربيَّةِ السَّعودية، عددُ صفحاتِهِ 381 صفْحةً.

وممَّا يُنتقَدُ علَى الكَاتبِ في دِراستِه أنّهُ لمْ يتطرَّق إلىَ جميعِ الكَلمَاتِ القُرآنيَّة المَوْجُودةِ في القِراءاتِ القُرآنيَّة، بل اعتمدَ علَى خمسةٍ وسبعينَ (75)كلمةً قرآنيةً فقَط، في حين أنَّ حُروفَ الفَرشِ في القراءاتِ العشْر المتواتِرة تَزيدُ علَى أكثَرِ مِن ذلكَ.

كمَا يُوجدُ بعضُ الدِّراساتِ التي تتقَاطعُ معَ العُنوانِ أو هِي قريبَةٌ منَ الموضُوع، من بينهَا:

- الإعجَازُ البيَاني للقُرآنِ ومسَائل ابنُ الأزرق، درَاسةٌ قُرآنيةٌ لغَويةٌ وبيَانيةٌ، لعَائشة عبْد الرحمَان بنت الشَاطِئ.
- الوجُوهُ البلاَغية في توجيهِ القِراءاتِ القُرآنيَّة المتوَاترة لمحمَّد أحمَد عبدُ العَزيز الجمَل، وهيَ عبارةٌ عن رسَالة دكتُوراه، نُوقشَت سنة 2005م بكليَّة الشريعَة والدِّراسَات الإسِلامية، قِسم أصُول الدِّين، جامعَة اليرمُوك، الأردُن.
- الوِجهَةُ البلاغيةُ للقراءاتِ القُرآنيةِ في كتَابِ الحجَّة لأبي عَلي الفَارسي، للباحِث محمَّد تَوفيق إبراهِيم الغفَاري، وهيَ عبَارةٌ عن رسَالة مَاجستير في البَلاغَة العَربية بكليَة الآدَاب، قسمُ اللغة العَربية، غَزة، فِلسطِين.

وقَد اطَّلعتُ عليهَا كلُّها ووجَدتُهَا بعيدَة نوعًا ما عنْ دراسَتي مَا عدَا دراسَة أحمَد عبد العزيز الجَمل التي تتقاطَع في بعضِ المباحثِ معَ دراسَتي، وفِي الجُملةِ تُعتبرُ دراسَةُ أحمَد بن مُحمَّد الخرّاط هِي الدِّراسةُ الوحيدَة التي لهَا علاقةٌ مُباشِرة بموضُوعِ البحث، وَكيْ لاَ يكُونَ هذَا الموضوعُ مَوضوعًا مُستهلكاً، ارتأيْتُ أنْ أُوضِّحَ مَا أنا بصَددِ طَرحِه ومناقشتِهِ في درَاستي كيْ أُضِيفَ الإضَافَة، ويُنتفَعَ به إن شَاءَ اللهُ، معَ العلمِ أنّني استشَرتُ أهَلَ الإختصَاصِ قبلَ أنْ أختَارهُ وأمضِي في دِراستِه، فكانَ المضي وَالبحثُ في إكمَال جَوانبِه جَوابهُم.

أضِفْ إلَى أنّ صَاحبَ الدِّراسَة أقصِد أستاذَنا أحمَد بن مُحمَّد الخرّاط في مُقدِّمَة دراستِه كانَ يأملُ أنْ تُتبع دِراستَه بدِراسةٍ أُخْرى ممّا يصُبّ في مجراهَا وينحُو منحَاها في الوقوفِ على أسرارِ الكتابِ العزيز، وأظنُّ نفسِي ممّنْ يحَاولُونَ إكمَال جوانِب هذهِ الدراسَة موضحًا فيهَا مَا يلي:

- تَشْتملُ دِراسَتي على ما تَركَهُ المؤلِّفُ مِن كَلمَاتٍ قُرآنيَّةٍ لا تقل أهمية عما ذكره المؤلّف، فيها من الإعجاز البياني ما يستوجب بيانه وإبرازه.
- إبْرازُ الخَصائصِ البيَانيّة الخاصَّةِ بالسُّورِ المكيَّةِ والسُّورِ المدنيَّة.
- إبْرازُ مظَاهرِ الإعْجازِ البيَاني في السُّورِ المكيَّةِ وَالمدنيَّة.
- إدْراكُ أهمِّيَّةِ المقاصِد القرآنيَّة في ضَوءِ القِراءاتِ القُرآنيّة.
- اسْتجلاَءُ المقَاصدِ القُرآنيّة وإبرازُهَا مِن خِلاَلِ الاختلاَفِ الوارِدِ في اللَّفظةِ القُرآنيَّة، والعمَل عَلى إبرازِ المعَاني والدَّلالاتِ المستَنبطَةِ منْ هَذا الاخْتلاَف، وإضَافتُها لمقَاصدِ القُرآنِ الكَريم، وَيكُونُ ذلكَ وفقَ تقسيمِ ابن عاشُور لمقاصدِ القُرآن.

وَحَسبي أنْ أُنوِّهَ هُنا إلى أنّهُ قدْ تكفّلَ عَددٌ من العلمَاءِ– خاصّةً المفسِّرين- وعلماءُ المقاصِد باستقصَاءِ المقاصِدِ العامَّةِ للقرآنِ الكَريم؛ إلاَ أنّ جُلّ جهُودِهم كانتْ فيما تَلتقي عليهِ القِراءاتُ القرآنيّةُ المتَواترةُ، ولمْ يجتهدُوا –حسبَ علمِي– كثيرًا في اسْتخراجِها عنْدَما تختلفُ القِراءاتُ القُرآنيَّة، فإذَا كَانتِ المقاصِدُ جَليَّةً وواضِحةً عنْدما تلتقِي القِراءاتُ، فهلْ تكُونُ أيضًا جليةً وواضحةً عنْدمَا تختلفُ ؟ أمْ أنّهَا تختلفُ وتتنوّعُ بتنوّعِ القِراءاتِ ؟ وبالتَّالي تُعطينا مقَاصدَ أخْرى يُمكنُ أنْ نُضيفهَا إلى مقاصِد القرآنِ الكريم.

كمَا أنوّهُ إلَى أنّ معنَى المقاصِدِ في هذِه الدِّراسَة ليسَ المقصُودُ بها المقاصِدَ عندَ الأصُوليّينَ، وإنّمَا هِي تلْكَ المعَاني الجُزئيَّةِ أوِ التَّفصيليَّة التي تتفرَّعُ عنِ المعاني الكُليّةِ، وَالتي ستسْتنبطُ من

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاختلافِ الواردِ في القراءاتِ، وتُعتبرُ كمقاصِد جُزئية لمعنى عام أَو كُلي (مقصد عَام) جَاء بهِ القُرآن الكَريم، وقد تكُونُ هذِه المعاني الجزئيَّة عبارة عن مقاصِد كُلية أرادَها الله -عزّ وجلّ، ذلكَ لأنّ لكلِّ قراءة مقصَد، ثمّ يُذكَرُ نوْع هذا المقصَدِ وفقَ تقسيمِ ابن عاشُور لمقاصدِ القُرآن.

وارتأَيتُ أن أُعطي مثالاً كيْ يُفهم قَصدِي ومآلي، فإذا كانتِ الآية مثلاً تتكلَّم عن مقصدِ القصصِ، وورَدَ فيها كلمَة مختلف فيها بينَ القرّاء، لا محالةَ أنّ لها أثر في المعنى العام للآية، فقد تحملُ على قراءةٍ معانٍ ودلالاتٍ (مقاصد) لا تحملها القراءة الأخرى، ذلك لأنّ لكلّ قراءة مقصد، وبالتالي تضيفُ لنا مقاصدَ جديدة يمكن إضافتُها لمقاصدِ القُرآن الكريم، وقد تكون هذه المعاني عبارة عنْ معان جُزئية تفصِيلية (مقاصدَ جُزئية تفصيلية) تخدم المعنى (المقصد) العام من الآية أو تشاركُه في نفسِ المعنى أو المقصدِ، مع العلم أنّ هذه المعاني (المقاصِد) كلّها تندرجُ تحتَ مقصَدٍ واحدٍ هُو مقصدُ القصصِ وأخبَارِ الأممِ السالفةِ للتأسِّي بصالحِ أحوالهِم، والتحذيرِ منْ مساوئهِم.

وَبالتَّالي فالجَديدُ في الدِّراسةِ هُو:

- استقراءُ أمثلةٍ جديدةٍ وردَ فيها إعجازٌ بيانيٌ، ودراستُها دِراسةً بيانيةً.
- إبْرازُ خصائصِ السُور المكيَّة والمدنيَّة في الجانبِ البياني.
- إبْرازُ مظَاهرِ الإعْجازِ البيَاني في السُّورِ المكيَّةِ وَالمدنيَّة.
- إبرازُ المقاصِد القرآنيَّة في ضَوءِ القِراءاتِ القُرآنيَّة واستجلاءُ المقاصِد الجزئيَّة المتفرّعَة عنهَا وإضافتُها لمقاصدِ القُرآن، مع إبرازِ أنوَاعها وَيكُونُ ذلكَ وفقَ تقْسِيم ابنُ عاشُور لمقاصدِ القرآنِ الكَريمِ، والعملُ على المقارنةِ بين المقاصدِ في السورِ المكيَّة والمقاصدِ في السورِ المدنيَّة.

منهجُ الدراسةِ:

أمَّا المنهجُ المتّبع في هَذِه الدِّراسةِ فهُو المنْهجُ الوَصفيُ التَّحلِيليُ، مُستعينًا بأداةِ الاستقرَاءِ والاستِنباطِ، حيثُ سأعمَدُ إلى تتبّعِ الأمثلةِ القُرآنيَّة أوِ الكلمَاتِ القُرآنيَّة - محورَ البحثِ- وَالتي جاءت وفقَ استقْرائي للقِراءاتِ القُرآنيةِ الموجُودَة في القرآنِ الكريم، والتي لم يتطَرّق إليها المؤلّف في كتابهِ، حيثُ شملَت علَى أربعةٍ وستينَ (64) آية من الذِّكرِ الحَكيم، ورَد فيهَا بعضُ القراءاتِ العشرِ المتوَاترةِ، وَحوتْ هذِه الآياتُ علَى ستةٍ وستينَ (66) كَلمةً قُرآنيَّةً وَردَ فِيها إعْجازٌ بيَانيٌ، ثمّ اعتمَدتُ علَى أدَاة الاستنباطِ بعدَ رحلةِ الاستقراءِ وجمعِ النصُوص والمقابلَة بينهَا والمقَارنة.

وَقد استفدتُ من منهَجِ محمّد الخرّاط في كتَابه، حيثُ سأهتدِي عَلى نحوِ مَا اهتدَى إليهِ في الضَّوابطِ التي وضعَها في دِراستِه، مع إضافة بعض الضوابط، وهِي على النَّحوِ التَّالي:

- أنْ تكُونَ القِراءاتُ المختَارةُ ضِمْنَ القِراءاتِ العشْرِ المتوَاتِرَةِ.

- أنْ يُؤَدّي هَذَا الاخْتلاَفُ إِلَى معْنًى جَديدٍ، لاَ يُوجَدُ في القِراءةِ الأُخْرَى، أوْ لَهُ مَعْنى لَهُ شَأْنُهُ فِي سِيَاقِ الآيةِ، أوْ يؤدِّي إِلَى نفسِ المعْنى لكنَّهُ يخدُم الموضوعَ بيانيًا.

- عَدمُ دِراسةِ الكلِمَات القُرآنيّة التي يتكرَّرُ وجهَ الإعجازِ البيَاني فيهَا.

- أنْ تكُون هَذِهِ الدِّرَاسةُ مُختصّةً بدرَاسةِ اختلافِ القُرَّاءِ في الكَلِمَاتِ القُرآنيَّة التي تختلِفُ دَلاَلاتُها المعنَويّةُ وَالبيَانيَّةُ وَالبلاَغيَّةُ، وَلا ترتبِطُ باخْتلاَفِ القُرّاء في وُجُوهِ النُّطقِ كَمَقَاديرِ المدِّ وَالإمَالةِ وَالتّخفيفِ وَالتَّسهِيلِ، لأنَّهَا قَد عُنيتْ بهَا كُتبُ القِراءاتِ.

وَقدْ رَتّبتُ هذِه الأمْثلَةَ ترتيبًا وَفقَ ترْتيبِ السُّورِ وَالآياتِ، بَدأتُ في كُلِّ مِثَالٍ اختَرْتُهُ بِكتَابَةِ الآيةِ، ثمَّ أُقدِّمُ المعْنى العَام الخَاص بِها، ثمّ أُبَيِّنُ الاخْتلاَفَ الوَارد فِي اللَّفظةِ المعْنِيَّةِ مِن ألفَاظِ الآيَةِ، ثمَّ أَسُوقُ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالتَّوْجيهِ وَاللُّغَةِ وَالبَلاَغَةِ فِي دَلاَلاتِ القِرَاءَةِ وَمعانيها، وَقَد اخترتُ أَن أَذكُرَ قَوْلَ الإمَامِ الطبَرِي فِي هَذا الاخْتلافِ مُبْرِزًا اختِيَارَاتِه فِي كِتابهِ الجَامع، وفِي نفْسِ الوقتِ مُوجِّهًا ومبيِّنا معنى القِراءةِ، ثمَّ أبيّنُ فِي الأَخِيرِ وَجهَ الإعجَازِ البَيَاني، وَنوْع المقصَد الذِي جَاءتْ بِه القِراءَتان ضِمنَ الآيَةِ، مُسْتخرجًا بِذلكَ مَا يهْدِفُ إلَيْه البَحثُ.

كَمَا أُنوّهُ هُنا إِلَى الطَّريقةِ التِي انْتَهجتُهَا فِي تَدْوِينِ المعْلُومَاتِ الخاصَّةِ بِالكتَابِ؛ وَهِي عَلى الشَّكلِ التَّالِي: بَدأْتُ بعُنوانِ الكِتَابِ، ثمّ باسْمِ المؤلِّفِ، يليهِ اسْمُ المحقِّقِ إن وُجدَ، ثمَّ اسمُ الدّار أوِ النّاشِر، ثمّ رَقمُ الطَّبعةِ وتَاريخُ النشرِ، ثمّ أَجزاءُ الكِتَابِ إنْ وُجدتْ، وأخيرًا رقمُ الصَّفحَةِ.

أمَّا فيمَا يَخُصُّ الطَّريقَةَ المتَّبعةَ فِي كتَابةِ المِصَادرِ وَالمراجعِ، فَقدْ بدأتُ فيهَا بعنوَان الكتَابِ، ثمّ رَتَّبتُهَا تَرْتيبًا هجائيًا.

وَقدْ تَرجَمْتُ جَميعَ الأعْلاَم الذينَ لهمْ صِلةً بالموضُوعِ، مَاعَدا الأعلامِ المعاصِرِينَ، كَما ترَكْتُ ترجمةَ الأعْلامِ المِشْهُورينَ وَالشُّعراءِ.

الصعوبات التي واجهتني في البحث

وأودُّ هنا أن أشيرَ إلى بَعضِ العقباتِ التي واجهتْني، وتتلخَّصُ عُمومًا فِي:

- جَمعِ المادَّة وَتَرتِيبهَا، واستقراءِ الأمثلةِ القرآنيةِ التي تدخلُ في موضوعِ البحثِ.

- تقْسيمِ البَحثِ منَ النَّاحيةِ المنهجيةِ خاصَّة في الجانبِ التطبيقِي، وذلكَ راجعٌ إلى طَبيعَة البحثِ والتي أدّت إلَى تقسيمِه علَى مَا هُو عليهِ.

- ضَيقِ الوقْتِ، وعدمِ التفرّغِ التامِّ للبحثِ بسبَبِ المشاغلِ المهنيَّة وَاليوميَّة، إضافةً إلى مُدّةُ التكْوينِ في مَرحلةِ الدُكتوراه والتي أخذَت وقتًا كبيرًا.

لكنْ رغمَ ذلكَ استطعتُ -بعونِ الله وتوفيقِه- تجاوزَها والمضي قُدمًا حتى أتممتُ هذا البحث.

خُطَّةُ البحثِ

وَقدْ سِرتُ فِي العَمَلِ فِي هَذا البَحثِ وِفْقَ خطَّةٍ مَنْهَجِيَّةٍ، اقْتَضَتْ تَقسيمَهُ إلى مُقَدّمَةٍ وبَابين وَخَاتمةٍ، تَناولْتُ في البَابِ الأوّلِ مَاهيَة القِراءاتِ والإعجَازِ، وقسّمتُهُ إلى فَصْلينِ، تناولتُ في الفصْلِ الأوّلِ القِراءاتُ القُرآنيَّة وَمقاصِدُ القُرآنِ، وقَسّمتهُ بدَوْرِه إلى مَبْحثينِ، ذَكَرْتُ في المبحَثِ الأوَّلِ حَقِيقَةَ الاخْتلافِ بيْنَ القِراءاتِ وَفائدتَه، مُبَيِّنًا فِي المطلَبِ الأوّلِ التّعريفَ بالقُرآنِ وَالقِراءاتِ، والفَرقَ بَينَ القِراءَة الصَّحيحةِ والقِراءَة الضَعيفَة، كذَا الفرقَ بينَ القِراءة والرَّاوي والطَّريق والخلاَف الواجبِ والجائزِ، ثمَّ أنْهيتُ الكَلامَ فيهِ عن تراجُمِ القُرَّاء العشْرِ وَرُواتِهم.

فِي المطلَبِ الثَاني وَضّحْتُ فيهِ عَلاقَةَ القِراءاتِ بالقرآنِ وفَوائِدَ اختِلافِهَا مُبرزًا أوّلاً العَلاقةَ ثمّ ذِكرَ أَسبَابِ الاختِلاَفِ وَالفوائدِ.

أمَّا المبحَثُ الثَاني فكَانَ الكَلامُ فِيه عَنْ مقاصدِ القُرآنِ، وقسّمتُهُ بِدورِه إلَى مَطلبيْنِ، عرّفتُ فِي المطلَبِ الأوَّلِ المقاصِدَ لغةً واصطِلاحًا، ثُمَّ عَرّفتُ مَقاصِدَ القُرآن، وفِي المطلَبِ الثَّاني ذكَرتُ أنْواعَ مَقاصِد القُرآنِ عندَ العُلمَاءِ.

في حِين جَاءَ الحديثُ في الفصْلِ الثَاني عَن الإعْجازِ القُرآني وأَنْواعِه، وقَسّمتهُ بدورِه إلى مَبحثينِ، تناولتُ في المبحَثِ الأوّلِ الإعجازَ والبيانَ، عرّفتُ فِي المطلبِ الأوَّلِ الإعْجَازَ وَالمعجزَة، ثمَّ فِي المطْلبِ الثاني عرّفت البيَانَ وَالإعجَازَ البيَانِي بمفهُومِه اللُّغَوِي وَالاصطِلاَحي.

وَفي المبحث الثَّاني جَاَء الحَديثُ عَنْ أنواعِ الإعْجَازِ القُرْآني، بدأتُ فِيهِ مَعَ الشّرْحِ وَالتَّمثيلِ بِالإعجَازِ البَيَانِي لأنّهُ أصْلُ البَحثِ، وَهُو أظْهَرُ هَذهِ الأنْواعِ وأبْرزُهَا، ثمَّ تناولتُ الإعجَازَ الغَيبي، وَيليهِ الإعْجَازُ التَّشريعِي، ليأْتي الحَديثُ في الأَخيرِ عَن الإعجاز العِلْمِي.

أمَّا البابُ الثاني فكَانَ الحديثُ فيهِ عن الإعجَازِ البياني في القِراءاتِ القُرآنية في السُّور المكيَّة والسُّورِ المدنيَّة، تنَاولتُ في الفصْلِ الأوّلِ الإعجَازِ البَيَاني فِي السُّورِ المكِّيَة، وقدْ أَدّت طَبيعةُ البَحثِ أَن يَكُون مُقسّمًا إلىَ ثلاَثةِ مَباحثَ، وَكَانَ ذَلكَ بَعْدمَا صُنِّفَتِ القِراءاتُ المختَارةُ، وَأُنشأتْ هَذهِ المباحِثُ التَاليةُ وِفقَهَا، وحَسْبي أن أنوّهَ هنَا أنَّ الأمثلةَ الموجودةُ في المطالبِ جاءتْ استقرائيةً إحصائية بحسبِ ما هُو موجودٌ في القرآنِ الكريمِ لِذلكَ اختلفَ العددُ منْ مطلبٍ إلى مطلَبٍ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبْحَثُ الأوّلُ: الاختلافُ الواردُ في الأسماءِ وَالأفعالِ الجامدةِ والمشتقَّةِ، وقسّمتُه إلى ثمانية مَطالبَ هيَ:

المطلبُ الأوّلُ: الأفعَالُ التي يَرجعُ الاختِلافُ فِيها إلى أصْلِ الاشْتقَاقِ، وَذكرتُ فِيه سَبعة أمثلةٍ.

المطلَبُ الثاني: الأفْعالُ التي يَرجعُ الاختلافُ فِيهَا إلى نوْعِ الاشتقَاقِ، وَذكَرتُ فِيهِ مثالاً واحدًا.

المطلَبُ الثَّالِث: وُقوعُ الكَلمَةِ بينَ الماضِي المبْني للفَاعِل، وَالمبْني للمَفعُولِ، وَذكرتُ فِيه مثالاً واحدًا.

المطلَبُ الرَّابع: وُقوعُ الكَلمة بَين المضارعِ المبْني للفَاعِل وَالمبْني لِلمَفْعُول، وَذكرْتُ فِيهِ ثَلاثةَ أمثلةٍ.

المطلب الخامسُ: وقوعُ الكَلمةِ بينَ اسْمِ الفاعلِ واسمِ المفعول، وذكرتُ فيهِ مثالاً واحدًا.

المطلَبُ السادسُ: وُقوعُ الكَلمة بَيْن اسمِ الفاعلِ والصِّفةِ المشبَّهة، وذكرتُ فيهِ مثالينِ.

المطلب السابعُ: وقوعُ الكلمةِ بين صِيَغ مُختلِفَةٍ، وَذكرتُ فِيهِ أربعة أمثلةٍ.

المطلب الثامن: وقوعُ الكلمةِ بين التذكيرِ والتأنيثِ، وذكرتُ فيهِ مثالاً واحدًا.

المبْحَثُ الثاني: الاخْتِلافُ فِي العَامِل النَّحْوي، وَذكَرتُ فيهِ عشَرة أَمثِلةٍ.

المبْحَثُ الثالث: الاخْتِلافُ فِي صُورِ الالتفاتِ والجَانِب الصَّرفي، وقسمته إلى مطلبين:

المطلبُ الأوَّلُ: الاختلافُ في صُور الالتفاتِ، وذكرتُ فيهِ مثالينِ.

المطلبُ الثاني: الاختلافُ في الجانبِ الصَّرفي، وذكرتُ فيه ستّة أمثلةٍ.

أمَّا الفصْلُ الثَّاني فَكانَ مُخصَّصًا لِلْحديثِ عنْ الإعجَازِ البيَاني فِي السُّورِ المدنيَّةِ، وَقسَّمتُه بِدورِهِ بِحسبِ طَبيعة البَحثِ إلى ثلاَثةِ مَباحثَ:

المبْحَثُ الأوّلُ: الاختلافُ الواردُ في الأسماءِ وَالأفعالِ الجامدةِ والمشتقَّةِ، وقسّمتهُ إلى تسعة مطالبَ هي:

المطلبُ الأول: الأفعَال التي يَرجع الاختلاف فيها إلى أصلِ الاشتقاقِ، وذَكرتُ فيهِ ستة أمثلةٍ.

المطلبُ الثاني: الأفْعَالُ التي يَرجعُ الاختلاَفُ فيهَا إلى نوع الاشْتقاقِ، وذَكرتُ فيهِ مِثالينِ.

المطلبُ الثالثُ: وقوعُ الكلمةِ بينَ الماضي المبني للفاعِل والمبني للمفعُول، وذكرتُ فيهِ مثالاً واحدًا.

المطلبُ الرابع: وقوع الكلمة بينَ اسمِ الفَاعل وَاسمِ المفعُول، وَذكرتُ فيهِ مِثالينِ.

المطلبُ الخامس: وُقوعُ الكلِمة بينَ اسمِ الفاعِلِ وَالصِّفة المشبَّهة، وَذكرتُ فيهِ مثالاً واحداً.

المطلبُ السادس: وُقوعُ الكلِمة بينَ اسْم الفَاعلِ وأمثِلةِ المبالغَةِ، وَذكرتُ فيهِ مثَالاً واحداً.

المطلبُ السابع: وُقوعُ الكَلمة بَين المفردِ والجمْعِ، وَذكرتُ فِيهِ مِثالينِ.

المطلَبُ الثَّامن: وُقوعُ الكَلمَة بَينَ الماضِي وَالأمْر، وَذكرتُ فيهِ مثالاً واحداً.

المطلبُ التاسعُ: وُقوعُ الكَلمَة بيْنَ صِيَغ مُختلفَةٍ، وَذكرتُ فِيهِ ثلاثةَ أمثلَةٍ.

المبحَثُ الثاني: الاختلافُ فِي العَاملِ النَّحوي وذَكرتُ فيهِ ثَلاثةَ أمثلةٍ.

المبْحَثُ الثالث: الاخْتِلافُ فِي صُورِ الالتفاتِ والجَانِب الصَّرفي، وقسمته إلى مطلبين:

المطلبُ الأوّلُ: الاختلافُ في صُور الالتفاتِ، وذكرتُ فيهِ مثَالاً واحداً.

المطلبُ الثاني: الاختلاَفُ في الجانبِ الصَّرفي، وذكرتُ فيهِ ثلاثة أمثلةٍ.

بعدَ هذِهِ المبَاحِثِ الخاصَّةِ بالفَصْلِ الأوَّلِ وَالثاني خَلصْتُ فِي الأخِيرِ بِخاتمةٍ تُعْتبَرُ نتيجَةً لهذَا البَحْثِ.

وَفِي الأَخيرِ أَرَى مِن النّصفَة والعِرفانِ بالجميلِ أنْ أُذِيعَ مَا في نفْسِي منْ شكْرٍ وَتقدِيرٍ أُقدّمُهُ لمنْ كَانَ لهُ الفضْلُ في إخْرَاجِ هذِه الرِّسَالةِ منَ العدَم إلى الوُجودِ، وَأخُصُّ بالذِّكرِ الأسْتاذَ الدُّكتورَ عبْدُ الرّحمَان معَاشِي، وَذلكَ بما أمدَّني مِن توجيهَاتٍ سديدةٍ وَتقويماتٍ وجيهةٍ، وإرشاداتٍ قيِّمةٍ ساعَدتني فِعلاً على إنجازِ هذهِ الرّسالةِ، ومَا لمستُه فيهِ من إنسَانيته المتجذِّرة، وذلكَ إن دلَّتْ عنْ شيءٍ، فإنَّما تدُلُّ علَى طبيعةِ أصلهِ وبرَاعةِ أخلاَقهِ، أدعُو اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُباركَ في علمِه وعمرِه، وأن يَجعله ذُخراً لطلبةِ العلمِ، إنَّه سميعُ الدُّعاءِ.

كمَا أتوجَّهُ بعظيمِ الشُّكرِ والتقدِيرِ للَّجْنة المناقِشةِ، لتفضُلِّها بقِراءةِ ومنَاقشَةِ هذهِ الرّسالةِ، وتحمُّلِ عناءِ تصفُّحِها، فلهَا مني كلّ الامتنانِ والتقديرِ.

هذَا فإنْ حَالفني التوفِيقُ في اختيَارِ الموضُوعِ وحُسنِ تقسيمِه، فذلكَ بتوْفيقٍ منَ اللهِ ونصيحَةِ أساتذتِي وذلكَ ما قصدتُ إليه، وإنْ كانَ غير ذلكَ، فهذَا من شأْنِ البشرِ، لأنَّ الكمالَ لله وحدَه، إنَّهُ نِعم المؤْلى ونِعم النَّصيرِ، واللهُ الموفِّقُ.

وكتبه الطالب: حمزة بن علال

تلمسان: في 2017/06/01م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البابُ الأولُ: ماهيةُ القراءاتِ القرآنيَّة والإعجازُ القُرآني
وفيه فصلان

الفصل الأول: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن

الفصل الثاني: الإعجاز القرآني وأنواعه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن

وفيه مبحثان

المبحث الأول: حقيقةُ الاختلافِ بين القراءاتِ وفائدتُه.

المبحث الثاني: مقاصد القرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: حقيقةُ الاختلافِ بين القراءاتِ وفائدتُه.

وفيه مطلبان

المطلب الأول: التَّعريفُ بالقرآنِ والقراءاتِ.

المطلب الثاني: عَلاقةُ القِراءاتِ بالقرآنِ وفَوائدُ اختلافِها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منَ المسلّمِ به في تقديمِ أي بحثٍ عِلمي معرفةُ المصطلحات العلميّة، لأنّ تحديدَها وبيان مفهومِها، أساسٌ يبنى عليه ما يتبعه من خطوات في البحث.

ولما كان موضوعُ هذا المبحث متعلّقا بالقرآن والقراءات القرآنية، كان لزامًا علينا أن نتعرّف على ما يلي: القرآن لغة واصطلاحا، والقراءات في اللغة والاصطلاح، ثمّ أتبعه بتعريف القرّاء العشر ورواتهم.

المطلب الأول: التَّعريفُ بالقرآنِ والقراءاتِ.

أولا- تعريف القرآن

أ- القرآن في اللغة: اختلف العلماء في الوجه اللغوي لتسمية القرآن قرآنا:

قال بعضهم هو: « وصف على وزن فعلان بضمّ الفاء »، واختلفوا في وجه الاشتقاق فقيل:

هو مشتقٌ من القرء بمعنى الجمع، وسمّي قرآنا لأنّه يجمع السور، فيضمّها. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾،[1] أي جمعه وقراءته،﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾،[2] أي قراءته. ويقال: « قريت الماء في الحوض أي جمعته » وقرأت الشيء قرآنا: « جمعته وضممت بعضه إلى بعض ». ومنه قولهم: « ما قرأت هذه الناقة سلىً قط، وما قرأتْ جنينا قط. أي لم يضطَم رحمها على ولد »[3]، وأنشد عمرو بن كلثوم:

هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا.[4]

قال أبو عبيدة معمّر بن المثنى (ت210هـ)[5]: ((إنّما سمّي قرآنا لأنّه يجمع السور ويضمّها)) وأشار إلى هذه التّسمية خاصّة بالكتاب المنزّل على النّبي - صلّى الله عليه وسلّم- فقال:

---

[1]- سورة القيامة: الآية 17.

[2]- سورة القيامة: الآية 18.

[3]- لسان العرب، لأبي الفضل بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة، 1426هـ-2005م، الجزء الثاني عشر، ص:50.

[4]_ ديوان عمرو بن كلثوم، لعمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م، ص: 68.

[5]- أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التّيمي، لغوي بصري، كان من أجمع النّاس للعلم وأعلَمهم بأيّام العرب وأخبارها، توفي سنة 210هـ، وقيل 211هـ، من كتبه: « طبقات الشعراء »، و« نقائض جرير والفرزدق ». ينظر: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ص: 175.

((والقرآن اسم كتاب الله خاصّة ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره)).[1]

وقيل هو وصف مشتق من التلاوة والقراءة، وهذا القول اختيار ابن جرير الطبري[2](ت310هـ) حيث قال:((والواجب أن يكون تأويله من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت القرآن، كقولك: الخسران من خسرت، والغفران من غفر الله لك، والكفران من كفرتك، والفرقان: من فرّق الله بين الحق والباطل)).[3]

وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ﴾ [4] أي قراءته.[5] وهذان الرأيان جريا على أنّ لفظه مهموز، وهما الأكثر والأشهر.

وذهب بعضهم إلى أنّه مرتجل[6]، أي موضوع من أوّل الأمر علما على الكلام المعجز المنزّل، غير غير مهموز،[7] وعليه فإنّه يلفظ بدون همز.

ولعلّ الراجح من ذلك جميعا هو: أنّ القرآن في الأصل مصدر مشتقٌ من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، بمعنى القراءة،[8] ثمّ نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المنزّل على سيّدنا محمّد –

---

[1]- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1401هـ، الجزء الأول، ص:1.

[2]- الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، ولد سنة 224هـ، أصله من آمل طبرستان، كان عالما وإماما ثبتا في علوم كثيرة، توفي في بغداد سنة 310هـ . من كتبه:« جامع البيان عن تأويل آي القرآن » و« أخبار الرسل والملوك ». ينظر: طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1396هـ- 1976م، ص: 95.

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1373هـ - 1954م، الجزء الأول، ص: 42.

[4]- سورة القيامة: الآية 17- 18.

[5]- النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1390هـ ، ص: 12.

[6]- يعني غير منقول.

[7]- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: د. أحمد المعصراوي، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة، 1431هـ - 2010م، الجزء الأول، ص: 13.

[8]- لمزيد من التفاصيل: ينظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، الجزء الأول، ص:194-196. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، د.ط، 1429هـ _2008م، الجزء الأول، ص:72-73. فقد اختلف العلماء فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزا أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدرا أو وصفا.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صلّى الله عليه وسلّم- ،[1] ويشهد لهذا الترجيح وروده مرّتين في سورة القيامة بهذا المعنى.

أمّا عن اختلاف العلماء في كونه مهموزا أو غير مهموز، في رأيي أنّ كليهما صحيح، لأنّ القراءات الصحيحة وردت بالاثنين.

ب- القرآن في الاصطلاح: له عدّة تعاريف أوردها العلماء سأقتصر على تعريف واحد أعتقد أنّه أقرب للصواب وهو: ((كلام الله المعجز المنزّل بواسطة جبريل -عليه السّلام- على محمّد - صلّى الله عليه وسلّم- المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النّاس)).[2]

فهذا التّعريف يضمّ حقيقة الكتاب لكونه كلام الله، ومصدره _ وهو الله سبحانه _ ، فالكلام جنس في التعريف، يشمل كلّ كلام، ولإضافته إلى الله -عزّ وجلّ- يخرج كلام غيره من الإنس والجنّ والملائكة.

وتقييد المنزّل بكونه على محمّد - صلّى الله عليه وسلّم- يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

والمنقول بالتواتر أدخلت القراءات المتواترة حقيقة أو حكما، وأخرجت القراءة الشاذّة والأحادية التي لم تتلق بالقبول، فلا تسمّى قرآنا ولا تأخذ حكمه.

والمتعبّد بتلاوته يُخرج الأحاديث القدسية والنبوية.[3]

---

[1]- مناهل العرفان: المصدر السابق، ج1، ص 12.

[2]- ينظر: مناهل العرفان: المصدر نفسه، ج1، ص:17- 22. النبأ العظيم: المصدر السابق، ص: 14. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبو حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م، الجزء الأول، ص: 169-171. التبيان في علوم القرآن، لمحمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م، ص: 6. من روائع البيان، لمحمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق ، الطبعة الثالثة، 1392هـ، ص: 27.

[3]- ينظر: مناهل العرفان: المصدر نفسه،ج1، ص: 18.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا - تعريف القراءات.

أ- القراءات في اللغة:

القراءات: جمع مفردها قراءة، ومادّة (ق.ر.أ) يدور معناها في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع، فكلّ شيء جمعته فقد قرأته. ومعنى قرأت القرآن:« لفظت به مجموعا أي ألقيته ».[1]

والقراءة من قرأ يقرأ قرآنا، يقال:« اقترأت في الشّعر وأقرأته أنا وأقرأ غيره يقرئه إقراءا، ومنه قيل فلان المقرئ ».[2]

فالقراءة في اللغة تدور حول عدّة معان هي: الجمع والضمّ، والإلقاء.

ب-**القراءات في الاصطلاح:** لها عدَّة تعاريف أوردها العلماءُ، سأقتصرُ على تعريفين أراهما جامعين مانعين هما:

1- تعريف ابن الجزري[3] (ت833هـ):

((القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله)).[4]

2- تعريف شهاب الدين القسطلاني[5] (ت923هـ):

((هو علمٌ يُعرف منه اتّفاق النّاقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللّغة والإعراب والحذف والإثبات، والتّحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع)). أو يقال:((علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقله)).[6]

---

[1]- لسان العرب: المصدر السابق، ج12، ص:50.

[2]- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت_ لبنان، د.ط، 1414هـ - 1994م، الجزء الأول، ص:218.

[3]- ابن الجزري: هو محمد بن محمد أبو الخير، شمس الدين، المقرئ الشافعي المعروف بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل، تصدى للإقراء والتحديث، ولد ونشأ في دمشق، توفي سنة 833هـ. من كتبه: « النشر في القراءات العشر »، و« غاية النهاية في طبقات القراء ». ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، ، دار المعرفة، لبنان – بيروت، د.ط.ت، الجزء الثاني، ص: 257.

[4]- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لمحمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م، ص: 9.

[5]- القسطلاني: هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني الأصل المصري الشافعي، أبو العباس شهاب الدين، من علماء الحديث والقراءات، توفي سنة 923هـ بالقاهرة، من كتبه: « إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » و« لطائف الإشارات في علم القراءات »، ينظر: البدر الطالع: المصدر السابق، ج1، ص: 102.

[6]- لطائف الإشارات لفنون القراءات، لشهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، طبعة القاهرة، د.ط، 1392هـ - 1972م، ، الجزء الأول، ص: 170.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج- الفرق بين القراءة الصحيحة والقراءة الضعيفة.

إنّ الفرق بين القراءة الصّحيحة والقراءة الضعيفة يتجلى في أنّ: ((كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها، فهي القراءة الصّحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النّاس قبولها، سواءٌ كانت عن الأئمة السّبعة أم عن العشرة[1] أم عن غيرهم من الأئمّة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثّلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواءٌ كانت عن السّبعة أو عمّن هو أكبر منهم، هذا هو الصّحيح عند أئمّة التّحقيق من السّلف والخلف)).[2]

د- الفرق بين القراءة والراوي والطريق والخلاف الواجب والجائز.

في هذا المقام يقول الصفاقسي(ت1118هـ)[3]: ((كلّما ينسب لإمام من الأئمة فهو قراءة، وما ينسب للآخذين عنه – ولو بواسطة – فهو رواية، وما ينسب لمن أخذ عن الرواة – وإن سفل- فهو طريق، فتقول مثلا إثبات البسملة قراءة المكي، ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني عن ورش)).[4]

أمّا الفرق بين الخلافين فالخلاف الواجب هو الخلاف المذكور بين القرّاء والرواة عنهم وأصحاب الطرق بحيث يلزم القارئ بالإتيان به عند التلقي، ذاك أنّ خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نص ورواية، فلو أخلّ بشيء من ذلك عدّ ذلك نقصاً في روايته.

أمّا الخلافُ الجائز فهو الخلاف الذي هو على سبيل التخيير والإباحة، فالقارئ مخيّر في الإتيان بأي وجه من الأوجه ولا يلزم بها جميعا، فلو أتى بوجه واحدٍ منها أجزأه، ولا يعدّ ذلك نقصا في

1- سيأتي ذكرهم لاحقا، ينظر: الرسالة: ص: 10- 15.

2 - النشر في القراءات العشر، لمحمد بن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د، ط، ت، الجزء الأول، ص: 09.

3- الصفاقسي: هو علي بن سالم بن محمد بن سعيد النوري الصفاقسي، أبو الحسن، العلامة الواسع العارضة، محيي السنن وعلم القراءات بالقطر التونسي، ولد بصفاقس سنة 1053هـ ونشأ بها، ورحل إلى تونس، ثمّ رحل إلى مصر فكمل بها علومه، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه وانقطع لبث العلم إلى أن مات بها سنة 1118هـ . له كتاب: « غيث النفع في القراءات السبع ». ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م، الجزء الثاني، ص: 674.

4- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، ص: 23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

روايته كأوجه البسملة، وأوجه الوقف على عارض السكون، والوقف بالسكون والروم والإشمام، وبالطويل والتوسط والقصر في نحو: ﴿مَتَابِ﴾ و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.[1]

يقول ابن الجزري(ت833هـ): ((اعلم أنّ الفرق بين الخلافين أنّ خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نصّ ورواية، فلو أخل القارئ بشيء منه كان نقصا في الرواية، فهو وضده واجب في إكمال الرواية. وخلاف الأوجه ليس كذلك إذ هو على سبيل التخيير، فبأيّ وجه أتى القارئ أجزأ في تلك الرواية، ولا يكون إخلالا بشيء منها. فهو وضدّه جائز في القراءة من حيث إنّ القارئ مخيّر في الإتيان بأيه شاء)).[2]

[1]- ينظر: غيث النفع: المصدر نفسه، ص: 23. النشر في القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 200. لطائف الإشارات: المصدر السابق، ج1، ص: 337.

[2]- النشر في القراءات: المصدر نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا- تعريف القرّاء العشرة ورواتهم.

أودّ هنا أن أعطي تعريفا موجزا بالقرّاء العشرة ورواتهم، الذين اخترنا قراءاتهم ميدانا للدراسة التطبيقية:

يقول أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي(ت 590هـ)[1] في منظومته الشاطبية[2]:

فأمّا الكَريم السِّرِّ في الطِّيبِ نافعٌ فذاكَ الَّذي اختَار المدينةَ منزِلا

وقالـونُ عيسى ثمَّ عثمـانُ ورشُهـمْ بصحبتـهِ المجدَ الرفيـعَ تأثّلا[3]

- نافع: هو نافع بن أبي نُعيم الليثي، مولاهم أبو رويم المقرى المدني، أحد الأعلام، يكنّى بأبي رويم، كان أسود اللون، أصله من أصبهان، قرأ على سبعين من التابعين، راوياه قالون وورش. توفي سنة 169هـ[4].

- قالون: هو عيسى بن مينا بن وردان المدني الزرقي، مولى بني زهرة أبو موسى الملقّب قالون، قارئُ المدينة ونحويُّها، يقال: إنّه ربيب نافع، وهو الذي سمّاه قالون لجودة قراءته، لأنّ قالون بلسان الروم جيّد، توفي بالمدينة قريبا من سنة 220هـ.[5]

---

[1]- أبو القاسم الشاطبي: هو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولد في آخر سنة 538هـ بشاطبة من الأندلس، قرأ ببلده القراءات وأتقنها، ثمّ رحل إلى بلنسية فعرض بها التيسير من حفظه والقراءات على ابن هذيل، ثمّ رحل إلى الحج وبعد عودته دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وأنزله منزلة عظيمة وبنا له مدرسة وفيها نظّم قصيدتيه اللامية والرائية بها، وجلس للإقراء وقصده خلق كثير، كان إماما كبيرا أعجوبة في الذكاء، آية من آيات الله، ولد أعمى فكان ضريرا طوال حياته، توفي -رحمه الله- في 28 من جمادى الآخرة سنة 590هـ بالقاهرة.من نظمه: « عقيلة أتراب القصائد فيبيان رسم المصاحف ». ينظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء، لمحمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2006م، الجزء الثاني، ص: 20-22.

[2]- الشاطبية: هي القصيدة اللامية المسماة بحرز الأماني ووجه التهاني من نظم الإمام العلامة ولي الله أبي القاسم الشاطبي، وقد بلغ عدد أبياتها ألفا ومائة وثلاثة وسبعين بيتا، اختصر فيها كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني. ينظر: النشر في القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 61. وللاطلاع أكثر عن فحوى هذه القصيدة ينظر: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، لمحمد المختار ولد أباه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، د.ط، 1422هـ - 2001م، ص: 345-366.

[3]- منظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، لأبي القاسم بن فيره الشاطبي، تحقيق : أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، د.ط.ت، ص: 3.

[4]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، استانبول، د.ط، 1416هـ- 1995م، الجزء الأول، ص: 241.

[5]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج1، ص: 542.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **ورش:** هو عثمان بن سعيد المصري الملقّب بورش، ولد سنة 110هـ بمصر، شيخ القرّاء وإمام أهل الأداء، انتهت إليه رياسة الإقراء في زمانه، ورحل إلى نافع فعرض عليه القراءة عدّة ختمات في سنة 155هـ ، كان أشقر أزرق أبيض اللون قصيرا ذا كدنة، وقيل إنّ نافعا لقبه بالورشان لأنّه كان على قصره يلبس ثيابا قصارا، وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه ، فكان نافع يقول: هات يا ورشان، واقرأ يا ورشان، ثمّ خفّف فقيل: ورش. وورش طائر معروف، وقيل إنّ الورش شيء يصنع من اللبن لقّب به لبياضه، توفي بمصر سنة 197هـ .[1]

يقول أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي (ت 590هـ):

ومكّةُ عبدُ الله فيها مقامُه   هُو ابنُ كثيرٍ كاثرُ القومِ معتلَى

روَى أحمدُ البزّي لهُ ومحمَّدٌ   على سندٍ وهْو الملقَّب قُنبلا[2]

2- **ابن كثير المكي:** هو الإمام عبد الله ابن كثير، يكنى بأبي معبد الكناني الداري المكي المقرئ، إمام المكيين في القراءة، ولد بمكة سنة 45هـ، أصله فارسي، كان فصيحا بليغا مفوّها، عليه سكينة ووقار، انتهت إليه الإمامة بمكة، عاش خمس وسبعين سنة، توفي سنة 120هـ.[3]

- **البزي:** هو الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، ولد سنة 170هـ، مقرئ أهل مكة ومؤذن المسجد الحرام، أذّن بالحرم أربعين سنة، وتوفي بمكة سنة 250هـ.[4]

- **قنبل:** هو محمد بن عبد الرحمان بن خالد بن جرحة أبو عمرو المخزومي مولاهم المكي الملقب بقنبل: شيخ القراء بالحجاز ولد سنة 195هـ، اختلف في سبب تلقبه قنبلا فقيل: اسمه، وقيل: لأنّه من بيت بمكة يقال لهم القنابلة، وقيل لاستعماله دواء يسمى قنبيل فحذفت الياء تخفيفا، توفي بمكة سنة291هـ.[5]

وأخذ كلّ من البزي وقنبل القراءة عن رواة عن ابن كثير.

يقول أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي (ت 590هـ):

---

[1]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 446.

[2]- منظومة حرز الأماني: المصدر السابق، ص: 3.

[3]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر السابق، ج1، ص: 197.

[4]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر نفسه، ج1، ص: 365.

[5]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج2، ص: 146-147.

وأمّا الإمــامُ المــازنيُّ صريحُهُــم أبو عمْرٍو البصري فوالدُه العَلا
أفاضَ على يحيَى اليزيديِّ سيبَه فأصبحَ بالعذبِ الفرات معلَّلا
أبُو عمرَ الدُّوري وصالحهُم أبُو شعيبٍ هو السُّوسيُّ عنه تقبَّلا[1]

3- **أبو عمرو البصري:** الإمام الكبير المازني البصري المقرئ النحوي، مقرئ أهل البصرة، وهو زبّان بن العلاء بن عمّار بن العُريان، وقيل العُريان بن العلاء بن عمار، واختلف في اسمه على تسعة عشر قولا، ولد سنة 68هـ، أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، وقرأ عليه خلق كثير. توفي سنة 154هـ[2].

- **أبو عمرو الدوري:** هو حفص بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي الدوري الأزدي البغدادي النحوي، نزيل سامراء، إمام القراءة و شيخ الناس في زمانه، أوّل من جمع القراءات، نسبته إلى الدور موضع ببغداد ومحلة بالجانب الشرقي، توفي سنة 250هـ.[3]

- **أبو شعيب:** هو صالح بن زياد بن عبد الله إسماعيل الرستبي السوسي الرقي، مقرئ ضابط محرّر ثقة، توفي بخرسان سنة 261هـ.[4]، وأخذ كلّ من الدوري والسوسي القراءة عن يحيى اليزيدي عن أبي عمرو البصري.

يقول الشاطبي(ت 590هـ):

وَأمّا دمشقُ الشَّام دارُ ابن عامرٍ فتلكَ بعبْد اللهِ طابتْ محلَّلا
هــشامٌ وعبدُ الله وهْــو انتسابُه لــذكوانَ بالإسنادِ عنْه تنقَّلا[5]

4- **ابن عامر الشامي:** هو عبد الله بن عامر اليحصبي، ولد سنة 21 هـ ، وقيل سنة 8هـ، إمام أهل الشام في القراءة حيث انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، ولي القضاء بدمشق، كما كان إمام الجامع الأموي، توفي بدمشق سنة 118هـ.[6]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- منظومة حرز الأماني: المصدر السابق، ص: 3-4.
[2]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر السابق، ج1، ص: 223.
[3]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج1، ص: 231-232.
[4]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1 ، ص: 302.
[5]- منظومة حرز الأماني: المصدر السابق، ص: 4.
[6]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج1، ص: 380.

- **ابن ذكوان:** هو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي، ولد سنة 173هـ، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق، توفي سنة 242هـ.[1]

- **هشام:** هو هشام بن عمار بن نصير بن مسيرة أبو الوليد السلمي القاضي الدمشقي، ولد سنة 153هـ، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، توفي بها سنة 245هـ.[2]

روى ابن ذكوان وهشام القراءة عن ابن عامر بإسناد.

يقول أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي (ت 590هـ):

وبالكُـوفةِ الغــرَّاء منهُــم ثلاثــةٌ ... أذاعُــوا فقدْ ضَاعت شذًا وقرنفُلا

فأمّـا أبُو بكـرٍ وعاصـمُ اسْمُــه ... فشـعبـةُ راويـهِ المبـرِّز أفضَـلا

وذاكَ ابن عيَّــاشٍ أبـو بكرٍ الرِّضا ... وحفـصٌ وبالإتقــانِ كـان مفضَّلا

وَحمــزةُ ما أزكــاهُ مـن مُتــورِّعٍ ... إمــاماً صبُــورًا للقــرانِ مرتِّــلا

روَى خلــفٌ عنه وخـلادُ الـذِي ... رواهُ سليــمٌ متقــنًا ومحصَّــلا

وأمَّــا عليٌّ فالكسائيُّ نعتُــه ... لِما كـانَ في الإحــرامِ فيهِ تسربَــلا

روَى ليثُهم عنْه أبُو الحارث الرِّضا ... وحفصٌ هوَ الدُّوري وفي الذِّكر قدْ خَلا[3]

5- **عاصم بن أبي النجود:** هو الإمام عاصم بن بهدلة أبي النّجود الأسدي، وكنيته أبو بكر، إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمان، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، توفي آخر سنة 127هـ بالكوفة.[4]

- **أبو بكر:** هو شعبة بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، كنيته أبو بكر، ولد سنة 95هـ، أحد الأعلام، كان حنّاطا، قرأ القرآن ثلاث مرّات على عاصم، كان سيّدا إماما، حجة كثير العلم والعمل، توفي في جمادى الأوّل سنة 193هـ .[5]

- **حفص:** هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، ولد سنة 90هـ ، وكان أعلم الناس بقراءة عاصم، توفي سنة 180هـ.[6]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 363.

[2]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج2 ، ص: 308.

[3]- منظومة حرز الأماني: المصدر السابق، ص: 4.

[4]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر السابق، ج1، ص: 204.

[5]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر نفسه، ج1، ص: 280.

[6]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج1، ص: 229.

6- **حمزة بن حبيب:** حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أحد القرّاء السبعة، ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن، يكون رأى بعضهم، توفي سنة 156هـ.[1]

- **خلف:** هو خلف بن هشام البزّار البغدادي، ولد سنة 150هـ وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، كان ثقة كبيرا زاهدا عابدا عالما، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة 229هـ.[2]

- **خلاد:** هو خلاد بن خالد أبو عيسى الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة ثقة عارف محقّق أستاذ، توفي بها سنة 220هـ.[3]

روى خلف وخلاد القراءة عن حمزة بإسناد.

7- **الكسائي:** هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، توفي سنة 189هـ.[4]

- **أبو عمروالدوري .**[5]

- **أبو الحارث:** هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي، ثقة معروف حاذق ضابط، توفي سنة 240هـ[6].

يقول ابن الجزري(ت833هـ) في طيبة النشر[7]:

ثمّ َ أبُو جعفرٍ الحبرُ الرّضَــى فعنهُ عيسى وابنُ جمّازٍ مضَى

تاسعهُم يعقُوبُ وهْوَ الحضرميُ لـــهُ رويْسٌ ثمَّ رَوْح ينتمي

والعاشرُ البزّارُ وهْوَ خلــفُ إسحَاقُ مع إدريسَ عنْهُ يُعرفُ[8]

[1]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 236.

[2]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 246.

[3]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 248.

[4]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 474.

[5]- سبقت ترجمته، ينظر: ص: 12.

[6]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج 2، ص: 33.

[7]- الطيبة: هي منظومة نظم فيها ابن الجزري كتابه النشر في القراءات العشر، الذي جمع فيه قرّاء الشاطبية والدرة، ووضع فيه عن كل قارئ راويان حسب الشاطبية والدرة، لكن أخذ عن كل راو أربع طرق استقصى كل كتاب يتصل بأحد هذه الطرق، فبنى كتابه النشر على 58 كتابا. ينظر: تسهيل علم القراءات الجامع لكل من طريقي الشاطبية والدّرة والطيبة، لأيمن بقلة، الطبعة الأولى، 1430هـ -2009م، ص:28.

[8]- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن الجزري، ضبطه وعلّق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1420هـ -2000م، ص: 12-13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8- **أبو جعفر المدني:** هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني المقرئ، تابعي مشهور، كان إمام أهل المدينة في القراءة، كان ثقة قليل الحديث، وفي سنة وفاته عدّة أقوال، قيل سنة 128هـ، وقيل سنة 130هـ.[1]

- **ابن وردان:** هو عيسى ابن وردان أبو الحارث المدني، إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، توفي بالمدينة في حدود سنة 160هـ [2].

- **ابن جمّاز:** هو سليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع الزهري المدني، مقرئ جليل ضابط، توفي بعيد 170هـ [3].

9- **يعقوب البصري:** هو الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي في ذي الحجة سنة 205هـ.[4]

- **رويس:** هو محمد بن المتوكل الإمام أبو عبد الله اللؤلؤي رويس المقرئ البصري، تصدّر للإقراء، توفي بالبصرة سنة 238هـ. [5]

- **روح:** هو روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي البصري النحوي، مقرئ جليل ثقة ضابط، عرض على يعقوب الحضرمي، وهو من جلّة أصحابه، توفي سنة 234هـ أو 235هـ. [6]

10- **خلف**.[7]

- **إسحاق:** هو إسحاق ابن إبراهيم ابن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي البغدادي، وراق خلف وراوي اختياره، كان قيما بالقراءة، توفي سنة 286 هـ.[8]

- **إدريس:** هو الإمام أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي المقرئ الحداد، أقرأ الناس ببغداد، ورحل إليه من البلاد للإتقان وعلو الإسناد، توفي في يوم الأضحى سنة 292هـ، وله ثلاث وتسعون سنة.[1] فهذه أسماء القرّاء العشر ورواتهم على وجه الاختصار.

---

[1]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج2، ص: 333.

[2]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص: 543.

[3]- ينظر: غاية النهاية: المصدر نفسه، ج1، ص:285.

[4]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر السابق، ج1، ص: 328.

[5]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر نفسه، ج1، ص: 428.

[6]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج 1، ص: 259.

[7]- سبقت ترجمته، ينظر: ص: 14.

[8]- ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج1، ص:141.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: عَلاقةُ القِراءاتِ بالقرآنِ وفَوائدُ اختلافِها

أوّلا- علاقةُ القراءاتِ بالقُرآن.

إنّ علمَ القراءات وتجويده من العلوم الشرعيّة التي يتقرّب بها إلى الله -عزّ وجلّ- لاشتماله على جميع العلوم بالدّلالات، لاسيما وقد تصدّر له رجالٌ محقّقون وأئمّة مدقّقون، هيّأهم الله -عزّ وجلّ- لحفظ كتابه، فكشفوا عن وجهه اللّثام، ونقلوه إلينا على تحريرٍ تام؛ فكان ذلك تصديقاً لقوله تعالى:﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾[2]، ويرجع الاهتمام بهذا العلم لكونه ليس كسائر العلوم الأخرى فحسب، وإنّما هو فوق ذلك قرآن كريم أيضًا.

أمام هذا الطرح طرق العلماء العلاقة بين القراءات والقرآن من خلال تعريف كلّ منهما، فوجد فريقٌ من العلماء أنّهما حقيقتان متغايرتان، وذهب فريقٌ آخر أنّهما مسمّيان لمعنى واحد، وفيما يلي تفصيل لذلك.

يقرّر الإمام الزركشي(ت794هـ)[3] في كتابه الشهير « البرهان في علوم القرآن » أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان مطلقا. وذلك حين قال: ((القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما)).[4]

وتبعه على ذلك بعض العلماء كالقسطلاني (ت923هـ): في كتابه « لطائف الإشارات »، والعلاّمة البناء الدمياطي (ت1118هـ)[5] في كتابه الشهير« إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- ينظر: معرفة القرّاء الكبار: المصدر السابق، ج1، ص: 499.

[2]- سورة فاطر: الآية 32.

[3]- الزركشي: هو محمد بن عبد الله بن بهادُر، أبو عبد الله، الزركشي، نسبة إلى صناعة الزركش، وهي بلغة فارس تزيين الحرير بخطوط الذهب، ولد في 745هـ بمصر، وتوفي بها سنة 794هـ، من كتبه: « البرهان في علوم القرآن »، و «ا لبحر المحيط ». ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر أحمد بن علي، ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ط، 1392هـ-1972م، الجزء الخامس، ص: 133- 134.

[4]- البرهان: المرجع السابق، ج1، ص: 223.

[5]- الدمياطي: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، عالم بالقراءات، ولد ونشأ بدمياط، أخذ العلم من القاهرة والحجاز واليمن، توفي بالمدينة حاجا، ودفن بالبقيع سنة 1118هـ. من كتبه: « الإتحاف ». ينظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة السابعة عشر، 2007م، الجزء الأول، ص: 240.

عشر» حينما ذكر في مقدّمته ما نصّه الزركشي(ت794هـ)، وأغلب من تعرّض لهذه المسألة تابع الزركشي(ت794هـ) في ذلك.

أمّا الرأي الآخر، فيرى أنّ كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، فقد أطلق ابن دقيق العيد[1](ت702هـ)_ من القدامى _ تسمية القرآن على القراءات ولو كانت شاذة، وكذا محمّد سالم محيسن _ من المعاصرين _الذي يرى أنّ كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، واستند في ذلك إلى أنّ تعريف القرآن مصدر مرادف للقراءة، كما استند إلى بعض الأحاديث التي يأمر الله فيها رسوله -صلّى الله عليه وسلّم-بأن يقرئ أمّته القرآن على سبعة أحرف فقال: ((أرى أنّ كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضّح ذلك بجلاء من تعريف كلّ منهما، ومن الأحاديث الصّحيحة الواردة في نزول القراءات))[2] وقال أيضا:((وكلّها تدلّ دلالة واضحة على أنّه لا فرق بين كلّ من القرآن والقراءات، إذ كلّ منهما الوحي المنزّل على النّبي - صلّى الله عليه وسلّم)).[3]

وقد عقّب شعبان إسماعيل على رأي محيسن بأنّه رأيٌ مردود وغير مقبول لعدّة أسباب منها:

أوّلا- لأنّ القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كلّه، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال إنّهما حقيقتان متّحدتان.

ثانيا- القراءات التي تكلّم عنها تشمل القراءات المتواترة والقراءات الشاذة، والتي أجمع العلماء على أنّه لا يصحّ قراءة القرآن بها؛ لأنّها لم تستجمع أركان القراءة الصحيحة، فالقراءة التي تفقد أهم الأركان، وهو التواتر لا يصح أن نسميها قرآنا، فكيف يسوغ القول بأنّ القرآن والقراءات شيء واحد، مع عدم انطباق ذلك على القراءات الغير الصحيحة.[4]

1- ابن دقيق العيد: هو محمد بن علي بن وهب القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح، المصري، المالكي ثمّ الشافعي، نزيل القاهرة، قاض وفقيه أصولي، مجتهد، توفي بالقاهرة سنة 702هـ من كتبه: « إحكام الأحكام » و« تحفة اللبيب في شرح التقريب ». ينظر: الدرر الكامنة: المصدر السابق، ج5، ص: 351.

2- القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1998م، الجزء الأول، ص: 17.

3- القراءات وأثرها: المرجع نفسه، ص: 18.

4- ينظر: القراءات أحكامها ومصدرها، لشعبان إسماعيل، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، سلسلة كتاب دعوة الحق، العدد 19، 1402هـ-1982م، ص: 24-25.

بعدما عقّب شعبان عرض رأيه في تلك الإشكالية، فقال:((فالواقع إنّهما (القرآن والقراءات) ليسا متغايرين تغايرا تاما، كما أنّهما ليسا متّحدين اتحادا حقيقيا، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكلّ)).[1]

بعد هذا الطرح أعتقد أن تعقيب شعبان على محيسن، أو الخلاف بينهما على طبيعة العلاقة بين القرآن والقراءات خلاف وهمي، ذلك أنّ الأوّل قال إنّ بينهما ارتباطا وثيقا، ارتباط الجزء بالكل، وعارضه محيسن حيث قال إنّهما حقيقتان بمعنى واحد وأنّه لا فرق بين القرآن والقراءات، إذ كلّ منهما الوحي المنزّل على النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وبشيء من التحليل إذا أضفنا صفة التّواتر إلى لفظ القراءات لاتّفق الرأيان. ويبقى خلاف غير مؤثّر وهو خلاف في الكم يمكن التعبير عنه كما قال صبري الأشوح في كتابه:« إعجاز القراءات القرآنية » بأنّ: ((كلّ القراءات القرآنية قرآن، وبعض القرآن قراءات متواترة)).[2]

وبهذا البيان يتّضح أنّ بينهما تداخلا، فكلّ ما هو قرآن فهو لابدّ من القراءات، وليس كلّ ما هو من القراءات بقرآن _ والله أعلم _

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- القراءات أحكامها: المرجع نفسه، ص: 25.

[2]- إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، لصبري الأشوح، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م، ص: 18.

ثانيا- فوائد اختلاف القراءات.

لقد ثبت أنّ النّبي- صلّى الله عليه وسلّم - قرأ وأقرأ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن بأحرفه السبعة وبلهجاته العربية، وتلقّوه من فمه غضّا طريا، وأوصلوه بجهدهم وتفانيهم، كما تلقّوه سواءٌ في إقراء بعضهم بعضا أو إقراء من جاء بعدهم من التّابعين وتابعيهم إلى أن وصلت سلسلة التّلقي والسّماع إلى الأئمّة العشرة الذين نسبت إليهم القراءات، حتى وصل إلينا القرآن محفوظا. فلا مجال للاجتهاد والاختراع، وعليه فلا يقوم الاختلاف الوارد في القراءات على اجتهاد الأشخاص ووجهات أنظارهم، وإنّما القراءة سنّة متّبعة يأخذها الآخر عن الأوّل، ولما كان هذا الاختلاف محالا في كلام الله -عزّ وجلّ- فما هو السبب في الاختلاف إذن؟

1- أسباب اختلاف القراءات القرآنية.

تكلّم ابن الجزري (ت833هـ): في كتابه الشهير « النشر في القراءات العشر » عن اختلاف القراءات القرآنية بأنّ هذا الاختلاف هو: ((اختلاف تنوّع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإنّ هذا محالٌ في كلام الله)).[1]

ويوضّح هذه المسألة مكي بن أبي طالب القيسي[2](ت437هـ) في كتابه الشهير « الإبانة » حيث قال:((فإن سأل سائل فقال: ما السّبب الذي أوجب أن تختلف القراءة فيما يحتمله خط المصحف، فقرؤوا بألفاظ مختلفة في السمع والمعنى واحد))

أجاب قائلا: ((فالجواب عن ذلك أنّ الصحابة _رضي الله تعالى عنهم _ كان قد تعارف بينهم من عهد النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر)).

ثمّ يقول:((ولما مات النّبي - صلّى الله عليه وسلّم -خرج جماعة من الصحابة في أيّام أبي بكر وعمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلّموا النّاس القرآن والدّين فعلّم كلّ واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النّبي-صلّى الله عليه وسلّم-، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علّموهم)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- النشر في القراءات العشر: المصدر السابق، ج1، ص: 49.

[2]- مكي: هو مكي بن أبي طالب بن حيوس بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني ثمّ الأندلسي القرطبي، إمام محقق، ولد سنة355هـ بالقيروان، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كثير التآليف في علوم القرآن، توفي سنة 437هـ، من كتبه: « التبصرة في القراءات ». ينظر: غاية النهاية: المصدر السابق، ج2، ص:270.

ويواصل حديثه فيقول:((فلمّا كتب عثمان المصاحف، ووجّهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها وأمرهم بترك ما خالفها، قرأ أهل كلّ مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءاتهم التي كانوا عليها ممّا يخالف خط المصحف)).

ثمّ بيّن بعد ذلك كيف انتقلت تلك القراءات للقرّاء الذين اشتهرت قراءاتهم، فقال:((ونقل ذلك الآخر عن الأوّل في كلّ مصر، فاختلف النّقل لذلك، حتى وصل النّقل إلى هؤلاء الأئمة السبعة على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف أهل الأمصار)).[1]

ثمّ من التّوضيح بمكان أنّ هؤلاء القرّاء قرؤوا على أشخاص متعدّدين، وبينهم اختلاف في القراءة، فأخذوا من قراءاتهم، وتركوا بعضا منها، فنافع قرأ على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذه، وما شكّ فيه واحد تركه، وأبو عمر قرأ على ابن كثير وخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف؛ لأنّه قرأ على غيره.[2]

وقد أرجع صاحب كتاب - صفحات في علوم القرآن- أسباب اختلاف القراءات إلى سببين، في قوله :((الخلاصة أنّ أسباب اختلاف القراءات ترجع إلى سببين:1- تعدّد النزول. 2- تعدّد اللهجات. والذي أراه هنا ويظهر لي _ والله أعلم _ أنّ سبب اختلاف القراءات واحد لا يتعدّد، وهو الذي عنون بنزول القرآن على سبعة أحرف، ولكن هذا السبب يتوقف في وجوده على سبب آخر)).[3]

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ السبب الرئيسي في اختلاف القراءات القرآنية هو نزول القرآن على سبعة أحرف، إضافة إلى ما ذكره مكي في كتابه الإبانة.

[1]- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ط.ت، ص: 46-49.

[2]- ينظر: الإبانة: المصدر نفسه، ص: 49- 50.

[3]- صفحات في علوم القرآن، لأبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المكتبة الإمدادية، مكة، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1955م، ص: 163-164.

2- فوائد اختلاف القراءات.

قد تقرّر أنّ تعدّد القراءات بمنزلة تعدّد الآيات وأنّ القراءات أبعاض القرآن، وفي هذا السّياق يقول السّيوطي[1](ت911هـ) في كتابه« الإكليل »:((إنّ تعدّد القراءات بمنزلة تعدّد الآيات))،[2] كما أشار الزركشي(ت794هـ) في « البرهان » إلى اختلاف الأحكام الشرعية باختلاف القراءات[3]، وقرّر ابن العربي[4](ت543هـ) أنّ القراءتين كالآيتين يجب أن يعمل بهما.[5]

وعلى شاكلتهما أشار ابن عاشور[6](ت1393هـ) إلى هذه المسألة في مقدّمة تفسيره « التحرير والتنوير »، حيث أوصى المفسّر أن يبيّن اختلاف القراءات المتواترة، لأنّ في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا، فيقوم تعدّد القراءات مقام تعدّد كلمات القرآن،[7] كما أكّد أنّ اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة.[8]

---

[1]-السيوطي: هو عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري الأسيوطي، جلال الدين، ولد بالقاهرة سنة 849هـ ، تبحّر في عدّة علوم ، وله نحو 600 مصنّف، توفي سنة 911هـ _ 1505م. من كتبه: « الإكليل في استنباط التنزيل »، و« الدر المنثور في التفسير بالمأثور » .ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، 1387هـ-1997م، الجزء الأول، ص:336- 336 .

[2]- الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1401هـ - 1981م، ص: 109.

[3]- البرهان: المصدر السابق، ج1، ص: 229.

[4]- ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعارفي الأندلسي القاضي، ولد في إشبيلية سنة 468هـ، ورحل إلى المشرق، توفي سنة 543هـ، من كتبه: « أحكام القرآن » و « شرح الموطأ ». ينظر: طبقات المفسرين: المصدر السابق، ص: 105.

[5]- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت، الجزء الأول، ص: 169.

[6]- ابن عاشور: هومحمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، ولد بتونس سنة 1296هـ، عين سنة 1932م شيخا للإسلام مالكيا، توفي سنة 1393هـ. من كتبه:« مقاصد الشريعة الإسلامية » و« موجز البلاغة ». ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج6، ص: 174.

[7]- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م، الجزء الأول، ص:56.

[8] - تفسير التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج1، ص:55.

وفي هذا السياق عقد الرافعي[1](ت1356هـ) في كتابه « إعجاز القرآن » فصلاً بعنوان: « القراءة وطرق الأداء » قال فيه : ((وثالثة تلحق بمعـاني الإعجـاز، وهي: أن تكـون الألفـاظ في اختلاف بعض صورها مما يتهيّأ معه استنباط حكم، أو تحقيق معنى من معاني الشريعة، ولذا كانت القراءات من حجّة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد. وهذا المعنى ممّا انفرد به القرآن الكريم، ثمّ هو ممّا لا يستطيعه لغوي أو بياني في تصوير خيال، فضلا عن تقرير شريعة)).[2]

ولاختلاف القراءات القرآنية فوائد منها [3]:

1- التّسهيل والتّخفيف على الأمّة ورفع الحرج عنهم، وهذه من أهمّ حكم إنزال القرآن على سبعة أحرف، ويبدو ذلك جليًا من خوف الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- المشقّة على أمّته وشفقته عليهم حين أمر أن يقرأ القرآن على حرف فقال: ((أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك))[4] فجاء التسهيل والتخفيف حينما لقي -صلّى الله عليه وسلّم- جبريل فقال: ((يا جبريل إنّي بُعثت إلى أمّة أمّيين فيهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرفٍ)).[5]

وهذا التّسهيل هو طريقٌ للأمّة لفهم القرآن وتلاوته، فقد كان المسلمون الأوائل على اختلاف واضح في اللّهجات والأصوات وطريقة الأداء، وكان يصعب على الواحد منهم تجاوز لهجته والانتقال إلى غيرها، فكان هذا التسهيل الذي يدخل حيّز القراءات التي لا تعلّق لها بالتفسير ومعاني الألفاظ، وإنما تتّصل بوجوه النطق بالحروف والأداء اللفظي للكلمات، كتسهيل الهمزة، والإمالة وما شابه ذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- الرافعي: هو الأديب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ولد في طنطا سنة 1298هـ، من أسرة لبنانية الأصل، عالم بالأدب، من كبار الكتاب بمصر، توفي سنة 1356هـ، من كتبه: « وحي القلم » و« حديث القمر ». ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج7، ص: 235.

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، د.ط.ت، ص: 47-48.

[3]- ينظر: النشر في القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 52-53. الإتقان في علوم القرآن: المصدر السابق، ج1، ص: 227. مناهل العرفان: المصدر السابق، ج1، ص: 121- 123 . القراءات وأثرها: المرجع السابق، ج1، ص: 46- 49.

[4]- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.ت، الجزء الأول، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ص: 562، رقم: 821.

[5]- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ط.ت، الجزء الخامس، كتاب القراءات: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ص: 194، رقم: 2944.

2- مع كثرة الاختلاف الوارد في وجوه القراءات في جانب اللفظ والمعنى، لم يتطرّق إلى كتاب الله- عزّ وجلّ- تضاد أو تناقض أو تعارض، بل كلّه يُصدّق بعضه بعضا، ويوضّح بعضه بعضا. وفي ذلك دليل قاطع على صدق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في تبليغه القرآن كما أنزل إليه، إذ ليس في مُكنة أحد أن يأتي ببيان على شاكلة البيان القرآني، قال تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [1]

3- إنّ أوجه البلاغة، والبيان، والإعجاز، والإيجاز الموجودة في القراءات تعد من كمال الإعجاز، إذ كلّ قراءة بمنزلة آية مستقلة، فكان تنوّع اللّفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولا يخفى أنّ تنوّع المعاني تابع لتنوّع الألفاظ، ولو جعل الله -عزّ وجلّ- كلّ قراءة تُخالف الأخرى آية مستقلة لكان في ذلك من التطويل ما يتعارض مع جمال الإيجاز وبقاء الإعجاز.

4-إنّ في تعدّد القراءات وتنوّعها تيسيرا لحفظه ونقله على هذه الأمّة، فإنّه من يحفظ آية واحدة في كلماتها أوجه متعدّدة يجد من اليسر والسهولة ما لا يجده لو كان كل وجه في آية مستقلة.

5- ومن الفوائد إعظام أجور هذه الأمّة من حيث إنّهم يُفرغون جهدهم ليبلّغوا قصدهم في تتبّع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كلّ لفظ واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلّغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [2] والأجر على قدر المشقة.[3]

ويبدُو هذا الجهد واضحا على مدار القرون المتعاقبة خاصّة في جانب الأداء اللفظي، فلم يخلُ عصر من العصور من القرّاء والحفظة الذين حفظوا القراءات من أيّ خلل أو تبديل، فكان ذلك تصديقًا لقول الله -عزّ وجلّ-:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾[4].

6- بيانُ فضل هذه الأمّة وشرفها على سائر الأمم، يتجلّى ذلك في أنّ جميع الكتب السماوية حُرِّفت فلم يبق لها نصوص صحيحة، ولم يتكفّل الله-عزّ وجلّ- بحفظ أحد منها، عكس القرآن

[1]- سورة النساء: الآية 81.

[2]- سورة ءال عمران: الآية 195.

[3]- النشر في القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 53 .

[4]- سورة فاطر: الآية 32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكريم ويبدو ذلك جليا من خلال عناية الأمّة الفائقة به، وإقبالهم عليه، والتنقيب عنه لفظة لفظة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التّحريف، وحرصهم على نقله مسندا عن الثقات إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فكانت هذه النّعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمّة الشريفة من إسنادها كتاب ربّها، واتّصال هذا السبب الإلهي بسببها خصّيصة الله تعالى هذه الأمّة المحمدية[1]، فكان ذلك تصديقاً لقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2].

7- إنّ القراءات جمعت الأمّة الإسلامية على لسانٍ واحد، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن، ولعلّ في ذلك حكمة إلهية سامية، فإنّ وحدة اللسان العام من أهمّ العوامل في وحدة الأمة، خصوصا أوّل عهدها بالتوثُّب والنُّهوض[3].

8-إنّ تنوُّع القراءات يفيد أهل العلم بعد الإطّلاع على الصّحيح منها على استيعاب دلالة الألفاظ القرآنية، واستنباط ما ترمي إليه من مقاصد وفوائد، فمثلاً بعض الألفاظ تأتي على سبيل الإجمال في قراءة، ثم يفصّل هذا الإجمال في قراءة ثانية، وقد تستكمل هذه القراءة الثانية المعنى الذي قامت بأدائه القراءة الأولى، وبالتّالي قد تبيّن هذه القراءات حكما من الأحكام، أو تجمع بين حكمين مختلفين، أو تدلّ على حكمين شرعيين، أو تدفع توهّم ما ليس مرادا، أو تبيّن لفظ مبهم.[4]

---

[1]- النشر في القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 53.

[2]- سورة الحجر: الآية 09.

[3]- ينظر: مناهل العرفان: المصدر السابق، ج1، ص: 125.

[4]- لمعرفة تفاصيل هذه الفائدة الرجاء ينظر: مناهل العرفان: المصدر نفسه، ج1، ص: 122-123.

المبحث الثاني: مقاصد القرآن

وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف بمقاصد القرآن.

المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لما كان موضوع هذا المبحث يتكلّم عن مقاصد القرآن، كان لزاما علينا أن نبيّن مفهوم المقاصد لغة واصطلاحا، ثمّ نبيّن مفهوم مقاصد القرآن بالمعنى الاصطلاحي؛ لأنّه موضوع البحث والهدف المرجو منه.

المطلب الأول: التعريف بمقاصد القرآن.

أولا - تعريف المقاصد.

أ- المقاصدُ في اللغة:

جمعُ مقصد، مشتق من الفعل قصد يقصد قصدا، فهو قاصد.وأصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العربِ الاعتزام والتوجّه والنّهود والنّهوض نحو الشيء على اعتدالٍ كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قدْ يخص في بعض المواضع بقصدِ الاستقامة دون الميل، ألاَ ترى أنّك تقصِد الجور تارة كما تقصدُ العدل أخرى[1]. فأصْل العقد هو العزم والتوجّه نحوَ الشيء، ثمّ نُقل معناه لاستعمالاتٍ أُخرى أهمُّها: الاستقامةُ قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾[2] أي على الله تَبيين الطّريق المستقيم والدُّعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، والاعتدال والانكسار وغير ذلك[3].

ب-**المقاصدُ في الاصطلاح:** هُناك عدّةُ تعريفات أوْردها العلماء سأقْتصر على تعريفين هُما:

1-تعريف محمد الطاهر ابن عاشور(ت1393هـ): ((مقاصدُ التشريع العامة هي: المعَاني والحكم الملحُوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة))[4]. والمقاصد الشرعية عنده نوعان هما: معان حقيقة ومعان عرفية عامة، واشترط في جميعها أن تكون ثابتة ظاهرة منضبطة مطردة.[5]

2- تعريف علاّل الفاسي(ت 1974م): ((المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها))[6].

---

[1]- لسان العرب: المصدر السابق، ج12، ص: 113- 114. تاج العروس: المصدر السابق، ج5، ص: 189.

[2]- سورة النحل: الآية 9.

[3]- ينظر: لسان العرب: المصدر السابق، ج12، 113-114.

[4]- مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، دار السلام، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1430هـ -2009م، ص: 55.

[5]- مقاصد الشريعة: المرجع نفسه، ص: 55.

[6]- مقاصد الشريعة ومكارمها، لعلال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 1411هـ- 1991م، ص: 7.

ثانيا- تعريف مقاصد القرآن.

لم تتطرّق أقلام القدامى والمعاصرين إلى تعريف مصطلح مقاصد القرآن بالمفهوم الاصطلاحي، وإنّما وردت الإشارة إليه في الكتب قديما وحديثا، حيث ذكره العزّ بن عبد السلام(ت 660هـ) في كتابه « القواعد »، وذكره ابن عاشور(ت1393هـ) في« التفسير »، والشيخ محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)[1] في« تفسير المنار» وغيرهم، غير أنّي وجدت تعريفًا للدكتور عبد الكريم حامدي يعرّف فيه هذا المصطلح الذي يعدّ أخصّ من مقاصد الشّريعة، وتعريفه باعتباره لقبا على علم معيّن؛ إنما يراد به: ((الغاياتُ التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالحِ العباد))[2]، فالغايات المراد منها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهي تهدف إلى تحقيقِ مصالحِ العباد في العاجلِ والآجلِ [3].

ممّا سبق يمكن أن نعرّف مقاصد القرآن بأنّها: المعاني العامة والجزئية المقصودة من إنزال القرآن والتي تهدف أساسا لمصلحة العباد، أو هي معاني القرآن وغاياته التي جاء بها لتحقيق مصلحة العباد.

[1]- محمد رشيد رضا: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، واحد من رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي سنة 1354هـ-1935م. ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج6، ص: 612.

[2]- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، لعبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م، ص: 29.

[3]- مقاصد القرآن: المرجع نفسه.

المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء[1]

إن المتأمّل في القرآنِ الكريم يجد مقاصد كثيرة ومتنوّعة، و بمعرفتها تجعل الإنسان يضع تصورا عاما عن الموضوعات التي يتناولها القرآن الكريم، كما أنّ الوقوف عليها له دور كبير في التدبّر والتفهم لما يهدف إليه القرآن، ولما كانت المقاصد تهدف إلى تحقيق مصالح العباد عكف عَدد من العلماء– خاصّة المفسّرين- باستقصائها واستقراء دلالتها الكليّة، وفي ما يلي نبذ مما توصّلوا إليه في هذا الباب:

إنّ من أفضل التفاسير التي نعرف من خلالها مقاصد القرآن تفسيرِ المنار لصاحبه العلاّمة محمّد رشيد رضا(ت1354هـ) الذي يعتبر أوّل من توسّع في استقصاء مقاصد القرآن الكريم، وأوصلها إلى عشرة أنواع، أذكرها بإيجاز:

قال رحمه الله:((مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان وماضيهِ من التكرار:

النَّوعُ الأول من مقاصده: الإصلاح الديني لأركان الدّين الثلاثة: وهي الإيمان بالله تعالى، والإيمان بعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح.

المقصد الثاني: تصحيح عقائد البشر في الرّسل، وذلك ببيانُ ما جهِل البشر من أمر النّبوّة والرسالة ووظائف الرّسل.

المقصدُ الثالث:بيان أنّ الإسلامَ دين الفطرة السليمة، والعقلِ، والفكر، والعلم، والحكمة، والبرهان، والحجَّة، والضمير، والوجدان، والحرية والاستقلال.

المقصد الرَابع: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقَّق بالوحدات الثمان، وهي: وحدةُ الأمَّة، وحدة الجنس البشري، وحدة الدّين، وحدةُ التشريع بالمساواة في العدل، وحدةُ الأخوَّة الروحية والمساواة في التعبد، وحدة الجنسية السياسية الدولية، وحدة القضاء، وحدة اللُّغة.

المقصد الخامس: تقرير مزايا الإسلام العامّة في التكاليف الشخصية الواجبة والمحصورة في عشر قواعد كلية:

الأولى: كونه جامعا لحقوق الروح والجسد.

الثانية: كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة.

الثالثة: كون الغرض منه التأليف بين البشر.

[1]- للاطلاع أكثر على هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى كتاب : مقاصد القرآن: المرجع نفسه، ص: 35-51.

الرابعة: كونه يسرا.

الخامسة: منع الغلو في الدّين وإباحته للطيبات و الزينة.

السادسة: قلة تكاليفه وسهولة فهمه.

السابعة: انقسام تكاليفه إلى عزائم ورخص.

الثامنة : كون نصوصه مراعى فيها درجات تفاوت البشر في العقل وعلو الهمة و ضعفها.

التاسعة: معاملة الناس بظواهرهم.

العاشرة: مدار العبادات على الاتباع المحض، وأحكام المعاملات على المصالح مع مراعاة النص.

المقصد السادس: بيان حُكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة.

المقصد السابع: الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

المقصد الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر.

المقصد التاسع: إعطاءُ النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصدُ العاشر: هداية الإسلام في تحرير الرقيق))[1].

ولقد أعاد الدكتور عبد الكريم حامدي صياغة وترتيب هذه المقاصد بما ينسجم مع العنوان العام الذي أطلقه العلاّمة محمد رشيد رضا(ت1354هـ) وهو: « مقاصد القرآن في إصلاح نوع الإنسان »، وهذا بعدما رأى أنّ بعض المقاصد العشرة متداخلة مع بعضها البعض، وبناءا عليه أصبحت المقاصد وفق نظره سبعة هي على النحو التالي:

المقصد الأول: الإصلاح العقدي، ويدلّ عليه المقصدان الأول والثاني.

المقصد الثاني: الإصلاح الفكري، ويدل عليه المقصد الثالث.

المقصد الثالث: الإصلاح الإجتماعي، ويدل عليه المقصد الرابع.

المقصد الرابع: الإصلاح التشريعي، ويدل عليه المقصد الخامس.

المقصد الخامس: الإصلاح المالي، ويدل عليه المقصد السابع.

المقصد السادس: الإصلاح السياسي، ويدل عليه المقصد السادس.

المقصد السابع: الإصلاح الحربي، ويدلّ عليه المقصد الثامن.[2]

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن الحكيم المسمّى تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، تحقيق وتعليق: فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط.ت، الجزء الحادي عشر، ص: 176-244.

[2]- ينظر: مقاصد القرآن: المرجع السابق، ص: 38-39.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمّا الشيخ ابن عاشور(ت1393هـ) فيثبت أنّ للشريعة مقاصد من التشريع عندما يقول: ((لا يمتري أحد في أنّ كلّ شريعة شرعت للناس أنّ أحكامها ترمي إلى مقاصد مرادةٍ لمشرّعها الحكيم تعالى؛ إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أنّ الله لا يفعل الأشياء عبثا))[1] ، وقد لخّص في مقدّمة تفسيرِهِ مقاصد القرآن الأصليَّة التي جاء لتبيانها بحسب ما بلغ إليه استقراؤه إلى ثمانية أمور هي:

الأوّل: إصلاحُ الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق.

الثاني: تهذيبُ الأخلاق.

الثالث: التشريعُ وهو الأحكام خاصة وعامّة.

الرابع: سياسةُ الأمَّة وهو بابٌ عظيم في القرآن القصد منه صلاحُ الأمّة وحفظُ نظامها.

الخامس: القصصُ وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، وللتحذير من مساويهم .

السادس: التعليمُ بما يُناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهّلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

السابع: المواعظُ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجازُ بالقرآن ليكون آيةً دالةً على صدق الرّسول-صلَّى الله عليه وسلّم-، إذ التصديق يتوقّف على دلالة المعجزة بعد التحدي[2].

ويضيف متكلّما عن غرض المفسّر، فيقول: ((فغرض المفسّر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا و تفريعا))[3].

في حين يذكر الشيخُ الغزالي (ت1996م) أنّ: ((القرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره يمكن القول بأنّه يدور على محاور خمسة، وهي: الله الواحد، والكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والبعث والجزاء، والتربية والتشريع ...هذه هي المحاور الخمسة التي أفاض القرآن في ذكرها))[4] وهي بلا شك تتداخل كثيرا مع ما ذكره ابن عاشور(ت1393هـ) في تحريره.

---

[1]- مقاصد الشريعة الإسلامية: المرجع السابق، ص: 13.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج1، ص: 40-41.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج1، ص 41.

[4]- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، لمحمد الغزالي، طبعة دار الشروق، د.ط.ت، ص: 18.

وفي هذا المقام اختار الدكتور عبد الكريم حامدي تقسيما لمقاصد القرآن، حيث اتبع في تقسيمه المعيار الذي يقسم المقاصد إلى ثلاثة أقسام: مقاصد عامة، وخاصة، وجزئية، فقسّم مقاصد القرآن وفقها.

فضابط المقصد العام، يدور حول المعاني والحكم الشاملة لجميع تشريعات القرآن.

وضابط المقصد الخاص، يدور حول المعاني والحكم المتعلقة بأنواع معينة من التشريعات .

وضابط المقصد الجزئي، يدور حول المعاني والحكم المتعلقة بآحاد الأحكام .

وكلّ مقصد خاص يتكوّن من مقاصد جزئية عديدة، ممّا يدل على تكامل المقاصد العامة والخاصة والجزئية[1].

بعدَ هذهِ الإطلالة المبينة لمقاصد القرآن الكريم، سوف نرى هذه المقاصد متفرّقة في عناصر البحث والمتمثلة في الأمثلة القرآنية.

[1]- للاطلاع أكثر على هذا التقسيم ينظر: مقاصد القرآن: المرجع السابق، ص: 47-49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الإعجاز القرآني وأنواعه
وفيه مبحثان

المبحث الأول : الإعجاز والبيان.

المبحث الثاني : أنواع الإعجاز القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الإعجاز والبيان.

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الإعجازُ والمعجزة.

المطلب الثاني: تعريف البيانُ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ ممّا ينبغي معرفتُه في هذا المبحث هو معرفة مصطلحاته العلميّة، وبيان مفهومها، لأنّ معرفتها وسيلة لتحقيق الهدف المرجو من هذا البحث. ولما كان موضوع المبحث موسوما بالإعجاز والبيان، فمن الضروري أن نتعرّف فيه على ما يلي: الإعجاز والمعجزة لغة واصطلاحا، والبيان في اللغة والاصطلاح، والإعجاز البياني بالمعنى اللغوي والاصطلاحي، لأنّه موضوع دراستنا.

المطلب الأول: تعريف الإعجاز والمعجزة

أولا – تعريفُ الإعجَازِ.

أ-الإعجاز في اللغة: هو نسبة العجز إلى الغير، قال تعالى:﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾،[1] وعجز الشيء يعجزه عجزا فهو عاجز، أي ضعيف يقال:« أعجزني فلان »، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه،[2] فمعنى الإعجاز هو الفوت والسبق، يقال:« أعجزني فلان » أي فاتني،[3] ومنه قول الأعشى:

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الموْتِ رَبَّهُ   وَلَكِنْ أَتَاهُ الموْتُ لَا يَتَأَبَّقُ.[4]

وفي كتاب الصحاح: ((أصل هذه الكلمة من العجز وهو مؤخّرة الشيء، والعجز: الضعف وأعجزت الرجل: وجدته عاجزا، وأعجزه الشيء، أي فاته. والتعجيز: التثبيط، وكذلك إذا نسبته إلى العجز، وعاجز فلان: إذا ذهب فلم يوصل إليه. والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء، وتعجّزت البعير ركبت عجزه)).[5]

[1]- سورة المائدة: الآية 31.

[2]- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط.ت، الجزء الرابع، ص: 232.

[3]- لسان العرب: المصدر السابق، ج10، ص:43.

[4]- ديوان الأعشى الكبير، لميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب، د.ط.ت، ص:217.

[5]- تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، 1404هـ-1984م، الجزء الثالث، ص: 883-884.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الزمخشري[1](ت538هـ): ((طلبته فأعجز وعاجز: إذا سبق فلم يدرك، وبنو فلان يركبون أعجاز الإبل: إذا كانوا أذلاء أتباعا لغيرهم، أو يلقون المشاق، لأنّ عجز الإبل مركب شاق)).[2]

ب- الإعجاز في الاصطلاح: له عدّة تعاريف سأقتصرُ على البعضِ منها:

1- تعريف منّاع القطان:

((إظهار صدق النّبي في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة _ وهي القرآن _ وعجز الأجيال بعدهم)).[3]

2- تعريف محمّد علي الصابوني:

((إثبات عجز البشر _ متفرّقين ومجتمعين _ عن الإتيان بمثله)).[4]

3- تعريف عائشة عبد الرحمان:

((هو قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن الكريم والإتيان بمثله)).[5]

4- تعريف د. عمّار ساسي:

((هو إثبات عجز الإنس والجن بالتّحدي على الإتيان بمثل القرآن، قصد إظهار صدق الرسول في دعواه)).[6]

---

[1]- الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، أبو القاسم جار الله، ولد في سنة 497هـ ،كان واسع العلم،كثير الفضل، متفننا في كلّ علم، معتزليا قويا في مذهبه، حنفي المذهب، توفي سنة 538هـ ، من كتبه: « الكشاف » و« أساس البلاغة ». ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1384هـ- 1965م، الجزء الثاني، ص: 279.

[2]- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط.ت، ص: 294.

[3]- مباحث في علوم القرآن، لمنّاع القطان، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م، ص:236.

[4]- التبيان: المرجع السابق، ص:89.

[5]- التفسير البياني في القرآن الكريم، لعائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1966م، ص: 53.

[6]- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، لعمار ساسي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 70.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا – تعريف المعجزة.

أ- المعجزة في اللغة[1]: يقال: « عجز فلان رأي فلان » إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنّه نسبه إلى العجز. ويُقال أيضا: « أعجزت فلاناً إذا ألفيته عاجزا ». والعجز: الضعف، وفي حديث عمر: « ولا تُلثوا بدار مَعجزة » أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيّش. والمعجزة بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز: عدم القدرة[2]. وفي الحديث:« وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم »[3].

وفي المفردات للراغب (ت 502)[4]: ((العجز أصله التأخّر عن الشيء وحصوله عند عَجُزِ الأمر أي: مؤخّره، كما ذكر في الدّبر، وصار في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة)).[5] ومعجزة النّبي: ما أعجز به الخصم عند التّحدي، والهاء للمبالغة، والجمع معجزات.[6]

ب- المعجزة في الاصطلاح: لها عدّة تعاريف سأقتصرُ على البعضِ منها:

1-تعريف السيوطي(ت911هـ):

((أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتّحدي، سالم من المعارضة)).[7]

2- تعريف محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367هـ):

((هي أمرٌ يعجز البشر متفرّقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارقٌ للعادة، خرج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النّبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه)).[8]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- ذكرت مشتقات لفظة « المعجزة » في القرآن 17 مرة، ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ط.ت، ص: 466..

[2]_ لسان العرب: المصدر السابق، ج10، ص:42.

[3]- صحيح مسلم: المصدر السابق، ج4، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ص:2186، رقم: 2846.

[4]- الراغب: هو المفضل بن محمد الأصبهاني الراغب، صاحب المصنفات، توفي سنة 502هـ. من كتبه: « أفانين البلاغة » و « المحاضرات » . ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج2، ص: 297.

[5]_ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، د.ط.ت، ص: 547.

[6]_ تاج العروس: المصدر السابق، ج8، ص: 96.

[7]- الإتقان: المصدر السابق، ج2، ص: 464.

[8]- مناهل العرفان: المصدر السابق، ج1، ص: 61.

3- تعريف د.عمّار ساسي:

((المعجزةُ هي أمر خارقٌ للعادة مقرون بالتّحدي سالمٌ عن المعارضة، باقٍ في الزمن، دالٌ على البلاغ وحامل لصدق الرّسول في دعواه)).[1]

باعتبار التّعريفات السابقة للإعجاز والمعجزة نجد _ والله أعلم _ أنّ تعريف د. عمّار ساسي جامعٌ مانعٌ من التّعريفات الأخرى، لأنّه شامل وواسع ودقيق، وإن كان تعريف السيوطي قد جرى عليه كثير من العلماء.

وفي هذا الصدد لابدّ أن نبيّن أنّ المعجزة تقع إما حسيّة في مجال الحس، وخاصّة حاسة النّظر، وأغلب المعجزات التي سبقت معجزة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-كانت من هذا النّوع، فهي موقوتة بزمن محدود تبدأ ببعثة الرسول وتنتهي بنهايته. وإمّا أن تكون عقلية تواجه العقل، وهذا النّوع من المعجزة لا يقع من النّاس موقعا متقاربا، وإنّما يلقاه كلّ إنسان حسب ما لديه من إدراك وقدرة على التّمييز بين الخير والشر.[2] وهذا النّوع من المعجزة يسمّى معجزة معنوية، وهي غير موقوتة بزمن محدود إنّما هي خالدة وباقية إلى يوم الدين.

يقول السيوطي (ت911هـ):((وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمّة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهماهم، ولأنّ هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدّهر إلى يوم القيامة خُصّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذو البصائر)).[3]

---

[1]- الإعجاز البياني: المرجع السابق، ص: 73.

[2]- ينظر: إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1974م، ص: 87-88.

[3]- الإتقان: المصدر السابق، ج2، ص: 464.

المطلب الثاني: تعريف البيان.

بعد البحث والاستقراء وجدنا عبر التاريخ أنّ علماء البلاغة ليسوا على رأيٍ واحد في مفهوم البيان؛ إذ هناك من يرى البيان بمفهومه الواسع والشامل، وفريق آخر ضيّق المفهوم الواسع وحصره في أشكال معلومة ومحدودة وجعل البيان قسما من أقسام البلاغة. وهذه المسألة مازال النقاش والخلاف فيها قائما إلى اليوم، وعليه فسوف أعرض جملة من أقوال العلماء في تحديد مدلول البيان، ورأيت أن يكون مدلوله من الناحية اللغوية، ثمّ البيان في القرآن، وذلك أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وأخيرا البيان عند أهل البلاغة، وذلك أنّ نظرتهم نبتت على محصول اللسان العربي المبين ومحصول القرآن الكريم.

أولا- تعريف البيان.

أ-البيان في اللغة:

ورد في الصّحاح: فلان أبين من فلان:« أي أفصح منه وأوضح كلاما ». والبيان ما يتبين به الشيء من الدّلالة وغيرها. وبان الشيء بيانا: « اتّضح فهو بينا ». وأبنته أنا:« أي أوضحته ».[1]

كما أنّ البيان عند ابن منظور[2](ت711هـ) هو: « الفصاحة واللسَن وكلام بيِن فصيح »، والبيان: « الإفصاح مع الذكاء »، والبين من الرجال:« السّمح اللسان، الفصيح، الظريف، العالي الكلام، القليل الرتَج ». وفلانٌ أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما.[3]

ويقول الإمام الزمخشري(ت538هـ) في أساس البلاغة:((بان لي الشّيء، وتبيّن وبين وأبان واستبان وبينته وأبنته وتبينته واستبنته، وجاء ببيان ذلك وبينته أي بحجته، ومن بينات الكرم التّواضع، ورجل بيّن، فصيح ذو بيان، وما أبينه، وما رأيت أبين منه، وقم أبيناء، وهذه مباين الحق ومواضحه، وظهرت أمارات الخير وتباينه، وتبين في أمرك: تثبت وتأن)).[4]

---

[1]- تاج اللغة: المصدر السابق، ج5، ص:3082-3083.

[2]- ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، الإمام اللغوي، ولد بمصر سنة 630هـ ، توفي في مصر سنة 711هـ . من كتبه: « لسان العرب » و « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ». ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 248.

[3]- لسان العرب: المصدر السابق، ج2، ص: 199.

[4]- أساس البلاغة: المصدر السابق، ص: 35.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الإمام الشنقيطي(ت1393هـ)[1] صاحب التفسير البياني الكبير المسمّى بأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ((أمّا البيان لغة فهو اسم مصدر بمعنى التّبيين، وهو الإيضاح والإظهار كالسّلام بمعنى التّسليم والكلام بمعنى التّكليم والطلاق بمعنى التطليق، وقد يُطلق على المبين والمبين بالكسر والفتح)).[2]

ومن هذا الذي عرضناه من المعنى اللغوي لمصطلح البيان نخلُص إلى أنّ مدلوله الأصلي هو الوضوح والكشف عن الأشياء وهو إظهار المقصود بأبلغ لفظ، أو هو التعبير عمّا في النّفس من خواطر وأفكار، وهو خاصية تميّز بها الإنسان عن غيره من سائر أنواع الحيوان،[3] فهو المنطق الفصيح المعبر عمّا في الضمير.[4]

ب-البيان في القرآن :

أمّا في القرآن الكريم، فهناك إشارات كثيرة إلى مصطلح البيان، فقد ذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللّسان فقال:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ ،[5] وقال ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾،[6] أي إيضاح وكشف، كما مدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح فقال:﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾.[7] كما ذكر لنبيّه-صلّى الله عليه عليه وسلّم- حال قريش في قوة بلاغتهم ورجاحة وصحّة عقولهم، وذكر العرب وما فيهم من الدهاء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللّدد عند الخصومة،[8] فقال:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ

[1]- الشنقيطي: هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد في شنقيط (موريتانيا) سنة 1325هـ، عمل مدرسا بالمدينة المنورة، توفي بمكة سنة 1393هـ، من كتبه: « آداب البحث والمناظرة » و « ألفية في المنطق » ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج6، ص: 45.

[2]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، د.ط.ت، الجزء الأول، ص 32.

[3]- ينظر: التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، لشفيع السيد، دار الفكر العربي، مدينة نصر- مصر، الطبعة الرابعة، 1415هـ-1995م، ص: 15.

[4]_ الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرح وتعليق:د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت، الجزء الأول، ص:51.

[5]- سورة الرحمان: الآية 1-2.

[6]- سورة ءال عمران: الآية 138.

[7]_ سورة النحل: الآية 89.

[8]- ينظر: البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت، د.ط، 1423هـ_ 2003م، ص: 12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾[1]، وقال﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾[2]، وقال:﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾.[3]

إنّ مصطلح البيان بصيغه الاشتقاقية الواردة في القرآن الكريم بمعنى واحد، وهو الكشف والظهور والوضوح، بحيث لم نعثر على مفردة واحدة خرجت عن إطار معنى الوضوح والظهور.[4]

ج-البيان عند أهل البلاغة:

علمُ البيان في اصطلاحِ البلغاء: أصولٌ وقواعدُ يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى (ولابدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما). فالمعنى الواحد -ككرم سعد- يدلّ عليه تارة بطريق التشبيه بأن يقال: « سعدٌ كحاتم » ومرّة بطريق المجاز، بأن يقال: « رأيت بحرا في دار سعد » وأخرى بطريق الكناية، بأن يقال: « سعد كثير الرماد ».[5]

ينقل الجاحظ[6](ت255هـ) أقدم تعريف عن البيان وهو لجعفر بن يحيى(ت187هـ) إذ يقول: يقول: ((قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان ؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لابدّ منه أن يكون سليما من التكلّف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقد، غنيا عن التأويل. وهذا هو تأويل قول الأصمعي: البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر)).[7]

والبيان عنده واسع المعنى، وهو الكشف والإيضاح والفهم والإفهام، يقول: ((والبيان اسمٌ جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته،

---

[1]- سورة الأحزاب: الآية 19.

[2]- سورة مريم: الآية 98.

[3]- سورة المنافقون: الآية 4.

[4]- لمعرفة الجرد الكامل لآيات القرآن التي ورد فيها مصطلح البيان بصيغه الاشتقاقية المختلفة من أوّل سورة في القرآن إلى آخر سورة فيه، الرجاء ينظر: الإعجاز البياني: المرجع السابق، ص: 117-138.

[5]_ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، الطبعة السادسة، د.ت، ص: 197_198.

[6]- الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، ولد بالبصرة سنة 163، كبير أئمة الأدب، أحد شيوخ المعتزلة، توفي في محرّم سنة 255هـ. من كتبه: « البخلاء » و« الحيوان ». ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج 2، ص: 228.

[7]_ البيان والتبيين: المصدر السابق، ص: 175.

ويهجمَ على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأنّ مدار الأمر والغاية التي عليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغتَ الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)).[1]

كما يعرّفه ابن رشيق[2](ت463هـ) بأنّه: ((الكشف عن المعنى حتى تدركه النّفس من غير عقلة، وإنما قيل ذلك لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدلّ ولا يستحق اسم البيان)).[3]

في حين يقول الجرجاني[4](ت471هـ) عنه في بداية كتابه دلائل الإعجاز:((ثمّ إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأبسق فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وردا وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر وينفث السحر، ويقري الشهد ويريك بدائع الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إياها لبثت كامنة مستورة، ولما أنبتت لها يد الدهر صورة، ولاستمرّ السّرار بأهلتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء)).[5]

ثمّ يقول بين ربطه بين البيان والنّظم: ((ومن البيّن الجليّ أنّ التباين في هذه الفضيلة والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة. ليس بمجرد اللّفظ، كيف والألفاظ لا تفيد حتى تألف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده، ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصه أفاد كما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن

---

[1] _ البيان والتبيين: المصدر نفسه، ص: 56.

[2] _ ابن رشيق: هو الحسن بن رشيق، القيرواني، ولد بالمحمدية سنة 390هـ ، صاحب العمدة في صناعة الشعر، كان أبوه روميا، توفي بالقيروان سنة 456هـ، من كتبه:« العمدة في محاسن الشعر وآدابه »، ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 504.

[3] _ فنون بلاغية، البيان _ البديع، لأحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، 1395هـ _ 1975م، ص: 17.

[4]- الجرجاني: هو عبد القادر بن عبد الرحمان الجرجاني، أبو بكر النحوي، فارسي الأصل، كان من أئمة اللغة، نزيل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق، توفي سنة 471هـ، من كتبه: « أسرار البلاغة » و « إعجاز القرآن ». ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ- 1986م، الجزء الثاني، ص: 188.

[5] _ دلائل الإعجاز، لعبد القادر الجرجاني، شرحه وعلّق عليه:د. محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ _ 2005م، ص: 4_5.

تقول: « قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل »: « منزل قفا ذكري من نبك حبيب » أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان)).[1]

أمّا السكّاكي[2](ت626هـ) فعرّفه بقوله:((معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)).[3]

وعلى هذا المعنى سار تلميذه القزويني[4](ت739هـ) بقوله عن البيان:((هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه)).[5]

بعد النّظر إلى هذه التّعريفات نخلص إلى أنّ علم البيان عند علماء البلاغة عامّة هو:((العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه))[6] وهو تعريف أراه الأصوب الأصوب لأنّه السائد في عرف البلاغة، وهو المعنى الذي نقصده في هذا البحث، أي البيان الذي يشمل مختلف وجوه البلاغة التي يتوصّل بها إلى تأدية المعنى أداء كاملا. وهذا هو المعنى الذي سار عليه أكثر الدارسين في ميدان الدراسات البيانية.

فالمراد بالعلم هو: ((مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، كقواعد التشبيه، وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل)).

---

[1]_ أسرار البلاغة في علم البيان، لعبد القادر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ _ 2002م، ص: 13_ 14.

[2]_ السكاكي: هو يوسف السكاكي أبو يعقوب، ولد سنة 555هـ، من أهل خوارزم، عالم بالعربية والأدب، توفي سنة 626هـ. من كتبه: « مفتاح العلوم » و « رسالة في علم المناظرة ». ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج2، ص: 364.

[3]_ مفتاح العلوم، ليوسف بن علي السكاكي، علّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ _1987م، ص: 162.

[4]_ القزويني: هو محمد بن عبد الرحمان بن عمر، أبو المعالي، قاضي القضاة، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. ولد سنة 666هـ بالموصل، أصله من قزوين، توفي سنة 739هـ. من كتبه: « تلخيص المفتاح »، و « السور المرجاني من شعر الأرجاني ». ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 156.

[5]_ الإيضاح: المصدر السابق، ج4، ص: 4.

[6]- علم البيان _ دراسة تحليلية لمسائل البيان_ لبسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة _ مصر، الطبعة الثانية، 1425هـ _2004م، ص:11.

ثمّ يضيف قائلا: ((والمراد بالمعنى الواحد: المعنى الذي يعبّر عنه المتكلّم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال كمعنى الشجاعة والكرم ...فليس من البيان، الاقتدار على تأدية المعنى المفرد بألفاظ مترادفة نحو: الأسد والليث والسبع لأنّ معرفة ذلك يرجع إلى علم اللغة وليس إلى علم البيان.

والمراد باختلاف الطرق التي يؤدّي بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه: أن يكون بعضها واضحًا وبعضها أشدّ وضوحا، وليس المراد أن يكون بعضها واضحا وبعضها خفيا، لأنّ الخفاء المشكل الذي لا يفهم معه المعنى المراد معيب عند علماء البيان، إلا إذا أريد بالخفاء الدقة في أداء المعنى، بعيدا عن اللبس والإشكال، فلا غبار على إرادة ذلك)).[1]

[1]_ علم البيان: المرجع نفسه، ص:11_12.

ثانيا - تعريف الإعجاز البياني بالمعنى اللغوي والاصطلاحي:

انطلاقا من التّعريفات السابقة الخاصة بالإعجاز والبيان يمكن أن نعطي تعريفًا خاصاً بالإعجاز البياني من ناحية المفهوم اللغوي والاصطلاحي(البلاغي) فنقول:

الإعجاز البياني بالمفهوم اللغوي هو:((الإعجاز البياني التفصيلي الخاص بالآيات المحكمات، ويعتمد على الوضوح والبيان التفصيلي حيث لا تأويل معه، إذ هو موقوف على معنى واحد)). وهذا التّعريف هو بالمفهوم الواسع والشامل.

أمّا المقصود بالمعنى الاصطلاحي هو: الإعجاز البلاغي المشتمل على الصور البلاغية من تشبيه ومجاز وكناية وغيرها.[1] وهو المعهود لدى أئمّة البلاغة.

كما يمكن انطلاقا من تعريف الإعجاز الذي اخترناه أن نتخصّص أكثر، وذلك بإضافة نوع الإعجاز المدروس وعليه فالإعجاز البياني هو:((إثبات عجز الإنس والجن بالتحدّي على الإتيان بمثل القرآن في بيانه، قصد إظهار صدق الرسول في دعواه)).[2]

ممّا سبق يمكن أن نقول أنّ الإعجاز البياني هو الإعجاز الخاص ببيان وبلاغة القرآن وما يحويه من صور بلاغية أعجزت الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله.

---

[1] _ أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم، لحورية عبيب، دار طليطلة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1433هـ _ 2012م، ص: 25.

[2]- الإعجاز البياني: المرجع السابق، ص: 71.

المبحث الثاني: أنواع الإعجاز القرآني.

وفيه أربع مطالب

المطلب الأول: الإعجاز البياني.

المطلب الثاني: الإعجاز الغيبي.

المطلب الثالث: الإعجاز التشريعي.

المطلب الرابع: الإعجاز العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد تقرّر في تاريخ الأديان، وفي نصوص الكتب المقدّسة أنّ كلّ نبيّ مرسل يحمل إلى قومه دليل صدقه في معجزة يتحدّاهم بها لتكون دليلا على صدق نبوّته التي أرسله الله بها، ومن الطّبيعي أن تكون هذه المعجزة من جنس ما اشتهر به القوم، ومتوافقة مع علوم العصر وفنونه، فلقد اقتضت حكمة الله أن يبعث الرّسل ومعهم المعجزات ليؤيّدهم بها، وأن تكون ممّا نبغ فيه قومهم، حتى لا يقال إنّ الرّسول قد تحدّى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه، وإلاّ فلا يكون للتحدي قيمة.

كما أنّ اختلافها في أجيال النّاس هو مما اقتضته الحكمة التي جاءت من أجلها، ذلك أنّ النّاس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فكان لابدّ أن تكون جارية مع تفكير من تلقاهم وتتحدّاهم آخذة بعقولهم وقلوبهم. فمثلا قومُ موسى - عليه السلام- اشتهروا بالسّحر فكانت معجزته العصا التي تلقّف ما صنعوا، وكذلك عيسى - عليه السلام- اشتهر قومه بالطب، واجتهدوا في علاج أمراض متعددة، فكان يُبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وغير ذلك من المعجزات الدّالة على صدق ونبوّة الأنبياء - عليهم السلام-، إلا أنّها انتهت بوفاتهم، وتعدّ معجزات حسية من رآها فقد آمن بها ومن لم يراها صارت عنده خبرا إن شاء صدّق وإن شاء لم يصدّق، ولو لم ترد في القرآن لكان من الممكن أن يقال أنّها لم تحدث.

ولما بُعث النّبي - صلّى الله عليه وسلّم- إلى النّاس أجمعين أيّده الله -عزّ وجلّ- بمعجزة القرآن الكريم التي تعتبر من أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة، وهي باقية بقاء الدهر تتّصف بصفة الاستمرار والخلود، تعجز الأوّلين والآخرين، أيّده الله بها لإفحام قومه الذين كانوا مشهورين بالبلاغة والفصاحة والبيان، لأنّها مشاكلة لما أتقنه قومه وتفوّقوا فيه، فكانت دليلاً على صدقه أمام قومه، وأمام الأمم اللاحقة من بعده.

إنّ القرآن الكريم معجزةٌ خالدة وحجّة قائمةٌ على العرب، لأنّه دعاهم إلى التّحدي فأفحمهم وأعجزهم، ووجوه إعجازه لا نهاية لها، وهي باقية إلى يوم القيامة، وقد درس العلماء جوانب الإعجاز فيه، فوجدوا وجوها متعدّدة، منها[1]:

[1] _ ينظر: تاريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، لنعيم الحمصي، قدم له الأستاذ محمد بهجة البيطار، دمشق،د.ط، 1374هـ _ 1955م. إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، د.ط. 2013م، ص: 83-103. (حيث يجد الراغب في معرفة الوجوه بصفة مستفيضة مع الشرح).

المطلب الأول: الإعجاز البياني.

لقد بلغ العربُ قبل البعثة النّبوية في ميدان البيان والبلاغة والفصاحة ما لم يبلغه قوم قبلهم، يشهد لهم ما وصلنا منهم من تراث بياني حافل خصوصا في ميدان الشعر الذي مازال إلى يومنا هذا نتذوّق حلاوته، فلقد فاق هذا الشعر شعر اليونان والرومان في دقّة التعبير وواقعيته، فكانت معجزة النّبي-صلّى الله عليه وسلّم-بيانية بلاغية من جنس ما برع العرب فيه ليكون التّحدي بها له معنى، فبدأت هذه المعجزة _ الإعجاز البياني _ تفرض وجودها على العرب مند نطق المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم-ما أنزل إليه من ربّه، فأدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي أن يجد في الإتيان بمثله، فكان التحدي، لأنّهم وجدوا أنفسهم أمام بلاغة محكمة ونظم بديع، وبيان من لدن حكيم خبير، قال تعالى:﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾،[1] فلمّا عجزوا عن ذلك تحدّاهم سبحانه بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ ،[2] فلمّا ظهر عجزهم تحدّاهم بسورة واحدة، قال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾،[3] بل طلب منهم أن يتعاونوا مع أيّ جهة أو فريق لتحقيق هذا المطلب، فقال سبحانه:﴿وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .[4] فلمّا استيقنت أنفسهم أنّهم عجزوا عن الإتيان بمثله، أعلنوا العداوة جهارا على النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-وعلى أتباعه، فثبت إعجاز القرآن الكريم، ودلّ على صدق النّبي - صلّى الله عليه وسلّم-في دعواه وأنّه مرسل من عند الله -عزّ وجلّ- مؤيّد بنصره.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة الطور: الآية 34.

[2]- سورة هود: الآية 13.

[3]- سورة يونس: الآية 38.

[4]- سورة يونس: الآية 38.

وثمّة دراسات غزيرة قديماً وحديثا بيّنت معالمه، ومن هذه الدراسات« معاني القرآن » للفرّاء[1](ت207هـ) ركّز فيه كثيرا على الاستعمال المجازي للألفاظ في أسلوب القرآن،[2] و« نظم القرآن » للنظام[3](ت 231هـ)، وقد تحدّث عنه الجاحظ (ت255هـ) في« الحيوان »، كما أنّ لهذا الأخير عدّة دراسات من بينها:« نظم القرآن » و« آي القرآن» و« البيان والتبيين » و« الحيوان » و« حجج النبوة »، والواسطي[4](ت307هـ) له كتاب « إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » والطبري (ت310هـ) له« جامع البيان في تأويل آي القرآن » والباقلاني[5](ت403هـ) له « إعجاز القرآن » ويرى أنّ نبوّة نبينا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بنيت على معجزة القرآن، وإن كان قد أُيّد بعد ذلك بمعجزات كثيرة، ولم يستطع أعداؤه معارضته أو الإتيان بمثل ما جاء به مع طول المدّة ووقوع الفسحة[6].

---

[1]- الفرّاء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرّاء، أبو زكرياء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، قيل عنه لولا الفرّاء ما كانت عربية، ولولاه لسقطت العربية، قال أبو العباس:((كتب الفرّاء لا يوازيها كتاب)) . توفي في طريق مكة سنة 207هـ، من كتبه: « معاني القرآن ». ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص: 131.

[2]- ينظر: الدرس البلاغي عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، لرابح دوب، أطروحة دكتوراه، سنة 1994م، ص: 56-75.

[3]- النظّام: هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق، المعروف بالنظام، من أئمة المعتزلة، تبحّر في علوم الفلسفة، لحسن كَلَامه نظماً ونثراً وَقَالَ غَيرهم إِنَّمَا سمي بذلك لِأَنَّهُ كَانَ ينظم الخرز بسوق الْبَصْرَة ويبيعها، له كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال، توفي سنة 231هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، 1420هـ- 2000م، الجزء السادس، ص:16.

[4]- الواسطي: هو محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، أبو عبد الله، من كبار علماء الكلام، معتزلي، أخذ عن أبي علي الجبائي واليه كان ينتمي أصله من واسط، سكن بغداد، وتوفي بها سنة 307هـ. من كتبه: « إعجاز القرآن » و « الإمامة »، ينظر: الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1398هـ- 1978م، ص:245.

[5]- الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلاني، ولد في البصرة وسكن بغداد، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، توفي سنة 403هـ. من كتبه: « إعجاز القرآن »، و« الإنصاف »، ينظر: سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، د.ط.ت، الجزء الثالث والثلاثون، ص:183.

[6]-إعجاز القرآن للباقلاني: المصدر السابق، ص: 55.

في حين الجرجاني(ت471هـ) له كتاب كبير في شرح « إعجاز القرآن » للواسطي (ت307هـ) سمّاه « المعتضد »، كما له « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز »، والزملكاني[1] (ت651هـ) له كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ».

السيوطي (ت911هـ): له « الإتقان في علوم القرآن » وقد خصّص النّوع الرابع والستين فيه لإعجاز القرآن الكريم، ويقول عن الجانب البياني فيه أنّه يتمثّل في ((خرقه العادة في أسلوبه وبلاغته)) ثمّ يضيف ويقول:((ولما جاء به النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- إليهم وكانوا أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء، وتحدّاهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا)).[2]

كما أنّ الرافعي(ت1356هـ) له كتاب « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » تناول فيه كثيرا من علوم القرآن إلا أنّه ركّز على الإعجاز البياني الذي يرى أنّ مادته تكمن في أسلوب القرآن الفريد. ومحمّد عبد الله دراز(ت1958م)[3] صاحب كتاب « النّبأ العظيم » تحدّث عن لغة القرآن فقال: ((فالجديد في لغة القرآن أنّه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخيّر له اشرف المواد وأمسّها رحما بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد)).

ثمّ يضيف قائلا:((وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان))[4]، وعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ لها « التفسير البياني للقرآن الكريم »، ومحمّد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ) له « تفسير التحرير والتنوير » يقول فيه:((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية)) ثمّ يضيف قائلا: ((وقد بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه)).[5]

إنّ سرد هذه الدراسات البيانية جاء من باب توضيح ما وصل إليه المسلمون في هذا الميدان، ولأجل استلهام ذلك في هذا البحث خاصة في الجانب التطبيقي.

---

[1]- الزملكاني: عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، أبو المكارم، كمال الدين، أديب، من القضاة، الشافعي المعروف بابن خطيب زملكان وبابن الزملكاني، وزملكان قرية بغوطة دمشق توفى بها سنة 651. ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد البابابي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ط.ت، الجزء الأول، ص:635.

[2]- الإتقان: المصدر السابق، ص: 464.

[3]- محمد دراز: هو محمد بن عبد الله دراز، فقيه مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، توفي بالهند سنة 1958م من كتبه: « الدين » و « النبأ العظيم » . ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج6، ص: 246.

[4]- النبأ العظيم: المصدر السابق، ص: 92.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق،ج1، ص: 8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الإعجاز الغيبي.

من أنواع الإعجاز القرآني الإعجاز الغيبي أو الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب ويقصد: ((به كل ما كان غائبا عن محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، ولم يكن موجودا أثناء الواقعة، ولم يكن على علم بتفصيلاتها)).[1] فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون وما وقع إلى مبعث رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- ، وكذلك يشمل ما غاب عنه -صلّى الله عليه وسلّم-في وقته من الحوادث، ويشمل أيضا ما تضمّنه من أخبار ستقع في المستقبل.

يتّضح ممّا سبق أنّ كلمة الغيب تشمل معان ثلاث: غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل، وعليه فالإعجاز الغيبي نعني به إخبار القرآن الكريم عن غيب ماض، أو حاضر، أو مستقبل، وهذه الأخبار عن الغيوب لا يقدر عليها البشر ولا سبيل لهم إليه[2].

يقول الشيخ محمّد أبو زهرة (ت1394هـ)[3] في كتابه المعجزة الكبرى:((هذا باب من أبواب الإعجاز، فيه جزء من القصص، والجزء الثاني من الأخبار التي يتحدّث القرآن فيه عن المستقبل، فالغيب المذكور في القرآن نوعان أحدهما غيب مضى، وهو جزء القصص، والثاني عن أمور تقع في المستقبل وكلاهما إعجاز، أو من دلائل الإعجاز مع البلاغة والبيان، ومع العلوم القرآنية، والأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم)).[4]

وسنعطي أمثلة عن هذه الأخبار الغيبية الثلاث: أمّا غيب الماضي فمن أين عرف محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- أخبار الأمم السابقة، ولقد سمّى الله تعالى الأخبار عن الأمم السابقة غيبا، فكثير من الآيات تشير إلى أنّ هذه الأمور _ أخبار الأمم _ ما كان لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أن يعلمها إلا عن طريق الوحي، فمثلاً بعد ذكر قصّة مريم- عليها السلام- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا

[1]- مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ-1996م، ص :279.

[2]- إعجاز القرآن للباقلاني: المصدر السابق، ص: 83.

[3]- أبو زهرة: هو محمد بن أحمد أبو زهرة، ولد سنة 1316هـ بمدينة المحلى الكبرى بمصر، أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، تولى عدّة مناصب علمية في الجامعة، أصدر أكثر من أربعين كتابا، توفي سنة 1394هـ. ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج6، ص: 25.

[4]_ المعجزة الكبرى، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط.ت، ص: 339.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾،[1]ويقول بعد قصّة نوح- عليه السلام:﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ ،[2] فإنّ هذين النّصين يَدلان على أنّ القرآن من عند الله، وأنّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- لم يكن على دراية.[3]

أمّا غيب الحاضر فيُقصَد به: ((ما جرى في عصر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-من حوادث لم يحضرها، ثمّ نزل القرآن الكريم متضمّنا لها ومخبرا بحقيقة ما جرى)).[4]

ولهذا الغيب غاية أساسية هي تأييد الدّعوة والأخذ بيدها والسير بها على بيّنة من أمرها، ولعلّ بذكر الأمثلة تتّضح هذه الغاية وإن كان في معظمها تتعلّق بكشف خطط الكفّار وكيدهم للقضاء على الدّعوة، وإطفاء نور الله تعالى، فمن ذلك:

- ما ورد في شأن اليهود عندما أخبر القرآن الكريم عن أساليبهم الملتوية في إدخال الأحزان في قلوب المسلمين يقول تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ [5]، ذلك أنّهم كانوا يتناجون بينهم حتى يظنّ المسلم أنّهم يتناجون بقتله، فنهاهم النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن ذلك فلم ينتهوا[6] فأنزل الله:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ ﴾.[7]

- أمّا عن شأن المنافقين وما ورد في حقّهم، فلقد أخبر القرآن عن الأساليب التي كانوا يلجئون إليها والمواقف المخزية التي وقفوها مع النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، ومن ذلك الموقف المتخاذل في غزوة تبوك _ غزوة العسرة _ بعد محاولتهم تثبيط المسلمين عن الخروج للجهاد، وتخلّفهم وانسحابهم من

---

[1]- سورة ءال عمران: الآية 44.

[2]- سورة هود: الآية 49.

[3]- ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: المرجع السابق، ص:281.

[4]- مباحث في إعجاز القرآن: المرجع نفسه، ص: 285.

[5]- سورة المجادلة: الآية 8.

[6]- ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: المرجع السابق، ص:287.

[7]- سورة المجادلة: الآية 8.

المعركة مع تبرير فعلتهم بأتفه الأعذار، كاعتذارهم بالخشية من فتنة نساء الروم لكثرة جمالهنّ[1]، فنزلت الآية وهي تعري حقائقهم :﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ
وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى
ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.[2]

أمّا الحديث عن غيب المستقبل فهو إخبار القرآن عن أحداث ستقع في المستقبل، ولم يحدث أن تجاوزت الواقع أبدا، ومن هذه الحوادث التي أخبر القرآن أنّها ستقع وكان وقوعها دلالة صدق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، منها إخبار القرآن عن هزيمة الفرس بعد غلبهم، فقد قال سبحانه:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3]

وقد حدث ما أخبر به القرآن، ودارت الحرب من بعد ذلك وهزم الفرس في بضع سنين، ولم يكن النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- ممّن حضر هذه الحرب، ويعلم أخبارها ومآلها، وقد تفاءل المشركون من هزيمة الرّوم، وهم أهل كتاب، وعلو الفرس، وهم أهل شرك، وظنّوا من ذلك أنّ دعوة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-مآلها الخسران،[4] وبالتالي يتحقّق ما أخبر به القرآن الكريم، وتتحقّق نبوّة المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 492.

[2]- سورة التوبة: الآية 46- 49.

[3]- سورة الروم: الآية 1-4.

[4]- ينظر: المعجزة الكبرى: المصدر السابق، ص: 341. جامع البيان: المصدر السابق، ج18، ص: 447. البرهان: المصدر السابق، ج2، ص:63.

ولو ذهبنا نتتبّع أخبار القرآن الكريم في هذا الجانب من الغيب لطال بنا الكلام، وسأقتصر على ذكر بعض الآيات منها: قوله تعالى:﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾،[1]﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾،[2]﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾،[3]﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ،[4]﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ .[5]

إنّ هذه الأخبار الصّادقة التي جاء بها القرآن الكريم لدليلٌ واضحٌ وبرهان ساطع على أنّه كلام ربّ العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله على رسوله ليكون دلالة على صدقه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- سورة القمر: الآية 45.

[2]- سورة المائدة: الآية 67.

[3]- سورة الفتح: الآية 27.

[4]- سورة الحجر: الآية 9.

[5]- سورة الحجر: الآية 95.

المطلب الثالث: الإعجاز التشريعي.

لقد عرفت البشرية على مدى العصور أنواعًا مختلفة من النّظم والتشريعات والمذاهب والنّظريات التي تسعى لخدمة وسعادة الفرد الإنساني، ولكن هذه الأخيرة لم تبلغ ما بلغه القرآن من حيث إنّه دستور تشريعي يبدأ بتربية الفرد، لأنّه لبنة المجتمع، ويحرّر وجدانه بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم حتى يكون عبدًا مخلصا لله، وإذا صحّت عقيدته كان لزاما عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات. ومن الاهتمام بالفرد إلى الاهتمام بالأسرة، فشرّع القرآن الزواج استجابة للفطرة وإبقاء على النوع البشري، وبعد الأسرة انتقل إلى نظام الحكم الذي يسود المجتمع، فقرّر قواعد الحكومة الإسلامية، كما قرّر حماية المقاصد الضرورية الخمس للحياة الإنسانية وهي: النّفس والدّين والعرض والمال، والعقل، ورتّب عليها العقوبات التي تعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود، كما قرّر العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الحرب والسلم.[1]

وعلى العموم فقد اشتمل القرآن الكريم على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم ولم يترك جانباً إلا كانت له نظرته الخاصة وتشريعه بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة يخرج عن طوق البشر إحاطةً ودقّةً وشمولاً. قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾.[2]

يقول الشيخ محمّد أبو زهرة (ت1394هـ)في كتابه « المعجزة الكبرى »:

((إنّ ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلّق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودّة والرحمة والعدالة، لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية، وإذا وازنا ما جاء في القرآن بما جاءت به قوانين اليونان والرومان وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنّظم بما جاء في القرآن، وجدنا أنّ الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور، مع أنّ قانون الرومان أنشأته الدولة الرومانية في تجارب ثلاثمائة سنة وألف من وقت إنشاء مدينة روما إلى ما بعد خمسمائة من الميلاد، ومع أنّه قانون تعهده علماء قيل أنّهم ممتازون.منهم: « سولون » الذي وضع قانون أثينا، ومنهم « ليكورغ » الذي وضع نظام أسبرطة.

---

[1]- للاطلاع أكثر عن هذا الموضوع، ينظر: مباحث في علوم القرآن: المرجع السابق، ص: 252-256.

[2]- سورة المائدة: الآية 3.

فجاء محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- ومعه القرآن الذي ينطق بالحقّ عن الله سبحانه وتعالى، من غير درس درسه، وكان في بلد أميّ ليس فيه معهد ولا جامعة، ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني، لم يسبقه سابق، ولم يلحق به لاحق)).[1]

وخلاصةُ القول أنّ القرآن الكريم دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة، وسيظلّ إعجازه التشريعي آية على كون القرآن من عند الله- عزّ وجلّ- وليس من عند البشر، فلقد نزل على أمّة أميّة لا تعرف نظاماً تشريعياً مكتوباً أو محفوظاً، ينظّم علاقاتهم مع بعضهم البعض، فأين لمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-بهذا النّظام الذي غيّر وجه التاريخ، وقد حاول أعداؤه قديما وحديثا أن يثيروا شبهات وثغرات كثيرة حول ما جاء به، بيد أنّها سقطت أمام الحجّة السّاطعة.

[1]- المعجزة الكبرى: المصدر السابق، ص: 428.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: الإعجاز العلمي.

إنّ القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، يُخاطب الضّمير ويحثُّ على التّفكير ولا يشلّ حركة العقل أو يحول بينه وبين الاستزادة العلمية، فهو في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على النّاس قد وُفّق كلّ التّوفيق، بل كان معجزا عندما حاكم النّاس إلى عقولهم وفتح عيونهم إلى الكون وما فيه من حقائق وخصائص وظواهر وسنن؛ لأنّ حديثه عن تلك الحقائق الكونية كان حديث العليم بأسرارها، الخبير بدقائقها، المحيط بعلومها ومعارفها.[1]

وهو ضرب من الإعجاز يناسب الأقوام التي لم تعرف بالبيان والفصاحة، وهذا الضرب هو الإعجاز العلمي، ونعني به الإخبار عن حقائق أكّدها العلم الحديث مع عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول - صلّى الله عليه وسلّم -.[2]

وقد ورد في القرآن الكريم إشاراتٌ إلى حقائق على لسان نبي أميّ نشأ في أمّة أميّة جاهلة، لا صلة له بالعلوم وتدوينها، ولا إلمام له بكتبها ومباحثها، ثم ثبت صحّة مضمونها مع ازدهار العلم الحديث، وقبل ذكر هذه الحقائق لابدّ أن نتكلّم عن الذين يحرصون على أن يتضمّن القرآن الكريم كلّ نظرية علمية، وكلّما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا في الآيات القرآنية، فهم في زعمهم هذا مخطئون، ومنشأ الخطأ في هذا أنّ العلوم تتجدّد نظرياتها مع مرور الزمن، وكثيرٌ من النّظريات أو القواعد العلميّة التي ظنّ أنّها من المسلّمات تزعزعت بعد ثبوتها وتقوّضت من أساسها فأبطلت، فإذا فسّرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائض كلّما تبدّلت القواعد العلمية.[3]

يقولُ الأستاذ سيّد قطب(ت1387هـ)[4]: ((وإنّي لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها كأنّما ليعظموه بهذا ويكبروه)) .

---

[1]- ينظر: مناهل العرفان: المصدر السابق، ص:22.

[2]- ينظر: مباحث في علوم القرآن: المرجع السابق، ص: 247.

[3]- ينظر: مباحث في علوم القرآن: المرجع نفسه.

[4]- السيد قطب: هو سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسيوط سنة 1324هـ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة، انضم إلى الإخوان المسلمين وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها إلى أن صدر الأمر بإعدامه، توفي سنة 1387هـ. من كتبه:« العدالة الاجتماعية في الإسلام » و« التصوير الفني في القرآن ». ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج3، ص: 147.

ثمّ يضيف قائلا: ((إنّ الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة. أمّا ما يصل إليه البحث الإنساني _ أيًّا كانت الأدوات المتاحة له _ فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة؛ وهي مقيّدة بحدود تجاربه وظروفه هذه التجارب وأدواتها. فمن الخطأ المنهجي _ بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته _ أن نعلّق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كلّ ما يصل إليه العلم البشري .

هذا بالقياس إلى « الحقائق العلمية » والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات الفروض التي تسمّى « علمية » فهي قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والإضافة؛ بل قابلة لأنّ تنقلب رأسا على عقب، بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة.

وكلّ محاولة لتعليق الإرشادات القرآنية العامّة بما يصل إليه العلم من نظريات متجدّدة متغيّرة _ أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا _ تحتوي أولا على خطأ منهجي أساسي، كما أنّها تنطوي على معان ثلاثة، كلّها لا يليق بجلال القرآن الكريم)).[1]

إنّ القرآن الكريم هو كتابُ عقيدة وهداية، وإعجازه العلمي لا يشتمل على النّظريات العلمية التي تتجدّد وتتبدّل، وإنّما في حثه على التّفكير والتدبّر في الكون، فهو يجعل التّفكير والنّظر في الكون من أهمّ وسائل تثبيت العقيدة وأعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله- عزّ وجلّ-، كما يحثّ الإنسان على التّفكير في مخلوقات الله- عزّ وجلّ- وفي نفسه وفي الطبيعة التي تحيط به، ويثير فيه الحس العلمي للتّفكير والفهم والتعقّل، ويرفعه كذلك بفضيلة العلم، فهو بمثل هذه الأمور يفتح للإنسان أبواب المعرفة ويدعوه للتعلّم والاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ومع هذا فقد ورد في القرآن إشارات علمية سيقت مساق الهداية، نذكر منها على سبيل المثال: التلقيحُ في النبات، ذاتي وخلطي: والذاتي: ما اشتملت زهرته على عضوي التذكير والتأنيث، والخلطي: هو ما كان عضو التذكير فيه منفصلا عن عضو التأنيث كالنّخيل، فيكون التلقيح بالنّقل. ومن وسائل ذلك الرّياح،[2] وجاء في هذا قول الله تعالى:﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾.[3]

---

[1]- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1397هـ-1977م، الجزء الأول، ص: 181-182. ولمعرفة هذه المعاني الثلاث، ينظر المرجع نفسه، ص: 182-183.

[2]- مباحث في علوم القرآن: المرجع السابق، ص: 249.

[3]- سورة الحجر: الآية 22.

وفي علم الأجنّة والظواهر الجويّة، وخصائص الأرض والكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء، كلّها إشارات علميّة جاءت في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبّر، رغم أنّه عجز عن الإحاطة بهذه الإشارات والوصول إلى ماهيتها وأسرارها.[1]

إنّ سوْق القرآن الكريم هذه الإشارات بهذه الدقّة المتناهية تجعل كلّ صاحب عقل منصف إلى القول بأنّ هذا القرآن هو تنزيل العزيز الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما.

[1]_ للاستزادة من معرفة هذا النوع من الإعجاز، ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، لأحمد مصطفى متولي، دار بن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ _ 2005م، ص: 10 _ 438.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البابُ الثاني

مظاهر الإعجاز البياني في القراءات في السور المكية والسور المدنية.

وفيه فصلان

الفصل الأول: الإعجاز البياني في السور المكية

الفصل الثاني : الإعجاز البياني في السور المدنية

الفصل الأول: الإعجاز البياني في السور المكية
وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأوّل: الاختلاف الوارد في الأسماءِ وَالأفعال الجامدة والمشتقَّة

المبحث الثاني: الاختلاف في العامل النحْوي.

المبحث الثالث: الاخْتلاف في صور الالتفات والجانب الصّرفِي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل: الاختلاف الوارد في الأسماءِ وَالأفعال الجامدة والمشتقَّة

وفيه ثمان مطالب

المطلب الأوّل: الأفعال التِي يرجع الاخْتلاف فِيها إِلى أصل الاشتقاق.

المطلب الثاني: الأفعال التي يرجع الاخْتلافُ فِيهَا إلى نوع الاشتقَاق.

المطلب الثَّالث: وقوع الكلمة بين الماضي المبني للفاعل، والمبني للمَفعول.

المطلب الرّابع: وقوع الكَلمة بَين المُضارِعِ المبني للفاعل والمبْني للمفعول.

المطلب الخامس: وقوع الكلمة بين اسم الفاعل واسم المفعول

المطلب السادس: وقوع الكلمة بين اسم الفاعل والصفة المشبهة

المطلب السابع: وقوع الكلمة بَين صِيغ مُختلفة.

المطلب الثامن: وقوع الكلمة بين التذكير والتأنيث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلَب الأول: الأفعال التي يرجع الاخْتلافُ فِيهَا إلى أَصْلِ الاشتقَاق.

يوجد في هذا المطلب أمثلة قرآنية مختلفة القراءات، حيث قرئت بوجهين مختلفين، وكان الخلاف فيها يرجع إلى أصل الاشتقاق، بمعنى أنّ مادّة الكلمة في القراءتين واحدة[1]، وسوف نبين الإعجاز البياني في ضوء هذا الاختلاف من خلال دراسة دلالات هذا التغيير في كلّ قراءة.

وقبل الدخول في تفاصيل هذا المطلب نجد من تمام المنفعة أن نعرّف الاشتقاق، فنقول هو: ((أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير اللفظ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام صغير وكبير وأكبر))[2]، أو هو((أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى))[3].

المثال الأول:

قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩ ﴾[4]

يُنكرُ الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية أن يكون هناك شيء يدعو المؤمنين إلى ترك الأكل ممّا ذُكر اسم الله عليه، فقد أباح لهم أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، خاصّة وقد فصّل لهم ما حرّم عليهم في قوله: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ ١٤٥ ﴾[5]

ثمّ استثنى بعد ذلك حال الاضطرار، فإنّه يُباح أكل ممّا هو محرّم إن وُجد حال الضرورة، مبيّناً في آخر الآية جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة، في استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله فهم

---

[1]- القراءات وأثرها: المصدر السابق، ج1، ص 425.

[2]- شذا العَرف في فنّ الصرف، لأحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان، الرياض، د.ط.ت، ص: 111.

[3]- كتاب الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م، ص: 26. وللإطلاع أكثر حول موضوع الاشتقاق وأصله ينظر كتاب: الاشتقاق ودوره في نمو اللغة، لفرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995م.

[4]- سورة الأنعام: الآية 119.

[5]- سورة الأنعام: الآية 145.

يَضلون النّاس بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك بأهوائهم الباطلة وبغير علم، والله أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم.[1]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾، فقرأها الكوفيون[2] بضمّ الياء على أنّه مضارع من «أضلّ» الرباعي، وقرأ الباقون بفتحها[3] على أنّه مضارع من«ضلّ» الثلاثي، وسوف نمضي الآن لنستجلي دلالة كلّ قراءة ومعانيها، ونستجلي أيضا المقاصد التي تشير إليها القراءتان من خلال المعاني التفصيلية لكلّ قراءة، مع ذكر نوع المقصد.

أمّا قراءةُ الضمّ فالمرادُ منها أنّهم يُضلّون النّاس والتقدير:« وإنّ كثيرا ليضلّون أشياعهم وأتباعهم »، فحذف المفعول به، لأنّ لفظ ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ فعل رباعي متعدي، والمعنى:« ليضلّون النّاس »؛ لأنّهم لا يضلّون النّاس إلا وهم ضالون في أنفسهم، ذلك أنّ كلّ مضل ضالٌ، وليس كلّ ضال مضلٌ، وهذا أبلغ في الذم[4]؛ لأنّ الضال قد يكون ضلاله مقصورا على نفسه لا يتعدّاه إلى غيره، لذلك فهم يتحمّلون إثمهم وإثم من يُضلّونهم، كما قال تعالى:﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾[5]، فالإضلال إذن أكثرُ استحقاقا للذمّ من الضلال لأنّهم وُصفوا به ممّا يدلّ على أنّهم في الضلال أذهب وعن الهدى أبعد[6].

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ- 1999م، الجزء الثالث، ص: 323.

[2]- يقصد بهم: عاصم والكسائي وحمزة.

[3]- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ط.ت، ص: 267. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه: اوتورتزل، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1404هـ-1984م، ص: 106. الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن خلف الأنصاري بن الباذش: تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1403هـ، الجزء الثاني، ص: 642.

[4]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ط.ت، ص: 658.

[5]- سورة العنكبوت: الآية 13.

[6]- الحجّة للقرّاء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، حقّقه: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م ص: 397. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1428هـ - 2007م، الجزء الثاني، ص: 28. الموضح في وجوه القراءات وعللها، لابن أبي مريم، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، إشراف: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ، الجزء الأول، ص: 498.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمّا أبو منصور(ت370هـ)[1] فيذهب إلى أنّ معنى هذه القراءة هي: ((الذي يضلّه الله، والذي يُضلّ النّاس عن القرى)).[2] أي: الإضلال أوّلا من الله، ثمّ يكون بين النّاس.

يقول ابن زنجلة (ت403هـ)[3] في حجّة وصفهم بالإضلال:((أنّ الذين أخبر الله عنهم بذلك قد ثبت لهم أنّهم ضالون بما تقدّم من وصفه جلّ وعزّ إيّاهم بالكفر به قبل أن يصفهم بالإضلال، فلا معنى إذًا لوصفهم بالضلال وقد تقدّم أنّهم ضالون، فكان وصفهم بأنّهم يضلّون النّاس يأتي بفائدة غير ما تقدّم من وصفهم في الكلام الأوّل، فهم ضالون بشركهم ويضلّون غيرهم بما جاؤوا به)).[4]

يُفهم من كلام ابن زنجلة(ت403هـ) أنّ وصف المشركين في هذه الآية بأنّهم يُضلّون النّاس يأتي بفائدة التي هي فائدة الإضلال، ولا معنى لوصفهم بالضلال؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ- قد أثبت ذلك من قبل، فهم ضالون بشركهم ويضلّون غيرهم.

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ قراءة الضمّ أفادت معنى الإضلال دون الضلال، الإضلال أوّلا من الله —عزّ وجلّ- ثمّ يتعدّاه إلى النّاس، والإضلال أكثر استحقاقا للذمّ من الضلال، فما الذي أفادته قراءة الفتح يا ترى؟

إنّ المراد بقراءة الفتح هي الضلال دون الإضلال، فهُم يَضلُّون في أنفسهم باتّباع أهوائِهم من غير أن يضلّوا غيرهم، وحجّتهم قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [5]، وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[6] فوصفهم بالضلال لا

---

[1]- أبو منصور: هو محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللغوي الأديب الهروي الشافعي أبو منصور، ولد سنة 282هـ،كان رأسا في اللغة، توفي سنة 370هـ. من كتبه: « التهذيب في اللغة » و « التقريب في التفسير ». ينظر:بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 19.

[2]- معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة: د. عيد مصطفى درويش ود. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م، الجزء الأول، ص: 383. لعلّه يريد:« الذي يضل الناس عن الطريق إلى القرى » ينظر: المصدر نفسه.

[3]- ابن زنجلة: هو عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، عالم بالقراءات كان قاضيا مالكيا قرأ على أحمد بن فارس كتابه (الصاحبي) سنة 382هـ في المحمدية (بالري) توفي سنة 403هـ. من كتبه: « حجة القراءات ». ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ج3، ص: 325.

[4]- حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمان بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1418هـ - 1997م، ص: 269-270.

[5]- سورة النحل: الآية 125.

[6]- سورة ءال عمران: الآية 90.

لا بالإضلال،[1] ذلك أنّه فعل ثلاثي غير متعدّ، يقال: « ضلّ فلان يضلُ في نفسه »، لا يدلّ على إضلاله غيره.[2]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((والمعنى واحد لأنّ الضال من شأنه أن يضلّ غيره، ولأنّ المضِلّ لا يكون في الغالب إلا ضالا، إلا إذا قصد التغرير بغيره، والمقصود التحذير منهم، وذلك حاصل على القراءتين)).[3]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ قراءة الضمّ تضمّنت قراءة الفتح، وهي أبلغ في الذم، ذلك أنّ الذي يُضلّ النّاس فهو ضالٌ في نفسه، وليس إذ ضلّ في نفسه أن يضلّ أحدًا بذلك الضلال، وعلى هذه القراءة تأتي الفائدة؛ لأنّهم قد وُصفوا من قبل بالضلال، فوُصفوا بالإضلال لأنّهم يضلُون أنفسهم وغيرهم. في حين أفادت قراءة الفتح معنى إضلال أنفسهم دون غيرهم فيتحمّلون وزرهم دون وزر غيرهم، وكلّه إضلالٌ من الله لهم، فالله – عزّ وجلّ- مضلّهم فأضلوا أنفسهم وغيرهم.

لعلّنا نلحظ أنّ الثّمرة من القراءتين واحدة، لكن لكلّ حركة منهما دلالة منبَهةٌ على شيء، فقراءة الضمّ امتدادٌ لقراءة الفتح؛ لأنّ الضالّ من شأنه أن يُضلّ غيره كما أنّ المضلّ لا يكون في الغالب إلا ضالاً، وعليه فالمقصد واحد من القراءتين، كما أنّ نوعه يندرج تحت مقصد التشريع[4].

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءة من قرأ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ بمعنى أنّهم يُضلّون غيرهم، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه أخبر نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- عن إضلالهم من تبعهم، ونهاه عن طاعتهم، واتباعهم إلى ما يدعونه إليه، فقال:﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [5] ثمّ أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه، فقال لهم: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾نظير الذي قال لنبيّه ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾)).[6]

---

[1]-الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 395. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 270. الموضح: المصدر السابق، ص:498

[2]- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ط.ت، الجزء الرابع، ص: 357.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج8، ص: 36.

[4]-ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

[5]- سورة الأنعام: الآية 116.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج8، ص: 13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾[1]

تُخبرنا الآية الكريمة أنَّ الكافرين المكذّبين بآيات الله—عزّ وجلّ- المستكبرين عنها لا تفتح لأرواحهم وأعمالهم أبواب السماء، ولا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء، ولا تنزل عليهم البركة، كما يستحيل عليهم دخول الجنة حتى يدخل البعير في خُرق الإبرة .[2]

يقول ابن عاشور (ت1393هـ) عن هذه الآية بأنّها استئناف ابتدائي مسوق لتحقيق خلود الفريقين في النار، فأخبر الله—عزّ وجلّ- فيها بأنّه حرمهم من أسباب النجاة، فسدّ عليهم أبواب الجنة، وأكّد ذلك بـ «أن» لتيئيسهم من دخول الجنة، لدفع توهم أن يكون المراد من الخلود المتقدّم ذكره ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾[3]الكناية عن طول مدّة البقاء في النار[4] ، فجاء هذا التأكيد مع تأكيد عدم فتح أبواب السماء لهم في لفظة ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾.

وقد اختلف القرّاء في هذه اللفظة الأخيرة، فقرأها نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضمّ التاء وفتح الفاء مع التشديد، على أنّه مضارع « فتح» مضعّف العين، وكذا أبو عمرو لكن بالتخفيف على أنّه مضارع «فتح» الثلاثي مبني للمجهول ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء المضمومة مع التخفيف،[5] على أنّه مضارع «فتح» مبني للمجهول. فما الفرق بين القراءات الثلاث ؟ ؟ وما هو نوع المقصد المشار إليه؟

[1]- سورة الأعراف: الآية 40.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 411.

[3]- سورة الأعراف: الآية 36.

[4]-ينظر: التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 125.

[5]- السبعة: المصدر السابق، ص: 280. التيسير: المصدر السابق، ص: 110. كتاب تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق ودراسة: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 371.

إنّ معنى التشديد في القراءة يفيد التكرير والتكثير مرّة بعد مرة؛ لأنّ الأبواب جماعة[1]، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾[2]، ويقتضي فتحا بعد فتح أي: « لا يفتح لهم باب بعد باب، وشيء بعد شيء ».[3]

يُفسّر ابن عاشور(ت1393هـ) هذه اللفظة بالمبالغة في الفتح الذي يفيد تحقيق نفي الفتح لهم، وأنّ الفتح مخصوص بالمؤمنين فقط فيقول: ((وهو مبالغة في فتح، فيفيد تحقيق نفي الفتح لهم، أو أشير بتلك المبالغة إلى أنّ المنفي فتح مخصوص وهو الفتح الذي يفتح للمؤمنين، وهو فتح قوي فتكون تلك الإشارة زيادة في نكايتهم)).[4]

فقراءة التشديد إذن تفيد معنى المبالغة والتكثير، ويحقق هذا المعنى كما ذهب إليه ابن عاشور(ت1393هـ) نفي الفتح لهم، أو إشارة إلى أنّ المنفي فتح مخصوص للمؤمنين دون غيرهم، والهدف منه الزيادة في نكايتهم. فما المعنى الذي تفيده قراءة التخفيف؟

من قرأ بالتخفيف فلأنّه يقع للمرّة الواحدة[5]، وقد يُستفاد منه الكثرة كما يستفاد من التشديد [6] والمعنى:« لا يفتح لهم جميعها بمرّة واحدة، وفتحة واحدة ». وحجّتهم في التخفيف قوله تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾[7].

أمّا وجه من قرأ بالتاء أنّها لتأنيث لفظ الأبواب، أمّا من قرأ بالياء فلأنّ تأنيث الأبواب غير حقيقي، ولأنّه فرق بين المؤنث وفعله.[8]

وعن المعنى العام من عدم الفتح والرضا عن هؤلاء، يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((مثّل إقصاء المكذبين المستكبرين وعدم الرضا عنهم في سائر الأحوال، بحال من لا تفتَح له أبواب المنازل،

---

[1]- شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط 1415هـ، الجزء الثاني، ص: 299.

[2]- سورة ص: الآية 50.

[3]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 300. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 527. جامع البيان: المصدر السابق، ج 8، ص:177.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج8، ص: 127.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 282.

[6]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 527.

[7]- سورة القمر: الآية 11.

[8]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 42 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأضيفت الأبواب إلى السماء ليظهر أنّ هذا تمثيل لحرمانهم من وسائل الخيرات الإلهية الروحية، فيشمل ذلك عدم استجابة الدعاء، وعدم قبول الأعمال والعبادات، وحرمان أرواحهم بعد الموت مشاهدة مناظر الجنة ومقاعد المؤمنين منها فقوله﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ كلمة جامعة لمعنى الحرمان من الخيرات الإلهية المحضة، وإن كانوا ينالون من نعم الله الجثمانية ما يناله غيرهم)).[1]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ قراءة التشديد أفادت معنى التكرير والكثرة، كما أفادت معنى المبالغة التي تفيد تحقيق نفي الفتح لهم، كما تفيد إلى أنّ المنفي فتحٌ مخصوص للمؤمنين فقط، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور(ت1393هـ). في حين أفادت قراءة التخفيف أنّ الفتح يقع مرّة واحدة، وقد تفيد الكثرة، فنستنتج أنّ كلا المعنيين صحيح وأفادتا معنى واحدا إلا أنّهما اختلفتا في كيفية الفتح، وإن كانت قراءة التشديد أبلغ في تحقيق المعنى. وعليه فالمقصد واحد، وهو نفي الفتح لهم، وإن تعدّدت المقاصد الجزئية لهذا الفتح، ويندرج هذا المقصد تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير[2].

يقول الطبري(ت310هـ) عن القراءتين:((والصواب في ذلك عندي من القول: أن يقال: إنّهما قراءتان مشهورتان، صحيحتا المعنى، وذلك أنّ أرواح الكفار لا تفتّح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرّة واحدة، ولا مرّة بعد مرّة، وباب بعد باب، فكلا المعنيين في ذلك صحيح، وكذلك الياء والتاء في فتح وتفتح، لأنّ الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء لأنّ الأبواب جماعة، فيخبر عنها خبر الجماعة)).[3]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص:126.

[2]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج 8، ص: 177.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾[1]

يُثني الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية على الذين يتمسّكون بأوامر كتابه ويعتصمون به ويتركون زواجره ويقيمون الصّلاة أنّه لا يضيع أجر المصلحين[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿يُمَسِّكُونَ﴾، فقرأ شعبة وحده بسكون الميم وتخفيف السين، على أنّه مضارع « أمسك»، وقرأ الباقون بتحريك الميم والتشديد، على أنّه مضارع « مسّك» مضعّف العين.[3] فما الفرق بين قراءة التخفيف وقراءة التشديد؟ وما هو نوع المقصد الذي يتحقق من هذا الاختلاف؟

وجه من قرأ بالتخفيف هي من أمسك يمسك، تقوّي هذه القراءة قوله تعالى:

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾[4] وقوله أيضا:﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾[5] ولم يقل مسّك، والمعنى: « يأخذون بما فيه من حلاله وحرامه ».[6]

كما يمكن أن تكون في معنى التشديد وهذا ما ذهب إليه ابن أبي مريم (ت565هـ)[7] في قوله: ((فأراد وضع الإمساك موضع التمسّك، فلذلك عدّاه بالباء))[8] يقصد في قوله تعالى: ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾.

نخلص من هذه القراءة أنّ المراد بها هو الإمساك لا غير مع الأخذ بما فيه، كما يمكن أن تكون في معنى التمسّك الذي سوف ندرك معناه في القراءة الأخرى .

---

[1]- سورة الأعراف: الآية 170.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 499.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 297. التيسير: المصدر السابق، ص: 114. الإقناع: المصدر السابق، ص: 651.

[4]- سورة البقرة: الآية 229.

[5]- سورة الأحزاب: الآية 37.

[6]- معاني القرآن، لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ - 1983م، الجزء الأول، ص: 399 . حجة: المصدر السابق، ص: 301.

[7]- ابن أبي مريم: هو نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي، ويعرف بأبي مريم، خطيب شيراز وعلمها وأديبها، توفي سنة 565هـ . من كتبه: « الكشف والبيان في تفسير القرآن » و« عيون التصريف ». ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج2، ص: 314.

[8]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 563.

إنّ قراءة التشديد هي على معنى التكثير والتكرير للتمسّك بكتاب الله تعالى وبدينه فبذلك يُمدحون، وفيه معنى التأكيد، وهو من مسّك الشيء أي لزمه، فالتمسّك بكتاب الله –عزّ وجلّ- والدّين يحتاج إلى الملازمة والتكرير مع اتباع ما فيه والحكم به.[1]

كما يلاحظ على الآيات التي احتجّ بها أصحاب القراءة الأولى أنّها وقعت في غير الدّين، حيث وقعت في إمساك المرأة، فالتشديد ههنا أولى إذ أريد به الكثرة كان أولى من التخفيف؛ لأنّ المراد يؤمنون بالكتاب كلّه، فلا يؤمنون ببعضه ويكفرون بالبعض .[2]

وعليه فالمراد بهذه القراءة التمسّك دون الإمساك؛ لأنّها جاءت على التكثير والتكرير الذي يفيد معنى التأكيد والملازمة.

يوضّح صاحب الموضح(ت565هـ) الفرق بين الإمساك والتمسّك فيقول: ((ويمكن القول أنّ الفرق بين الإمساك والتمسّك أنّ الإمساك ضبط الشيء عن الذهاب، فهو ضد التخلية، والتمسّك التعلق بالشيء)).[3]

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ قراءة التشديد أولى وأحسن من قراءة التخفيف، لأنّ فيها معنى التكثير والتكرير للتمسّك بكتاب الله–عزّ وجلّ- وبدينه، عكس قراءة التخفيف التي تفيد الإمساك دون التعلّق والملازمة، والدّين يحتاج إلى ملازمة وتكرير عكس الأشياء الأخرى.

ورغم أنّ القراءتين على هذا المعنى فهما متكاملتان بحيث أنّ الإمساك هو ضبط الشيء عن الذهاب وهو عدم التخلي عن الدّين، والتمسّك هو التعلق بالشيء المقصود به التعلق بالدّين، فبعدما تُمسك بالدّين تتمسّك به، وبالتالي يتحقّق المعنى المقصود من الآية وهو التمسّك بالدّين، وتُصبح كلّ قراءة مكمّلة للأخرى ومتمّمة لها. وبالتالي يصبح المقصد من القراءتين متكاملا، لكلّ قراءة مقصد، لكنّهما يصبّان في المقصد العام ألا وهو التمسّك بالدين، الذي هو مراد الله -عزّ وجلّ- من هذه الآية. وعليه فالمقصد القرآني الذي تشير إليه القراءتان هو مقصد التبشير[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- ينظر: معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أمّ القرى، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م، الجزء الثالث، ص: 100. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1387هـ - 1967م، الجزء السابع، ص: 313.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 104. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 62. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 563.

[3]- الموضح: المصدر نفسه.

[4]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

المثال الرابع: قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾[1]

تشير الآية الكريمة إلى طلب إخوة يوسف- عليه السلام- من أبيهم أن يبعث معهم أخاهم يوسف- عليه السلام- كي يسعى وينشط ويلعب ويشاركهم في السباق وهم له حافظون من أي أذى أو مكروه[2].

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) عن الآية بأنّها: ((استئناف بياني؛ لأنّ سوق القصة يستدعي تساؤل السامع عما جرى بعد بشارة أخيهم عليهم، وهل رجعوا عما بيّتوا وصمّموا على ما أشار به أخوهم. وابتداء الكلام مع أبيهم بقولهم ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ يقضي أنّ تلك عادتهم في خطاب الابن أباه، ولعلّ يعقوب -عليه السلام- كان لا يأذن ليوسف -عليه السلام- بالخروج مع إخوته للرعي أو للسبق خوفا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم، ولم يكن يصرّح لهم بأنّه لا يأمنهم عليه ولكن حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمنهم عليه فنزّلوه منزلة من لا يأمنهم، وأتوا بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نفي الائتمان))[3].

وقد اختلف القرّاء في لفظتي ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾، فقرأهما نافع وأبوجعفر ويعقوب بالياء وكسر العين، على أنّه مضارع «ارتعى» على وزن «افتعل»، وقرأ ابن كثير﴿ يَرۡتَعۡ ﴾بالنون وكسر العين و﴿ وَيَلۡعَبۡ﴾ بالياء، وقرأهما أبو عمرو وابن عامر بالنون وسكون العين، وقرأهما عاصم وحمزة والكسائي وخلف بالياء مع سكون العين، [4] على أنّه مضارع «رتع» الثلاثي صحيح الآخر مجزوم بالسكون.

وسوف نمضي الآن لنستجلي دلالة كلّ قراءة ومعانيها، مع استجلاء المقصد القرآني من القراءتين.

---

[1]- سورة يوسف: الآية 11-12.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 373.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 12، ص: 227.

[4]- السبعة: المصدر السابق، ص: 345. التيسير: المصدر السابق، ص: 128. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 412.

من قرأ بالياء فقد أسند الفعل إلى يوسف – عليه السلام- لتقدّم ذكره، وبذلك جاء التأويل أي:« يسعى ويلهو»[1]، فيلعب كما يلعب الصبيان؛ لأنّه كان صغيرا، ويدلّ على صغره قول أبيه:﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ١٣﴾[2] ولولم يكن صغيرا لقاوم الذئب، وقول إخوته: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ ولو كان كبيرا لم يحتج إلى حفظهم.[3] وحسن الكلام هنا من طرفهم؛ لأنّهم أرادوا خداع يعقوب -عليه السلام- لكي ينشط يوسف –عليه السلام- ويخرج معهم إلى الصحراء، لا أنّهم أرادوا إعلامه بما لهم من الرفق والفائدة لخروجه.[4] كما يذكر النحاس(ت338هـ)[5] أنّ من معانيها رعي الإبل[6].

أمّا من قرأ بالنون فهو إخبار من إخوة يوسف عن أنفسهم بذلك، إذ لم يكونوا أنبياء بعد، واللعب في غير الباطل جائز، وحجّتهم قوله بعدها: ((﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾[7]، قيل لأبي عمرو:فكيف يلعبون وهم أنبياء الله، فقال: إذ ذاك لم يكونوا أنبياء الله)).[8]

والمراد بقوله « نلعب » عند صحاب الموضح(ت565هـ): ((أنّه تشاغل منهم بإجمام النفس من الجد بمباح يحصل به تنفيس وقوّة على العلم والعبادة، وليس هو كاللعب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[9])).[10]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- جامع البيان: المصدر السابق، ج12، ص: 159.

2- سورة يوسف: الآية 13.

3- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 403. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 673.

4- ينظر: حجة القراءات: المصدر السابق، ص:356.

5- النحاس: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر، المعروف بالنحاس، أخد عن أبي إسحاق الزجاج، كان واسع العلم، غزير الرواية، كثير التأليف، توفي بمصر سنة 307هـ ، من كتبه: « المقنع » و « أخبار الشعراء ». ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص: 220.

6- معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج 3، ص:401.

7- سورة يوسف: الآية 17.

8- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 355.

9- سورة التوبة: الآية 65.

10- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 672.

أمّا من قرأ بالنون في﴿ يَرۡتَعۡ ﴾وبالياء في ﴿ وَيَلۡعَبۡ﴾فإنّه أخبر عن إخوة يوسف- عليه السلام- بـ « نرتع » لجواز ذلك عليهم، فرعي المواشي والقيام على المال مسند إلى البالغين، وأضاف« يلعب » إلى يوسف– عليه السلام- لجواز اللعب عليه لصغر سنه[1].

وفي هذا المعنى يقول الفارسي[2](ت377هـ) في الحجّة: ((قراءة ابن كثير أحسن، لأنّه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر، وأسند اللعب إلى يوسف لصغره)).[3]

ووجه من قرأ بكسر العين أنّه جعله من الرعي أي ليتدرّب بذلك ويترجّل؛ فمرّة يرتع ومرّة يلعب فيجتمع النفع والسرور[4]، وهو من الرعاية تقول: « ارتعى القوم » إذا تحارسوا وحفظ بعضهم بعضا، وأصل الكلمة « نرتعي » فسقطت الياء للجزم؛ لأنّه جواب الأمر.[5]

ومن قرأ بإسكان العين فهو من الأكل، أي يأكل يقال: « رتعت الإبل وأنا ارتعتها: إذا تركتها ترعى كيف شاءت »، والرتع أصله أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، لذا يقال: « رتع يرتع رتعا فهو راتع »، والمعنى: نتسع في الخصب، وكلّ مخصب راتع[6]، وسبب الجزم في هذه القراءة لأنّه جواب الأمر [7] في قوله: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا﴾

يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم واستعير في كلامهم للأكل الكثير؛ لأنّ النّاس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم، فيأكلون أكلا ذريعا، فلذلك شبّه أكلهم بأكل الأنعام. وإنّما ذكروا ذلك لأنّه يسرّ أباهم أن يكونوا فرحين)).[8]

---

[1]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 673. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 118.

[2]- أبو علي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النحوي، ولد بفسا من أرض فارس، كان من علماء النحو، قدم بغداد واستوطنها، وتوفي بها سنة 377هـ . من كتبه: « التذكرة »و « الإيضاح والتكملة ». ينظر: إنباه الرواة: المصدر السابق، ج 1، ص: 308.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 403.

[4]- الجامع: المصدر السابق، ج9، ص: 139.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 356. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 358.

[6]- الجامع: المصدر السابق، ج9، ص: 139. مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 341.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 356.

[8]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج12، ص: 228.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأشار أبو عبيدة(ت210هـ) في كتابه مجاز القرآن إلى معنى آخر لـ « نرتع »، وهو نلهو[1]، كما ذهب الفارسي(ت377هـ) إلى معنى النيل من الشيء،[2] ومنهم من جعله من الحفظ والرعاية،[3] ومنهم من جعله من الرعي مثل قراءة الكسر.[4]

ووفق هذا التوجيه تحسن القراءة بالياء لإضافة اللهو إلى يوسف–عليه السلام-، إذ لا ذنب عليه لصغره، كما لا يمتنع أن ينسب إليه اللعب وينال من الشيء، ويبعد في القراءة بالنون لإضافة اللهو إلى إخوة يوسف– عليه السلام- وهم كبار، كما سألوا إرساله ليتنفّس بلعبه، ولم يسألوا إرساله ليلعبوا هم.[5]

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، ويجزم العين في يرتع، لأنّ القوم إنّما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إيّاه ذلك، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط، بخروجه إلى الصحراء وفسحتها، ولعبه هناك لا بالخبر عن أنفسهم)).[6]

ومن مجموع هذه القراءات – وكلّ قراءة بمنزلة آية – يتبيّن لنا أنّ كلّ قراءة أفادت معنى خاصًا بها، فقراءة الياء أسندت الفعل إلى يوسف– عليه السلام-، وقراءة النون أسندت الفعل إلى إخوة يوسف- عليه السلام-، وقراءة ابن كثير أسندت فعل الارتعاء لإخوة يوسف– عليه السلام-لجواز ذلك عليهم، وفعل اللعب ليوسف – عليه السلام- لجواز ذلك عليه.

أمّا عن المعاني المستنبطة من كسر العين وسكونها، فكلّها ثابتة في يوسف–عليه السلام- وإخوته، فالرعي والأكل واللهو والنيل من الشيء والحفظ خاص بالجميع، وإن كان اللعب واللهو خاصا بيوسف- عليه السلام- لصغر سنه ولجواز ذلك عليه، والرعي والحفظ خاص بإخوته لقدرتهم على ذلك.

---

[1]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج1، ص: 303.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 405.

[3]- الجامع: المصدر السابق، ج9، ص: 139.

[4]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 118.

[5]- ينظر: الكشف: المصدر نفسه. الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 407.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج12، ص: 158.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلّ هذه المعاني والدلالات حملتها كلمة واحدة على اختلاف حركاتها وحروفها، وَكلّ هذِه المعَاني في القراءتين مِن مقاصدِ الآية التي تندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم وللتحذير من مساوئهم[1] .

[1]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الخامس: قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]

ينذر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- في هذه الآية المشركون ويبلّغهم عن الله - عزّ وجلّ- ما ينتظرهم من العذاب والنكال، لكن لا يجدي إنذاره هذا عمّن أعمى الله بصيرته، وختم على سمعه وبصره[2]، ولهذا قال – عزّ وجلّ- ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

وقد اختلف القرأة في قوله تعالى ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ﴾، فقرأ ابن عامر﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بالتاء الفوقية المضمومة ونصب الصمّ، على أنّه فعل مضارع من «أسمع» الرباعي، وقرأ الباقون[3] ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾بالياء ورفع الصمّ، على أنّه فعل مضارع «سمع» الثلاثي، فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

قبل أن نتحدّث عن الفرق بين القراءتين نتحدّث عن الإسماع الذي يقول فيه ابن عاشور(ت1393هـ) أنّه:((إبلاغ الكلام إلى المسامع، والموتى والصمّ مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحق ويكابرون من يقوله لهم، شبهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن، وشبهوا بالصمّ كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم)).[4]

يفهم من كلامه أنّ التشبيه بالصمّ استعارة أريد بها انتفاء سماعهم وفهمهم للقرآن الكريم فهم بمنزلة من لا يسمع.

إنّ قراءة ابن عامر جاءت مخاطبة للنبيّ - صليّ الله عليه وسلّم - حملا له على ما قبله بمعنى: «أنت يا محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- لا تقدر أن تسمع الصمّ »، والمراد أنّهم معاندون، فإذا

[1]- سورة الأنبياء: الآية 45.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص:345.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 155. الإقناع: المصدر السابق، ص: 703.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج20، ص: 34.

أسمعتهم لم يعملوا بما سمعوه كأنّهم صمّ لم يسمعوه، والصمّ هاهنا المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله فهم بمنزلة من لا يسمع.[1]

ممّا تقدّم نخلص أنّ هذه القراءة جاءت مخاطبة للنبيّ - صلىّ الله عليه وسلّم – مسلية له، فإذا كان لا يلقى استجابة فذلك لأنّهم بمنزلة الموتى والصمّ، فهم معاندون للحق معرضون عنه. فما تفيد القراءة الأخرى يا ترى ؟ وما المعنى الذي تحمله؟

أمّا القراءة الأخرى فجاءت إخبارا عن الكفار، وأضيف فيها الفعل إلى الصمّ فارتفعوا بفعلهم؛ لأنّه نفى السمع عنهم[2] وكانوا يسمعون ويبصرون، ولكنّهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالا صحيحا فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر .[3]

وفي هذه القراءة معنى الذم والتقريع والتوبيخ لهم لتركهم استماع ما يجب عليهم استماعه والقبول له والانتهاء إليه، فكأنّهم صمّ لا يسمعون.[4]

وعن تقييد عدم السماع بوقت الإعراض يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((وتقييد عدم السّماع بوقت الإعراض عند سماع الإنذار لتفظيع إعراضهم عن الإنذار؛ لأنّه إعراض يفضي بهم إلى الهلاك، فهو أفظع من عدم سماعه البشارة أو التحديث، ولأنّ التذييل مسوق عقب إنذارات كثيرة))[5].

يفهم من كلام ابن عاشور أنّ سبب التقييد جاء لإبراز الحالة التي يكونون عليها عند سماع الإنذار، فهم معرضون ولا يسمعون في آن واحد، وإن كان الإعراض يترتّب عليه عدم السماع وفي هذه الحالة هو أفظع من عدم السماع؛ لأنّه يفضي بهم إلى الهلاك لا محالة، وإن كانت القراءة بالياء جاءت بمعنى التوبيخ والذم لهم .

---

[1]- ينظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج، شرح وتعليق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م. الجزء الثالث، ص: 393. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 467. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص:863.

[2]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 215. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 425.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 467.

[4]- ينظر: الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 215. الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 255. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 863.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج17، ص:79.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويضيف قائلا بتقييد الصم بزمان الإعراض:((وتقييد الصمّ بزمان توليهم مدبرين، لأنّ تلك الحالة أوغل في انتفاء إسماعهم؛ لأنّ الأصمّ إذا كان مواجها للمتكلّم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ ويستفيد بقيته بحركة الشفتين، فأمّا إذا ولّى مدبرا فقد ابتعد عن الصوت ولم يلاحظ حركة الشفتين فذلك أبعد له عن السمع)).[1]

فزمن التولية حالة تبيّن نفي السماع، وتشبيههم بالأصمّ الذي لا يسمع تشبيه رائع جاء به القرآن ليبيّن عناد القوم وكفرهم بآيات الله-عزّ وجلّ-.

يقول الطبري (ت 310هـ): ((والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجّة من القرّاء عليه، ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه، إلى تذكّر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكّر به ويعتبر، فينزجر عمّا هو عليه مقيم من ضلاله، إذا تلى عليه وأريد به، ولكنّه يعرض عن الاعتبار به والتفكّر فيه فعل الأصمّ الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به)).[2]

نخلص ممّا سبق أنّ القراءتين أفادتا معنيين كلّ معنى له دلالته، فقراءة ابن عامر جاءت مخاطبة للنبيّ -صلىّ الله عليه وسلّم – وأفادت عدم قدرته -صلّى الله عليه وسلّم- على سماع الصمّ لأنّهم معاندون وبمنزلة من لا يسمع، أمّا قراءة الجمهور فجاءت مخاطبة للكفّار مبينة أنّهم أهل سماع وإبصار لكنّهم لا يستعملون هذه الحواس لسماع الحق، فهم بمنزلة الأصمّ الذي لا يسمع، كما أفادت معنى التوبيخ والتقريع نافية السمع عنهم جملة وتفصيلا، وتقييد عدم السماع بوقت الإعراض عند سماع الإنذار لتفظيع الإعراض الذي يؤدي إلى الهلاك، فهو أفظع من السماع على رأي ابن عاشور(ت1393هـ).

كما نستنتج من القراءتين أنّهما أفادتا مقصدين يندرجان تحت مقصد عام هو مقصد المواعظ والإنذار والتحذير. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج20، ص: 35.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج17، ص: 32.

المثال السادس: قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم
مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1]

هذا جواب من الله - عزّ وجلّ- للكفار الذين سألوا الخروج من النار، فكان الجواب أن يمكثوا فيها أذلاء صاغرين، مذكرا إيّاهم بذنوبهم في الدنيا واستهزائهم بعباده المؤمنين الذين اتخذوهم سخريا وكانوا من صنيعهم وعبادتهم له يضحكون، فجازاهم على فعلتهم وجزى المؤمنين الصابرين وجعلهم من الفائزين بالجنة.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿سِخۡرِيًّا﴾، فقرأها نافع والكسائي وأبو جعفر وخلف بضمّ السين، وقرأها الباقون بكسر السين[3] على أنّها مصدر، فما الفرق بين القراءتين؟ وما هي المقاصد التي تشير إليها القراءتان من خلال المعاني التفصيلية لكلّ قراءة، وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟.

إنّ من المعاني التي تحملها قراءة الكسر هي الاستهزاء والهزء، فيكون المعنى: « فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هزؤا ولعبا تهزؤون بهم حتى أنسوكم ذكري »[4]. وتعدّ هذه القراءة عند ابن زنجلة (ت403هـ) أحسن لاتباع الكسرة، ويقوّي الكسرة قوله تعالى:﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾، والضحك بالهزء أشبه[5]، كما أنّ الضحك بالشيء نظير الاستهزاء به.[6] وهي عند أبي عبيدة(ت210هـ) بمكانة السخرية من قولهم يسخر منه،[7] وكلّها تصبّ في معنى واحد.

---

[1]- سورة المؤمنون: الآية108-110.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 498-499.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 160. الإقناع: المصدر السابق، ص: 709.تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 477.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 492. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 437. معاني القرآن للفرّاء: المصدر السابق، ج 2، ص: 243.

[5]- حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 492.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 234.

[7]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 62.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الفارسي (ت377هـ): ((فالكسر في معنى السخرية أفشى وأكثر إذا كان السخري في معنى الهزء، وهذان الموضعان يراد بهما الهزء يقوّي ذلك قوله في المؤمنين وكنتم منهم تضحكون، والضحك بالسخر والهزء أشبه)).[1]

ممّا سبق نستنتج أنّ الفارسي (ت377هـ) ومكي(ت437هـ) رجّحا قراءة الكسر لأنّ ما بعدها تقويها، فالضحك شبيه الهزء وهو نظير الاستهزاء والسخرية، وعليه فالمعنى المستخلص من هذه القراءة هي الاستهزاء والهزء والسخرية.

أمّا من قرأ بضمّ السين فتحمل معنى السُخري الذي بمعنى التسخير والانقياد، [2]والتسخير وهو الخدمة،[3] وهي أيضا من السخرة [4] التي هي بمعنى العبودية.[5] وتعدّ هذه القراءة عند الفرّاء (ت207هـ) أجود.[6]

يقول الزجاج [7](ت316هـ) عن القراءتين: ((كلاهما جيد)).[8]

نخلص من قراءة الضمّ أنّها أفادت معنى آخر يختلف تماما عن معنى القراءة الأولى، فبينما حملت هذه الأخيرة معنى الاستهزاء والهزء حملت قراءة الضمّ معنى السخرة والخدمة التي تحمل في طياتها معنى العبودية، فكلّ قراءة أفادت معنى مراد من الآية، والسبب في ذلك راجع إلى الاختلاف في حركة السين، وهذا من بيان القرآن الكريم وإعجازه. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

---

[1] - الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 305.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 492.

[3]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 234. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 437.

[4]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 62.

[5]- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، لأبي العلاء الكرماني، تحقيق: د. عبد الكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم، بيرت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م، ص: 294. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ- 2009م، ص: 716.

[6]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 243.

[7]- الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، نحوي من البصرة ، توفي ببغداد سنة 316هـ، وقد أناف على الثمانين. من كتبه: « معاني القرآن وإعرابه ». ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص: 111.

[8]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَكلّ هذِه المعَاني الجزئية في القراءتين مِن مقاصدِ الآية التي تندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج18، ص: 60-61.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال السابع: قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ ﴾[1]

لما وصل موسى – عليه السلام- مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء، وجد جماعة من الناس يسقون ومعهم امرأتين تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم الرعاء لئلا يؤذيا، فرآهما موسى – عليه السلام- وسألهما ما خبركما لا تردان مع هؤلاء، فأجاباه أنّهما لا يحصل لهما سقي إلا بعد فراغ هؤلاء الرعاء. [2]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿يُصۡدِرَ﴾، فقرأها ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح حرف المضارعة وضمّ الدال، على أنّه مضارع «صدر» يصدر وهو فعل لازم وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال [3]، على أنّه فعل مضارع « أصدر» الرباعي. وسوف نمضي الآن لنستجلي دلالة كلّ قراءة ومعانيها، ونستجلي أيضا المقاصد التي تشير إليها القراءتان، مع ذكر نوع المقصد.

وقبل أن نغوص في دراسة اللفظة نعرّج عن كلمة﴿تَذُودَانِ﴾ ونحاول أن نعرّفها لأنّ لها علاقة بالكلمة التي نحن بصدد دراستها .

يقول الفرّاء (ت207هـ) معرّفا هذه الكلمة: ((تذودان أي تحبسان غنمهما، ولا تقول ذدت الرجل حبسته، وإنّما كان الذياد حبسا للغنم لأنّ الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فرددته فذلك ذود وهو الحبس))[4] إذن وفق هذا الكلام فالذود هو الحبس وهو خاص بالغنم والإبل

---

[1]- سورة القصص: الآية 23.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 226.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 171. الإقناع: المصدر السابق، ص: 723. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:497.

[4]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 305.

ولا يخص الإنسان، أو بالأحرى هو رد القطيع إلى مكانه المخصصّ بعد أن يشذ، والمقصود به في الآية لئلا يختلط غنمهما بالأغنام الأخرى[1].

أمّا ابن عاشور (ت1393هـ) فيقول:((وحقيقة الذّود طرد الأنعام عن الماء ولذلك سموا القطيع من الإبل الذّود فلا يقال:ذدت الناس إلا مجازا مرسلا)).[2] وكلام ابن عاشور (ت1393هـ) يوافق الفرّاء (ت207هـ) في أنّ حقيقة الذود خاص بالأنعام، إلا أنّه لا يوافقه في المعنى فالفرّاء (ت207هـ) يعني به الحبس وابن عاشور(ت1393هـ) يعني به الطرد، وهو منع المرأتان أنعامهما من الشرب. [3] وكلا المعنيين جائز في القصة ، فالمنع يؤدي لا محالة إلى معنى الذود وهو الحبس حتى يصدر الرعاء مواشيهم فيسقوا.

وعن الإصدار يقول ابن عاشور(ت1393هـ) هو: ((الإرجاع عن السقي، أي حتى يسقي الرعاء ويصدروا مواشيهم، فالإصدار جعل الغير صادرا، أي حتى يذهب رعاء الإبل بأنعامهم فلا يبقى الزحام، وصدّهما عن المزاحمة عادتهما لأنّهما كانتا ذاوتي مروءة وتربية زكية)).[4]

يفهم أنّ طلب الإصدار منهما هو لتحقيق غاية خُلقية وهو عدم المزاحمة مع الرعاة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على حسن تربية الوالد لهما.

وكلمة﴿يُصۡدِرَ﴾ من قرأها بفتح حرف المضارعة وضمّ الدال فهي على إسناد الصدر إلى الرعاء، أي حتى يرجعوا عن الماء، أو من سقيهم أو ينصرفون عن الماء، والرجوع يكون بالمواشي لأنّ

---

[1]- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، الجزء السابع، ص: 108.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج20، ص: 99.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج20، ص: 100.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وصف الرعاء يقتضي أنّ لهم مواشي، لأنّ الرعاء جمع راع، وهذا يقتضي أنّ تلك عادتهما كلّ يوم سقي، وليس في اللفظ دلالة على أنّه عادة .[1]

ومن قرأ بضمّ الياء وكسر الدال حتى يصدر الرعاء غنمهم عن الماء فالمفعول محذوف وهو كثير في القرآن[2] أو حتى يصدروا المرعي أو المواشي من موضع السقي [3]، فيكون المعنى:« لا نقدر أن نسقي حتى تَردّ الرعاة غنمهم وقد شربت فيخلوا الموضع فنسقي »[4]

ممّا سبق نخلص أنّ القراءتين أفادتا معنيين مقصودين من الآية، فالإصدار في القراءة الأولى خاصٌ بالرعاء لكي لا يختلطوا بالمرأتين ويزاحموهما، وفي هذا إشارة إلى خلق تربوي يدلّ على حسن تربيتهما، أمّا القراءة الأخرى فالإصدار خاص بالغنم فهم المفعول بهم من طرف الرعاة، بمعنى يردّ الرعاة الغنم من موضع السقي لكي لا تختلط غنمهم بغنم المرأتان، وفي ذلك أيضا تحقيق للخلق التربوي المذكور في معنى القراءة الأولى.

وعليه فالقراءتان متقاربتان في المعنى كلّ قراءة تكمّل أختها في بيان المعنى المقصود، مع العلم أنّ المعنيين المقصودين من القراءتين هما معنيان جزئيان يندرجان تحت مقصد عام هو مقصد القصص .

يقول الطبري(ت310هـ): ((وهما عندي قراءتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب)).[5]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 543. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 981. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 316.

[2]- حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 543. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 461.

[3]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 981.

[4]- معاني القرآن للزجاج : المصدر السابق، ج4، ص: 139.

[5]- جامع البيان: المصدر السابق، ج20، ص: 57.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الأفعال التِي يرجع الاخْتلاف فِيها إِلى نوع الاشتقاق.

في هذا المطلب مثال واحد لكلمة قرآنية قرئت بوجهينِ مختلفين، ومردُّ هذا الاختلاف راجعٌ إلى نوع الاشتقاق، بمعنى أنّ مادة كلّ قراءة مختلفة[1]، وسوفَ نحاولُ أن نستخرجَ الدلالة البيانيَّة لها من خلال هذا التغيير الحاصل في كلّ قراءةٍ لنقف على الدلالات البيانية المقصودة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾[2]

يأمرُ الله -عزّ وجلّ- نبيّه – صلّى الله عليه وسلّم- بأن لا يتعرّض للذين فرّقوا دينهم فكانوا فرقاً كأهل الملل والنحل، كلّ فرقة تأخذُ برأيها وتتعصّبُ له، وإنّما عليه تبليغ الرسالة، فهو بريءٌ منهم ومن أفعالهم وأقوالهم، واللهُ- عزّ وجلّ-يتولّى أمرَهم وحسابهم يومَ القيامة فشرعُ الله- عزّ وجلّ- واحدٌ لا اختلاف فيه ولا افتراق [3].

وقَد اختلف القرأة في لفظة ﴿فَرَّقُواْ﴾، فقرأها حمزة والكسائي بألف، وقرأها الباقون بتشديد الرّاء من غير ألف.[4] فما المعاني التي نستوحيها من القراءتين؟ وما هو نوع المقصد الذي أشارت إليه القراءتين؟

وجهُ القراءة بالألف أنّهم جعلوه من المفارقة والفراق[5]، بمعنى:« أنّهم تركوا دينهم وفارقوه »[6]، أي « باينوه وخرجوا عنه »[7].

---

[1]- القراءات وأثرها: المصدر السابق، ج1، ص 539.

[2]- سورة الأنعام: الآية 159.

[3]- ينظر: تفسير القرآن العظيم: المصدر السابق، ج3، ص: 377.

[4]- السبعة: المصدر السابق، ص: 274. الإقناع: المصدر السابق، ج2، ص: 645.

[5]- معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، الجزء الثالث، ص: 317.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 38.

[7]- الحجّة: المصدر السابق، ج3، ص: 438.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما يجوز أن يكون معنى ﴿ فارقوا﴾ بمعنى ﴿فَرَّقُواْ﴾ لأنّهم حين آمنوا ببعضه وكفروا بالبعض فقد فارقوا الكلّ، فخرجوا عنه ولم يتبعوه.[1]

وكان عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه- يقول: ((لا والله ما فرّقوه ولكن فارقوه)).[2]

ويؤكّد الراغب(ت502هـ) هذا المعنى عندما يُبيّن أنّ المفارقة تكون بالأبدان ممّ يحقّق هدف الفراق والخروج، فيقول: ((والفراق والمفارقة تكون بالأبدان أكثر))[3]

وهي عند ابن عاشور(ت1393هـ) ترك الدين، أي تركوا ما كان دينا لهم، أي لجميع العرب، وهو الحنيفية فنبذوها وجعلوها عدّة نحل.[4]

نخلص من هذه القراءة أنّها أفادت معنى المفارقة والمباينة والخروج عن الدّين وتركه، فما هو المعنى الذي تحمله القراءة الأخرى؟

أمّا القراءة بالتّشديد من غير ألف، جعلوه من التّفريق على معنى أنّهم بدّدوا دينهم وجزّءوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعض، كما قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾[5].

وقيل في معناها أنّهم اختلفوا فيه وصاروا أحزاباً وفرقاً كما اختلفت اليهود والنصارى .[6]

وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور(ت1393هـ) متحدّثا عن وصف الله- عزّ وجلّ- للمشركين الذين فرّقوا دينهم بأنّه وصف شنيع، إذ يقول: ((ووصفُ المشركين بأنّهم فرّقوا دينهم وكانوا شيعا: يؤذن بأنّه وصف شنيع، إذ ما وصفهم الله به إلا في سياق الذمّ، فيؤذن ذلك بأنّ الله يحذر المسلمين من أن يكونوا في دينهم كما كان المشركون في دينهم، ولذلك قال تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ

---

[1]- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 515. الحجّة: المصدر نفسه، ج3، ص: 438.

[2]- إعراب القراءات وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م، الجزء الأول، ص:173.حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 278.

[3]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 633.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج8، ص: 194.

[5]- سورة النساء: الآية 150.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 278. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 38. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 515.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[1] وتفريق دين الإسلام هو تفريق أصوله بعد اجتماعها)).[2]

ممّا سبق يتبين لنا أنّ كلتا القراءتين أفادتا معنى، فقراءة الألف أفادت معنى المفارقة والمباينة والخروج عن الدّين، والقراءة بالتشديد من غير ألف أفادت معنى التفرقة والتجزئة لأنّهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كما أفادت معنى الاختلاف في الدّين. وعليه فالقراءتان متقاربتان في المعنى لأنّهم إذا فرّقوا دينهم فقد فارقوه، وبالتّالي يتحقّق معنى التفريق والمفارقة.

يقول الطبري(ت310هـ) عن القراءتين: ((إنّهما قراءتان معروفتان، قد قرأت بكلّ واحدة منهما أئمّة من القرّاء، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتين، وذلك أنّ كلّ ضال فلدينه مفارق، وقد فرّق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهوّد بعض، وتنصّر آخرون، وتمجّس بعض، وذلك هو التفريق بعينه، ومصير أهله شيعا متفرّقين غير مجتمعين، فهُم لدين الله الحقّ مفارقون، وله مفرقون، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب، غير أنّي أختار القراءة بالذي عليه عظم القرّاء، وذلك تشديد الرّاء من فرّقوا)).[3]

وهكذا تتعاضد القراءتان في الكشف عن المعنى المقصود من الآية، ألا وهو حثّ المسلمين أن تكون كلمتهم واحدة، وأن لا يتفرّقوا في الدّين، فكلّ قراءة تكمّل أختها بما تحمله من ذوق ودلالة، وكلا المعنيين من مقاصد الآية، وعليه فالمقصد المستنبط من القراءتين هو مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح[4].

---

[1]- سورة الشورى: الآية 13.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج8، ص: 193.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج8، ص: 104.

[4]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

المطلب الثالث: وقوع الكلمة بين الماضي المبني للفاعل والمبني للمَفعول.

يتضمّن هذا المطلب مثال واحد قُرأ مرّة على أنّه « فعل ماض » مبني للفاعل، وتارة على أنّه « فعل ماض » مبني للمفعول، وسوف نحاول أن نستجلي منه تلك الدلالات والمعاني التي يحملها موضّحين في الأخير الإعجاز البياني في ضوء هذا الخلاف.

قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾[1]

يخبرُ الله –عزّ وجلّ- في هذه الآية عن حلمه ولطفه بعباده، فهو لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، في حال غضبهم وضجرهم، وأنّه يعلم منهم عدم القصد، فلو يُعجّل لهم بالاستجابة لهلكوا[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة﴿لَقُضِيَ﴾، فقرأه ابن عامر بفتح القاف والضاد ونصب﴿أَجَلُهُمۡ﴾، وقرأ الباقون بضمّ القاف وكسر الضاد وفتح الياء مع رفع ﴿أَجَلُهُمۡ﴾[3] فما الفرق بين القراءتين؟ وما هي المعاني التي نستخلصها من هذا الاختلاف؟ وما هو المقصد المشار إليه ضمن هذه الآية ؟

وجهُ القراءة الأولى على أنّ في« قضى » ضميرا عائدا إلى اسم الجلالة ومسند إليه في قوله﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾، فجاء الفعلُ مضافا إلى الله–عزّ وجلّ- فيها جميعا وهو مبني للفاعل، ونصب « أجلهم » على أنّه مفعول به بوقوع القضاء عليهم، وتطابق الكلام بإضافة الفعل إلى الله -عزّ وجلّ-فيهما جميعا ودليله ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾[4] فأضاف القضاء إلى الله -عزّ وجلّ-، فهو إخبار عن الله -جلّ ذكره-.[5] بمعنى:« لقضى الله إليهم أجلهم »[6].

---

[1]- سورة يونس: الآية 11.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 251.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 323. التيسير: المصدر السابق، ص:121. الإقناع: المصدر السابق، ص: 660.

[4]- سورة الأنعام: الآية 2.

[5]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 92. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 616. التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج11، ص: 108.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 92.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعن معنى الأجل المقصود في الآية، يقول ابن عاشور(ت1393هـ) أنّ: ((الأجل المدّة المعينة لبقاء قوم والمعنى: « لقضي إليهم حلول أجلهم »، ولما ضمن « قضي » معنى بلغ ووصل عدي بـ: «إلى» فهذا وجه تفسير الآية وسرّ نظمها ولا يلتفت إلى غيره في فهمها)).[1]

نخلص من هذه القراءة أنّ الفعل مسند إلى الفاعل الذي هو الله -عزّ وجلّ-، وبالتالي أفادت معنى الإخبار عن الله -جلّ ذكره- بأنّه هو الذي يقضي الأجل، أي المدة المعينة لبقاء القوم.

أمّا قراءة الباقين فقرئت على ما لم يسمّ فاعله ورفع « أجلهم » على أنّه نائب الفاعل، وعلى هذا فمعناها راجعٌ إلى القراءة الأخرى.[2]

وفيها معنى آخر بيّنه الفارسي(ت377هـ) عندما وجّهها بقوله: ((فالتقدير في قوله:﴿لَقُضِىَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ أي لفرغ من أجلهم ومدّتهم المضروبة للحياة، وإذا انتهت مدّتهم المضروبة للحياة، هلكوا))[3]فلمّا ضمن قُضي معنى فُرغ عُدي بـ « إلى » مثل قول الشاعر:

ألانَ فقد فرغتُ إلى نميرٍ   فهذا حين صرتُ لهمْ عذابا[4]

وفي قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[5] أمكن أن يكون الفعل يتعدّى باللام كما تعدّى بـ« إلى » كما أنّ أوحى في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾[6] قد تعدّى بـ « إلى » واللام في قوله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [7] فلمّا كان معنى قُضي فُرغ، وفرغ تُعلّق بها « إلى » كذلك تُعلّق بـ « قضى ».[8]

يقول صاحب الموضح(ت565هـ): ((والوجه أنّ الفعل مبني للمفعول به؛ لأنّه معلوم أنّ القاضي هو الله- عزّ وجلّ-، فسواءٌ بني الفعل للفاعل أم للمفعول به، إذ المعنى واحد)).[9]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 11، ص: 108.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 328. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 337.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 255.

[4]- أنشده ابن الأنباري لجرير ولم أجده في الديوان. ينظر: البحر المحيط: المصدر السابق، ج8، ص: 192. معجم مقاييس اللغة: المصدر السابق، ص: 398.

[5]- سورة الرحمان: الآية 31.

[6]- سورة يوسف: الآية 15.

[7]- سورة الزلزلة: الآية 5.

[8]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 256.

[9]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص:616.

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ هذه القراءة تتّفق في المعنى مع القراءة الأولى، إلا أنّها أفادت معنى آخر بيّنه الفارسي، وهو أنّه لما يُقضى أي يفرغ الأجل وتنتهي مدّتهم المضروبة للحياة يهلكوا، عكس القراءة الأولى التي جاءت بمفهوم الهلاك مباشرة، وإن كانت القراءتان على معنى واحد، فالقاضي هو الله -عزّ وجلّ-، إلا أنّهما في اختلافهما ما يدلّ على تعدّد الأساليب في عرض المعنى المقصود، الذي هو المقصد العام من الآية، وإن كان يحمل معان جزئية تخدم هذا المقصد الذي هو المواعظ والتبشير.

ومعنى الآية على القراءتين جميعا عند المهدوي[1] (ت440هـ): ((ولو يعجّل الله للنّاس دعاء الشرّ، وهو ما يدعو به الإنسان عند الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده استعجالهم بدعاء الخير، والتقدير: استعجالا مثل استعجالهم لقُضي إليهم أجلهم، أي: فُرغ منه كما يقال: قضى الميت، أي : فرغ من الدنيا)).[2] أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها؟

يقول الطبري(ت310هـ):((واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق﴿لَقُضِيَ﴾على وجه ما لم يسم فاعله، بضمّ القاف من قضي ورفع الأجل. وقرأ عامة أهل الشام﴿ لقضَى إليهم﴾ بمعنى: لقضى الله -عزّ وجلّ-إليهم أجلهم، وهما قراءتان متفقتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أني أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله، لأنّ عليه أكثر القرّاء)).[3]

---

[1]- المهدوي: هو أحمد بن عمّار أبو العباس المهدوي المقرئ، النحوي المفسر، كان مقدما في القراءات والعربية، أصله من المهدية، توفي سنة 440هـ . ينظر:بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 351.

[2]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 337.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 92.

المطلَب الرّابع: وقوع الكَلمة بَين المُضارِعِ المبني للفاعل والمبْني للمفعول.

سوف ندرس في هذا المطلب كلمات قرآنية قرئت مرّة على أنّها « فعل مضارع مبني للفاعل » ومرّة أخرى على أنّها « فعل مضارع مبني للمفعول »، وسوف نحاول أن نستجلي دلالات هذا الاختلاف في كلّ قراءة.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴿١٢٣﴾﴾[1]

تخبرنا الآية الكريمة أنّ العلم بالغيب مختصٌ بالله -عزّ وجلّ- فهو عالم غيب السموات والأرض في الماضي والحاضر والمستقبل، وإليه المرجع و المآب في الدار الآخرة .

اختلف القراء في لفظة ﴿يُرْجَعُ﴾، فقرأها نافع وحفص بضمّ الياء وفتح الجيم، وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الجيم.[2] فما المعاني التي تحملها القراءتين من هذا الاختلاف؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) في معنى الإرجاع في هذه الآية:((ومعنى إرجاع الأمر إليه: أنّ أمر التّدبير والنّصر والخذلان وغير ذلك يرجع إلى الله، أي إلى علمه وقدرته، وإن حسب النّاس وهيئوا فطالما كانت الأمور حاصلة على خلاف ما استعد إليه المستعد، وكثيرا ما اعتز العزيز بعزّته فلقي الخذلان من حيث لا يرتقب، وربّما كان المستضعفون بمحل العزّة والنّصرة على أولي العزّة والقوّة)).[3]

من قرأ بالضمّ حمل الفعل على ما لم يسمّ فاعله فأقام الأمر مقام الفاعل بمعنى يكون ﴿ٱلْأَمْرُ﴾هو فاعل الرجوع، أي يرجع هو إلى الله-عزّ وجلّ-. وحجّتهم كما قال أبو علي(ت377هـ):((قوله تعالى:﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴿٦٢﴾﴾[4]؛ لأنّ المعنى:«ثمّ ردَّ أمرُهم إلى الله». وهذا يدلّ على الاستسلام منهم كقوله:﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[5]،

---

[1]- سورة هود: الآية 123.

[2]- السبعة: المصدر السابق، ص: 340. التيسير: المصدر السابق، ص: 126.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج12، ص: 195.

[4]- سورة الأنعام: الآية 62.

[5]- سورة الصافات: الآية 26.

ويقوّي ذلك قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[1] أي له الحكم في أمرهم، ويقوّي ذلك قوله: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾[2] فهذه من الأمور المردودة إليه تعالى))[3].

وعليه يمكن أن نستخلص من هذه القراءة أنّ معنى الرجوع هنا هو الاستسلام والعجز، فعندما يرجع الأمر إلى الله – عزّ وجلّ- تستسلم الخلائق وتعجز عن التصرف ويصبح هو الحاكم في أمرهم.

أمّا من قرأ بالفتح فالوجه أنّه أسند الفعل إلى الأمر فرفع به، لأنّ« رجع » ههنا لازم، والمعنى: « أنّ الأمر كلّه راجع إليه من غير أن يكون لغيره فيه شركة »، فيرجع كل ذي أمر أمره إلى الله-عزّ وجلّ-، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾[4] فكونه له رجوع إليه، وانفراد به من غير أن يشركه أحد.[5] فالمعنى هنا أنّ الأمور كلّها خاضعة لله -عزّ وجلّ- ولا يحقّ لأحد التصرّف فيها معه.

وإلى هذا أشار ابن عاشور(ت1393هـ) في تفسيره معلقًا على الرجوع بأنّه استعارة تمثيلية بقوله: ((وعلى كلتا القراءتين فالرجوع تمثيل لهيئة عجز النّاس عن التصرّف في الأمر حسب رغباتهم بهيئة متناول شيء للتصرّف به، ثمّ عدم استطاعته التصرّف به فيرجعه إلى الحري بالتصرّف به، أو تمثيلٌ لهيئة خضوع الأمور إلى تصرّف الله دون تصرّف المحاولين التصرّف فيها بهيئة المتجوّل الباحث عن مكان يستقرّ به ثمّ إيوائه إلى المقرّ اللاّئق به ورجوعه إليه، فهي تمثيلية مكنية رُمز إليها بفعل « يرجع » وتعديته بـ« إليه »)).[6]

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ القراءتين أفادتا معنيين متقاربين، وإن اختلفت الصيغ؛ لأنّه إذا رُجع الأمر إليه رجعَ. فعلى القراءة الأولى جاءت بصيغة الفاعل على أن يكون الأمر هو فاعل الرجوع، أي يرجع هو إلى الله-عزّ وجلّ-، وإذا رجع فيصبح هو الحاكم في أمرهم والنّاس عاجزين مستسلمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة الأنعام: الآية 62.

[2]- سورة فصلت: الآية 47.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 389.

[4]- سورة الانفطار: الآية 19.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 389. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 113. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 662. التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج12، ص: 195.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

وعلى القراءة الثانية جاءت بصيغة النائب أي: « يرجع كلّ ذي أمر أمره إلى الله، من غير أن يشاركه أحد فيه »، وإذا جمعنا بين القراءتين نخلص أنّ الأمر إذا رجع إلى الله -عزّ وجلّ- فهو الحاكم والناس عاجزين عن التصرّف مستسلمين لأمره، وإذا حكم بينهم لا يحقّ لأحد أن يحكم معه فالأمور كلّها خاضعة له.

وعليه فالجمع بين القراءتين جعلنا نستكمل حلقات المعنى، ونحقّق المقصد العام المراد من هذا الاختلاف في هذه الآية الذي هو مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وقد كان الفرق بينهما في حركة الياء والجيم. أليست كلّ قراءة من القراءتين آية قائمة بذاتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾[1]

يخبرنا الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة مجيبا عن شبهات المشركين أنّ نزول الملائكة لا يكون إلا بحق وحكمة ومصلحة، ولو نزّلت على المشركين المعاندين لكان ذلك الإنزال للهلاك والعذاب لا للنفع والصلاح[2].

وقد اختلف القرأة في كلمة﴿نُنَزِّلُ﴾، فقرأه حفص وحمزة والكسائي بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة، وكسر الزاي ونصب الملائكة، وقرأ أبو بكر بتاء مضمومة وفتح النون والزاي، ورفع الملائكة، وقرأ كذلك الباقون كذلك إلا أنّهم فتحوا التاء.[3] فما الفرق بين هذه القراءات ؟ وما هو المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف ؟

قبل أن نخوض في معاني هذه القراءات، نبيّن معنى النزول المقصود من الآية من خلال تعريف ابن عاشور(ت1393هـ) له حيث قال:((والنزول: التدلي من علو إلى سفل. والمراد به هنا انتقال الملائكة من العالم العلوي إلى العالم الأرضي نزولا مخصوصا، وهو نزولهم لتنفيذ أمر الله بعذاب يرسله على الكافرين، كما أنزلوا إلى مدائن لوط – عليه السلام- وليس مثل نزول جبريل – عليه السلام- أو غيره من الملائكة إلى الرسل – عليهم السلام- بالشرائع أو بالوحي)).[4] إذن فمعنى النزول هنا نزول هلاك لا نزول نفع.

من قرأ بنونين جاء به على وجه الإخبار من الله -عزّ وجلّ- عن نفسه، أي ما ننزّلها نحن، والملائكة حينئذ منصوب بوقوع ننزل عليها[5]، ويقوّي ذلك أنّ قبله إخبارا من الله -عزّ وجلّ-عن نفسه في قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾[6]

---

[1]- سورة الحجر: الآية 8.

[2]- ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، الجزء الرابع عشر، ص 16.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 366. التيسير: المصدر السابق، ص:135. الإقناع: المصدر السابق، ص: 679.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج14، ص: 19.

[5]- جامع البيان: المصدر السابق، ج 14، ص: 7. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 140.

[6]- سورة الحجر: الآية 4.

ومن قرأ بضمّ التاء فجعله فعلا لم يسمّ فاعله، فأقام الملائكة مقام الفاعل، والوجه أنّه مضارع نزّلت بإسناد الفعل إلى المفعول به، تقول نزّلت الملائكة تنزّل[1]،كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[2]

أمّا من قرأ بفتح التاء فجعله فعلا مستقبلا سمّي فاعله، وأضاف الفعل للملائكة[3]، ويقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾[4].

نخلص ممّا سبق أنّ القراءات الثلاث على اختلافها أفادت معنى النزول، لكن الاختلاف جار في الفعل، فعلى القراءة الأولى التنزيل يكون من الله -عزّ وجلّ- وهو الأصل ونصب الملائكة على المفعولية، وعلى القراءة الثانية والثالثة التنزيل مسند إلى الملائكة. والمعنيان يتداخلان كما قال ابن زنجلة (ت403هـ): ((لأنّ الله لما أنزل الملائكة نزلت، وإذا نزلت الملائكة فبإنزال الله نزلت وتنزّل)).[5]

يقول الطبري(ت 310هـ): ((وكلّ هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أنّ الملائكة إذا نزّلها الله على رسول من رسله، تنزّلت إليه، وإذا تنزّلت عليه فإنّما تَنزّل بإنزال الله إياها إليه، فبأيّ هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب في ذلك، وإن كنت أحب لقارئه أن لا يعدوَ في قراءته، إحدى القراءتين التين ذكرت من قراءة أهل المدينة، والأخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين، لأنّ ذلك هو القراءة المعروفة في العامة، والأخرى: أعني قراءة من قرأ ذلك ما تنزل بضم التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذة قليل من قرأ بها)).[6]

---

[1]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 140. الموضح: المصدر السابق، ص: 719.

[2]- سورة الفرقان: الآية 25.

[3]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 140.

[4]- سورة القدر: الآية 4.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 381.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج14، ص: 7.

ومن مجموع هذه القراءات – وكلّ قراءة بمنزلة آية – يتبيّن لنا أنّ كلّ قراءة أفادت معنى متقاربا من معنى القراءة الأخرى، وإن اختلف الفاعل، لكنّها كلّها تجتمع في أنّ الله -عزّ وجلّ- هو المنزّل وبإرادته يكون كلّ شيء، وعليه فالمقصد هو النزول الذي يكون بإرادة الله -عزّ وجلّ-، وإن تعدّدت المعاني الجزئية له، و يندرج هذا المقصد تحت مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

والجدير بالذكر أنّ الاختلاف الوارد في اللفظة هو في الحركات والحروف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾[1]

هذا قول موسى – عليه السلام- للسامري لما قبض القبضة من أثر الرسول الذي هو جبريل – عليه السلام- فكما أخذ ومسّ ما لم يكن أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبته في الدنيا أن يقال له ﴿لَا مِسَاسَ﴾ والمعنى لا يماس الناس ولا يمسونه، وإنّ له يوم القيامة موعدا لن يحيد ولن يغيب عنه.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام، وقرأها الباقون بفتح اللام[3].فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالفتح بنوا الفعل على ما لم يسمّ فاعله أي: « لن يخلفك الله الموعد »، والفاعل هو الله -عزّ وجلّ-، أو موسى – عليه السلام- بمعنى لا يؤخّره الله عنك، فاستعير الإخلاف للتأخير لمناسبة الموعد، والموعد هنا هو الحشر والعذاب، وهو مصدر، أي لا وعدٌ لا يخلف والمقصود توعّد بعذاب الآخرة، فإنّ لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك للقوم، حتى عبدوا العجل من دون الله- عزّ وجلّ-، فسنأتيك به ولن يتأخر عنك ولن تخلف ذلك الوعد.[4]

أمّا القراءة الأخرى فبنوا الفعل للفاعل بمعنى لم يتأخر عنه، كما جاءت على وجه التهدد أي ستصير إليه مريدا أو كارها، فهو خبر في معنى وعيد، لن تخلفه أنت يا سامري، وتأوّلوه بمعنى لن

---

[1]- سورة طه: الآية 97.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 314.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 153. الإقناع: المصدر السابق، ص: 701. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 462.

[4]- ينظر: الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 249. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 463. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 210. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 853. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 277. التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج16، ص: 298.

تغيب عنه،[1] أي ستأتيه[2] ولا مذهب لك عنه،[3] بل لابدّ أن تحضره وتلقاه،[4] ولن يقع فيه خلف [5] ولن تستطيع الزوغان عنه والحيدة فتزول عن موعد العذاب.[6]

كما يوجّه ابن عاشور(ت1393هـ) هذه القراءة ويجعل السامري هو الذي بيده إخلاف الوعد وأنّه لا يخلفه، وذلك على طريق التهكم.[7]

قال الزجاج (ت316هـ): ((من قرأ لن تخلَفُه فالمعنى يكافئك الله على ما فعلت يوم القيامة والله لا يخلف الميعاد، ومن قرأ لن تخلِفَه فالمعنى إنّك تبعث وتوافي يوم القيامة، لا تقدر على غير ذلك، ولن تخلِفه)).[8]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ القراءتين أفادتا معنيين كلّ معنى له دلالته المقصودة والتي تخدم المقصد العام من الآية، فقراءة الفتح أفادت أنّ الله-عزّ وجلّ- موف وعده بالموعد الذي يحاسب فيه السامري ولن يتأخر هذا الموعد، أمّا قراءة الكسر فأفادت معنى الوعيد والتهديد الذي جاء بصيغة الخبر موجّه للسامري الذي بيده إخلاف الوعد، وسيوافى يوم القيامة على عمله، كلّ ذلك جاء بطريق التهكّم.

فالقراءتان وإن اختلفا لفظا تقاربا معنى فلا شك أنّ الله-عزّ وجلّ- موف عهده لخلقه، وأنّ الخلق لا يتخلّفون عن عهده، هذا هو المقصد العام من القراءتين ، أمّا على المقصد العام من الآية فهو يندرج تحت مقصد القصص، وإن كانت المعاني المستنبطة من الاختلاف هي معان جزئية لهذا المقصد.

---

[1]- ينظر: حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 463. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 210.
[2]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 853. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 277.
[3]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 249.
[4]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 423.
[5]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج6، ص: 256.
[6]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1265.
[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج16، ص:299..
[8]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 375. معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 158.

يقول الطبري(ت310هـ) عن القراءتين:((أنّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنّه لا شك أنّ الله مؤْف وعده لخلقه، بحشرهم لموقف الحساب، وأنّ الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلّف عنه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج16، ص: 207.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الخامس: وقوع الكلمة بين اسم الفاعل واسم المفعول

في هذا المطلب مثال واحد فقط لكلمة قرآنية قرئت مرّة على أنّها «اسم فاعل » ومرّة أخرى على أنّها «اسم مفعول »، وسوف نحاول أن نستجلي دلالات هذا الاختلاف في كلّ قراءة.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ ﴾[1]

يخبرنا الله –عزّ وجلّ – في هذه الآيات عن الكفار الذين لا تنفعهم يوم القيامة شفاعة شافع؛ لأنّ الشفاعة إنّما تنجع إذا كان المحل قابلا، فأمّا من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنّه له النار خالدا فيها، والسبب في ذلك أنّه دعي إلى الحق فأعرض عنه، فكأنّه في نفاره عنه حُمر من حمر الوحش إذا فرّت ممن يريد صيدها.[2]

وقد اختلف القراء في لفظ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾، فقرأها نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الفاء، وقرأها الباقون بكسر الفاء[3]، فما الفرق بين قراءة الفتح وقراءة الكسر؟ وما المعاني المستنبطة من هذا الاختلاف؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

المعنى الذي جاءت به قراءة الفتح هو بمعنى مذعورة، فُعل ذلك بها فهي مفعولة، أي أنّ القسورة استنفرتها، بمعنى طُلب منها أن تنفر فأصبحت كالمنفرة المحمولة على النفار.[4]

يقول ابن عاشور (ت1393هـ) عن هذه القراءة: ((من قرأ بالفتح أي استنفرها مستنفر أي أنفرها فهو من استنفره المتعدي بمعنى أنفره وبناء الفعل للنائب يفيد الإجمال ثمّ التفصيل بقوله فرت من قسورة)).[5]

1- سورة المدثر: الآية 48-51.

2- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 273.

3- التيسير: المصدر السابق، ص: 216. الإقناع: المصدر السابق، ص: 797. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 597.

4- الكشاف: المصدر السابق، ص: 1159. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 417. مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 276. الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 342. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 734. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1315.

5- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 330.

أمّا قراءة الكسر فمعناه نافرة فهي فاعلة، أي نفرت من القسورة،فتكون هي التي استنفرت.[1]

ويقوّي هذا المعنى قول ابن زنجلة (ت403هـ) بأنّها أولى ودليله قوله ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ فهذا يدلّ على أنّها هي استنفرت.[2] والسين والتاء في مستنفرة للمبالغة في الوصف أي نافرة نفارا قويا فهي تعدو بأقصى سرعة العدو[3].

كما يبيّن ابن عاشور (ت1393هـ)عن سبب نفورها بقوله: ((ومن قرأ بالكسر أي استنفرت هي فيكون جملة فرت من قسورة بيانا لسبب نفورها))[4]

وكان الفراء (207هـ) يقول: الفتح والكسر في ذلك كثيران في كلام العرب، وأنشد:

أمسك حِمارك إنه مستنفِرٌ   في إثرِ أحمِرةٍ عمَدن لغرَّبِ.[5]

وقد قيل في معنى القسورة أقوال كثيرة نذكر منها: الرماة، وقيل الأسد، وقيل الصائد، وقيل ظلمة الليل.[6]

يقول ابن عاشور (ت1393هـ) عن الأقوال التي قيلت عن القسورة: ((كل هذه الأقوال عن القسورة إنّما هي تشبيه جاري على مراعاة الحالة المشهورة في كلام العرب أو هو تشبيه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمّنته قوارع القرآن فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان)).[7]

يفهم من الكلام أنّ التشبيه هو بمثابة تمثيل للحالة وإيثار لفظ قسورة هنا لصلاحيته للتشبيهين مع الرعاية على الفاصلة[8] .

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 342. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 542.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 734.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 330.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

[5]- معاني القرآن للفرّاء: المصدر السابق، ج 3، ص: 206.

[6]- ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ط.ت، الجزء العاشر، ص: 558. معاني القرآن للفرّاء: المصدر نفسه. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج5، ص: 250. ولمعرفة المعنى أكثر ينظر: التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 330.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

[8]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

ولقد شبّه القرآن الكريم حالة إعراضهم بحالة فرار الحمر، والحمر جمع حمار وهو الحمار الوحشي وهو شديد النّفار إذا أحسّ بصوت القانص وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس[1] .

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ القراءة الأولى أفادت أنّ القسورة هي التي استنفرت الحمر، فأصبحت منفرة في حالة مذعورة أو في حالة إعراض مخلوط برعب، وأمّا القراءة الثانية فأفادت أنّها هي التي استنفرت فهي نافرة، وكان سبب نفورها القسورة. وعلى كلا المعنيين يتحقّق المعنى العام من الآية وهو النّفار عن الحق، وإن كان الأمر كلّه تشبيه للحالة التي هم عليها، وعليه فكلا المعنيين تعتبر معان جزئية لمقصد عام هو مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك عندنا أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ)).[2]

[1]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج29، ص: 330.

[2]- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م، الجزء الثالث والعشرون، ص: 455.

المطلب السادس: وقوع الكلمة بين اسم الفاعل والصفة المشبهة.

ندرس في هذا المطلب مثالين لكلمات قرآنية قرئت مرّة على أنّها « اسم فاعل » ومرّة أخرى على أنّها « صفة مشبهة »، وسوف نحاول أن نستجلي دلالات هذا الاختلاف في كلّ قراءة.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1]

يأمر الله – عزّ وجلّ- نبيّه موسى – عليه السلام- في مطلع هذه الآية أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل -عليه السلام- ما أمر به ربه – عزّ وجلّ-، بعدما استعار من قوم فرعون حليا كثيرا، فلمّا أصبحوا وليس في ناديهم داع ولا مجيب، غاض ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل لما يريد الله به من الدمار، فأرسل في بلاده من يحشر الجند ويجمعه، ونادى فيهم أنّ هؤلاء يعني -بني إسرائيل- طائفة قليلة، وإنّ كلّ وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا، ونحن كلّ وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿ حَٰذِرُونَ﴾، فقرأها حمزة وعاصم والكسائي وابن ذكوان وخلف بألف بعد الحاء، وقرأها الباقون بدون ألف بعد الحاء.[3] فما المعاني التي تحملها القراءتين ؟ وما المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

نبدأ بقراءة حمزة ومن معه فقد جاءت بصيغة اسم فاعل، والمعنى أنّهم مؤدون مقوون أي ذوو أداة وذوو سلاح وقوّة، فالحاذر المستعد الذي يحذر الآن ويحذر في المآل،بمعنى يفعل الحذر فيما يستقبل.[4]

---

[1]- سورة الشعراء: الآية 52-56.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 143.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 165. الإقناع: المصدر السابق، ص: 716. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:487.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 517. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 448.

يقول أبو علي(ت377هـ).: ((يقال حذر يحذر حذرا واسم الفاعل حذر، فأمّا حاذر فإنّه يراد به أنّه يفعل الحذر فيما يستقبل)).[1]

ويمكن أن يكون المعنى أنّه على حذر لكنّه يجدّد حذره، وإنّما يفعل ذلك أخذا للحذر واحتياطا لنفسه.[2]

فالحذَر من شيمته وعادته فكذلك يجب أن تكون الأمّة معه في ذلك، أي: « إنّا من عادتنا التيقظ للحوادث والحذر ممّا عسى أن يكون لها من سيء العواقب »[3].

وعن المحذور منه في الآية يرجّح ابن عاشور (ت1393هـ) أن يكون المحذور هو الاغترار بإيمان السحرة بالله-عزّ وجلّ- وتصديق موسى– عليه السلام-، ويبعد أن يكون المراد خروج بني إسرائيل من مصر لأنّه حينئذ قد وقع فلا يحذر منه وإنّما يكون السعي في الانتقام منهم.[4]

أمّا قراءة الباقين فجاءت بمعنى المتيقظ، أي « قد أخذنا حذرنا وتأهبنا »، فهم حذرون في الحال،والحذر المخلوق حذرا لا تلقاه إلا حذرا فهو المطبوع على الحذر [5]،ويحتمل أن يكون من معانيها خائفون شرهم.[6] أو ذو حيلة.[7]

ويتحدّث ابن عاشور (ت1393هـ) عن الحذر بقوله أنّه:((أصل عظيم من أصول السياسة وهو سد ذرائع الفساد، ولو كان احتمال إفضائها إلى الفساد ضعيفا، فالذرائع الملغاة في التشريع في حقوق الخصوص غير ملغاة في سياسة العموم، ولذلك يقول علماء الشريعة: إنّ نظر ولاة الأمور في

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 359.

[2]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 761. المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1400.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج19، ص: 131.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج19، ص: 132.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 517. المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1400. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 92. معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج5، ص: 80. معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 280.

[6]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 306.

[7]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 86.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مصالح الأمّة أوسع من نظر القضاة، فالحذر أوسع من حفظ الحقوق وهو الخوف من وقوع شيء ضار يمكن وقوعه، والترصد لمنع وقوعه)).[1]

يفهم من كلامه أنّ الحذر على القراءتين أصل عظيم ومطلوب في رعاية مصالح الأمة، فقد أصّل -رحمه الله- من خلال هذه الآية ومقاصدها لباب عظيم هو باب سد ذرائع الفساد، فولاة الأمور الذين يأخذون حذرهم قبل وقوع المفاسد هم الحذرون على مصالح الأمة، وبالتالي يكون قد رجّح قراءة حمزة ومن معه ؛ لأنّ قراءتهم تدلّ على هذا المعنى.

ممّا سبق يمكن أن نستخلص المعاني التي جاءت بها القراءتان وهي على النحو التالي:

- القراءة الأولى أفادت أنّهم ذوو سلاح وقوّة، وإن كان هذا المعنى يشترك مع القراءة الأخرى.
- الحاذر في القراءة الأولى هو المستعد الذي يحذر الآن ويحذر في المآل.
- كما يحتمل أن يكون المعنى تجديد الحذر.

أمّا القراءة الأخرى فأفادت أنّها بمعنى المتيقظ الذي يحذر في الحال فهو مطبوع على الحذر من خلقته لا يحتاج إلا استعدادا وتجديدا. كما يمكن أن يكون من معانيها الخوف من شر هذه الشرذمة، أو أنّهم ذو حيلة كما ذهب إليه أبو عبيدة(ت210هـ) في كتابه مجاز القرآن.

وعليه فالقراءتان متقاربتان في المعنى متكاملتان في تحقيق المعنى المقصود من الآية، مع العلم أنّ الاختلاف بينهما هو في زيادة الألف.

كما أنّ هذه المعاني المستنبطة من هذا الاختلاف كلّها معان جزئية لمقصد عام وهو تحقيق معنى الحذر، وهذا المقصد يندرج تحت مقصد القصص .

يقول الطبري(ت310هـ) : ((والصواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب))[2].

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج19، ص: 131.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج19، ص: 77.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ ﴾[1]

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن المجرمين أنّهم كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين، وإذا مروا بهم يحتقرونهم، وإذا رجعوا إلى منازلهم، انقلبوا إليها فاكهين، أي مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم يحتقرونهم ويحسدونهم[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة فقرأها﴿فَكِهِينَ﴾، فقرأ حفص وأبو جعفر بغير ألف ، وقرأ الباقون بالألف بعد الفاء.[3] فما المعاني المستخلصة من هذا الاختلاف ؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

قبل الخوض في ذكر المعاني نعرّج عن ما قاله ابن عاشور (ت1393هـ) في هذه الآية لأنّ كلامه يفيدنا في دراسة اللفظة .

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) متحدّثا أوّلا عن ماهية الانقلاب:((والانقلاب: الرجوع إلى الموضع الذي جيء منه)).

ثمّ يضيف قائلا عن سبب ذكر الأهل دون البيت قائلا:((وأهل الرجل زوجه وأبناؤه، وذكر الأهل ههنا لأنّهم ينبسط إليهم بالحديث فلذلك قيل« إلى أهلهم » دون« إلى بيوتهم » والمعنى : وإذا رجع الذين أجرموا إلى بيوتهم وخلصوا مع أهلهم تحدّثوا أحاديث الفكاهة معهم بذكر المؤمنين وذمّهم)).

ثمّ يختم الكلام عن سبب تكرير فعل انقلبوا بقوله: ((وتكرير فعل انقلبوا بقوله ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾من النسج الجزل في الكلام كان يكفي أن يقول «وإذا انقلبوا إلى أهلهم فكهوا »أو « إذا انقلبوا إلى أهلهم كانوا فاكهين ». وذلك لما في إعادة الفعل من زيادة تقرير معناه في ذهن

---

[1]- سورة المطففين: الآية29- 31.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 354.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 212. الإقناع: المصدر السابق، ص: 806. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 608.

السامع؛ لأنّه ممّا ينبغي الاعتناء به ولزيادة تقرير ما في الفعل من إفادة التجدّد حتى يكون فيه استحضار الحالة))[1].

يفهم من كلام ابن عاشور (ت1393هـ) من خلال شرحه للكلمات الثلاث أنّها تخدم اللفظة المستعملة في هذا السياق، فالانقلاب إلى الأهل الذين هم أهل للانبساط والفكاهة، وتكرير الفعل الذي يفيد التجدّد لاستحضار الحالة، كلّها عوامل تحقق معنى الفكاهة . وفيما يلي عرض للمعاني التي تفيدها كلّ قراءة .

من قرأ ﴿فاكهين﴾ فالمعنى معجبين بما هم فيه، يتفكهون بذكر أصحاب محمّد - صلّى الله عليه وسلّم-[2] وقيل ناعمين[3] وهي عند الفارسي والمهدوي بمعنى ذو فاكهة[4]، وقيل فاكهين أصحاب فاكهة ومزاج ومزح وسرور باستخفافهم بأهل الإيمان متلذّذين بذكرهم وبالضحك والسخرية منهم أي ينسبون المسلمين إلى الضلال.[5]

أمّا من قرأ﴿فَكِهِينَ﴾ فالمعنى أنّهم فرحين،[6] وقيل معناها إذا ضحك وطابت نفسه[7] وقيل فكهين بمعنى أشرين[8].وهو صفة مشبهة وهما بمعنى واحد مثل فارح وفرح[9].

وإذا أردنا أن نقارن الفرق بين القراءتين نجد أنّهما أفادتا معنى واحد كلّه يصبُّ في معنى الاستخفاف بأهل الإيمان إلا أنّ هذا الاستخفاف متنوّع، فتارة يكون بالإعجاب بما هم فيه ناعمين

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج30، ص: 212.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 755. معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 249. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج5، ص: 301.

[3]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1353. الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 727.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 388. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 550.

[5]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج8، ص: 435. الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 727. الكشاف: المصدر السابق، ص: 1189.

[6]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1353. الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 727.

[7]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 550.

[8]- الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 727.

[9]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج30، ص: 213.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهم أصحاب مزاج وسرور، وتارة يحمل صفة التلذّذ ممزوج بالضحك والسخرية في حالة يغمرها الفرح والسرور، فالمعنى واحد لكن الطريقة في التفكّه متنوّعة ومختلفة. أليست كلّ قراءة تكمّل الأخرى وتحقق المعنى المقصود.

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية لمقصد عام هو تحقيق معنى الفكاهة، وهذا المقصد في الآية يندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلَب السابع: وقوع الكلمة بَين صِيغ مُختلفة.

سوف ندرس في هذا المطلب أمثلة قرآنية للاختلاف الوارد بين القراءات القرآنية ومردّه وقوع الكلمة في صيغ مختلفة، وسوف نحاول أن نستجلي الدلالة البيانية لكلّ قراءة ونقف على معانيها.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾﴾[1]

يُخْبرنا الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية عن تمرّد الكافرين في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق الظاهر البيّن مع ما يشاهدونه من الدلالات والآيات الواضحة، وأنّه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم بمشاهدة العذاب الذي وعدوا به عيانا [2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿ قُبُلَا﴾، فقرأه الكوفيون بضمّتين، وقرأه الباقون بكسر القاف وفتح الباء.[3] فما المعاني والدلالات التي تفيدها هذه اللفظة مع اختلاف القراءة بها ؟ وما نوع المقصد المستخرج من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالكسر حمله على معنى المقابلة من « لقيت فلانا قُبلا ومقابلة وقبْلا وقِبلا وقبيلا وقبَليا »، كلّه بمعنى المقابلة أو المواجهة، أي: عيانا. والمعنى: « أن يأتيهم العذاب مقابلة يرونه »[4].

قال أبو علي(ت377هـ): ((فقوله قُبلا، أي مقابلة)).[5] إذن فـ﴿ قُبُلَا﴾ هي حال من العذاب بمعنى المقابل الظاهر [6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة الكهف: الآية 55.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 172.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 393. التيسير: المصدر السابق، ص: 144. الإقناع: المصدر السابق، ص: 690.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 153.

[5]- الحجة: المصدر نفسه. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 171.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج15، ص: 352.

يقول ابن عطية(ت 541هـ)[1] في تفسيره: ((أي مقابلة عيانا، والمعنى عذاب غير معهود، فتظهر فائدة التقسيم، وكذلك صدق هذا الوعيد في بدر)).[2]

فالمعنى الذي نستخلصه من هذه القراءة أنّ العذاب يأتيهم مقابلا لهم وجها لوجه يرونه عيانا. وتخصيص هذه القراءة بهذا المعنى يدلّ على إبراز الدليل القاطع، ذلك أنّ الإنسان يؤمن بالمرئي أكثر من المسموع، فلا يجادل إذا رأى الحقيقة أمامه فيبطل عذره.

أمّا قراءة الضمّ فتحمل عدّة معان من بينها:[3]

- يجوز أن تكون من معانيها معنى المواجهة والمقابلة مثل قراءة الكسر فيكون معنى القراءتين واحدا فاختلف اللفظ واتفق المعنى.
- يجوز أن تكون قبلا جمع قبيل،على معنى: يأتيهم العذاب أنواعا، أي صنفا صنفا، فيكون العذاب على ضروب مختلفة كلّ قبيل منه غير صاحبه، ويتلوا بعضه بعضا.
- يجوز أن يكون هذا العذاب صنفا واحدا ويأتيهم شيء بعد شيء.
- يجوز أن تكون على قبلا جمع قبيل الذي هو الكفيل فيكون المعنى: يأتيهم العذاب كفيلا، أي يتكفّلهم العذاب من الكفالة.
- يجوز أن تكون بمعنى من قُبُل أي ممّا يقابلهم.
- يجوز أن تكون من معانيها فجأة.
- يجوز أن تكون من معانيها صفا صفا.

نخلص ممّا سبق أنّ هذه القراءة أفادت أنّ العذاب يأتيهم معاينة على أنواع مختلفة كلّ واحد له صنف من العذاب يأتيه شيء بعد شيء، ويكون كفيلا لهم حال بقائهم في الحياة الدنيا.

---

[1]- ابن عطية: هو عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية الإمام، قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، ولد سنة 480هـ، كان فقيها عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير بارع الأدب والشعر، توفي سنة 541هـ . له كتاب عظيم في تفسير القرآن الكريم اسمه المحرر الوجيز. ينظر: طبقات المفسرين: المصدر السابق، ص: 59.

[2]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1199.

[3]- ينظر: الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 153. معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج3، ص: 147. معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج4، ص: 260. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 297. مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص 654. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 259. أضواء البيان: المصدر السابق، ج4، ص: 176-177.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ قراءة الكسر جاءت مجملة فأفادت معنى واحدا، أمّا قراءة الضمّ فجاءت مفصّلة لها مبيّنة كيفية إتيان العذاب، وحملت عدّة معان تعتبر مقاصد جزئية للمقصد العام الذي هو مشاهدة العذاب، والذي يحقّق إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

يقول الطبري(ت 310هـ):((وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءة من قرأ بضمّ القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بينا من المعاني، وأنّ معنى القُبل داخل فيه، وغير داخل في القُبل معاني القِبل)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج8، ص: 3. وعن معرفة هذه الأوجه ينظر: المصدر نفسه، ص: 2.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

في هذه الآية يخبرنا الله -عزّ وجلّ- أنّه خلقنا في الأصل من نفس واحدة وهو آدم -عليه السلام-، وهذا الإنشاء يدل على قدرته تعالى وعلمه وحكمته ووحدانيته، ثمّ بيّن لنا كيفية تسلسل البشر والولادة في وقت معين لا يعلمه إلا هو، فقال: ﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ أي لكم موضع استقرار في الأرحام وموضع استيداع في الأصلاب، أو مستقر في الأرض ومستودع تحتها، أو مستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو عمرو وروح بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتح القاف.[3] فما المعاني التي تحملها القراءتين؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

اختلف المفسرون في المراد بالاستقرار والاستيداع في هذه الآية، وأولى التأويلات في ذلك ما قاله الطبري(ت310هـ): ((إنّ الله -جلّ ثناؤه- عمّ بقوله ﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة : مستقرا ومستودعا، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، ولا شك أن من بني آدم مستقرا في الرحم، ومستودعا في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض، فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني، فداخل في عموم قوله﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ ومراد به: إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له، بأنه معني به معنى دون معنى، وخاص دون عام)).[4]

وعن معنى الاستقرار والاستيداع يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((والاستقرار هو القرار، فالسين والتاء فيه للتأكيد يقال: « استقر في المكان بمعنى قر »)) ثمّ يضيف قائلا:((والاستيداع : طلب الترك ، وأصله مشتق من الودع، وهو الترك على أن يسترجع المستوْدِعُ يقال: « استودعه مالا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة الأنعام: الآية 98.

[2]- ينظر: التفسير المنير: المصدر السابق، ج7، ص: 308.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 263. الإقناع: المصدر السابق، ج2، ص: 641. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 360.

[4]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 291.

إذا جعله عنده وديعة »، فالاستيداع مؤذن بوضع مؤقت، والاستقرار مؤذن بوضع دائم أو طويل)).[1]

يقول الفرّاء (ت207هـ) موضحا معنى قراءة الكسر:((فمستقِر يعني الولد في الرحم ومستودع في صلب الرجل، ورفعها على إضمار الصفة كقولك : « رأيت الرجلين عاقل وأحمق »، يريد منهما كذا وكذا))[2]

كما يوجّه الفارسي(ت377هـ) هذه القراءة بقوله: ((فمنكم مستقِرٌّ في الأرحام ومنكم مستودَع في الأصلاب، فالمستودع اسم المفعول به، فيكون مثل المستقِر في أنّه اسم لغير مكان فعلى هذا يوجّهُ)).[3]

وعلى شاكلتهما ذهب مكي (ت437هـ) حيث أكّد إلى أنّ من قرأ بالكسر جعلوه اسما غير ظرف بمعنى:« فمستقر في الأرحام، بمعنى قار في الأرحام » ، أي : « فمنكم قار في الأرحام، أي: بعضكم قار في الأرحام، وبعضكم مستودع في الأصلاب »[4]، تقول: ((قرّ الشيء يقرّ واستقرّ يستقرّ))[5]، فهو اسم فاعل مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: « فمنكم مستقر ».[6]

كما بيّن مكي(ت437هـ) أنّ المستودع في قراءة من كسر القاف هو الإنسان بعينه، فتعطف اسما على اسم.[7]

نخلص ممّا سبق أنّ هذه القراءة أفادت معنى الاستقرار في الرحم والاستيداع في الأصلاب، فالبعض يستقر في الرحم والبعض الآخر مستودع في الأصلاب، وهما اسمان لغير مكان، كما أن المستودع على هذه القراءة يراد به الإنسان بعينه، فماذا تفيد القراءة الأخرى ياترى ؟

يوجّه الفارسي(ت377هـ) قراءة الفتح بقوله:((من فتح﴿ فَمُسْتَقَرٌّ﴾ فليس على أنه مفعول به، ألا ترى أن استقر لا يتعدى ؟ وإذا لم يتعدّ لم يكن منه اسم مفعول به، وإذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان، فالمستقر بمنزلة المقرِ، كما أن المستقرّ بمنزلة القار، وإذا كان كذلك لم يجُز أن يكون

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 396.

[2]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ص:347.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 365.

[4]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 21.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 263.

[6]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 285.

[7]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خبره المضمر منكم كما جاز ذلك في قول من كسر القاف، فإذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر لكم، فيكون التقدير لكم مقر)).[1]

يفهم من هذا التوجيه أنّه من قرأ بفتح القاف جعلوه اسم مكان مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف كالأول، ولا يجوز أن يكون الخبر المحذوف على هذه القراءة « منكم » كما كان في القراءة الأولى، والتقدير:« فلكم مستقر أي مقر ومكان تقرون فيه، وتسكنون فيه »، ويكون ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾أيضا اسم مكان بمعنى:« فلكُم استقرار مكان استيداع »، فمستقر في قراءة من فتح القاف، ليس هو الإنسان إنما هو اسم لمكان الإنسان، فتعطف مكانا على مكان[2].

كما يذهب ابن عاشور(ت1393هـ) في توجيه هذه القراءة على أنّها مصدرا ميميا و« مستودع » كذلك، والوصف بالمصدر للمبالغة في الحاصل به، أي تفرّع عن إنشائكم استقرار واستيداع .[3]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ هذه القراءة أفادت المكان أو الموضع الذي هو المستقر والمستودع، كما أنّ مستقَر في قراءة من فتح القاف، ليس هو الإنسان إنما هو اسم لمكان الإنسان، وعليه فكلا القراءتين أفادتا معنيين مقصودين من الآية، فالأولى جاءت اسم لغير مكان، و« المستودع » هو الإنسان بعينه، أمّا الثانية فجاءت لاسم مكان الذي هو الموضع، و« مستقر » ليس هو الإنسان إنما هو اسم لمكان الإنسان.

وكلّ هذه المعاني تدخل تحت المقصد العام من الآية الذي قدرة الله -عزّ وجلّ- في كيفية إنشائه للبشر، وهذا المقصد يدخل تحت مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين بالصواب عندي، وإن كان لكليهما عندي وجه صحيح فمستقَر، بمعنى: استقرّه الله في مستقره؛ ليأتلف المعنى فيه وفي المستودع، في أنّ كل واحد منهما لم يسم فاعله، وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقر هذا، والمستودع هذا، وذلك أن الجميع مجموعون على قراءة قوله ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ بفتح الدال على وجه ما لم يسم فاعله، فإجراء الأول، أعني قوله فمستقر عليه أشبه من عدوله عنه)).[4] أليست كلّ قراءة بمنزلة الآية ؟

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 365.

[2]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 21.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 396.

[4]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 291.

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- عن القوم الذين لو عذّبهم قبل قيام الحجّة عليهم، لاحتجّوا بأنّهم لم يأتهم رسول – وذلك لما جاءهم الحق على لسان محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- قالوا على وجه التعنّت﴿لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ من الآيات الكثيرة، مثل العصا واليد والطوفان والجراد ، وإنزال المنى والسلوى، إلى غير ذلك من الآيات والحجج الدامغة التي أجراها الله – عزّ وجلّ- على نبيّه – عليه السلام- ومع هذا كلّه كفر فرعون وقومه به وبأخيه هارون – عليهما السلام- وقالوا عنهما بأنّهما ساحران تعاونا.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿ سِحۡرَانِ﴾، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ سِحۡرَانِ﴾، وقرأها الباقون[3] ب﴿ساحران﴾ فما الفرق بين القراءتين؟ وما نوع المقصد المستخلص من هذا الاختلاف ؟

من قرأ﴿ سِحۡرَانِ﴾ فهو على الإخبار بالمصدر للمبالغة، ويحتمل أن يعني بها[4]:

-الكتابين التوراة والقرآن، ويقوّي ذلك قوله ﴿هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾[5]

- أنّهما ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر.

- نوعان من السحر.

---

[1]- سورة القصص: الآية 48.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 242.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 172. الإقناع: المصدر السابق، ص: 724. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 499.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 547. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 462. الكشاف: المصدر السابق، ص: 805. التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج20، ص: 138

[5]- سورة القصص: الآية 49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن قرأ﴿ ساحران﴾فيقصد بهما موسى وهارون، وقيل موسى وعيسى، -عليهما السلام- وقيل موسى ومحمّد - -صلّى الله عليه وسلّم- فعلى معنى أنّ الكفار قالوا إن محمّدا - صلّى الله عليه وسلّم-وموسى -عليه السلام- ساحران تظاهرا.[1]

وحجّتهم أنّ التظاهر على العموم يكون للنّاس كقوله﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾[2]و﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ﴾[3]، فأسند هاهنا إلى الرجلين [4].

وعن حقيقة التظاهر الذي هو التعاون والمعاونة فنسبته للقراءة الأولى على الاتساع كأنّ المعنى أنّ كل سحر منهما يقوّي الآخر[5]؛ لأنّه إذا تعاونا الساحران تعاون سحراهما، أمّا نسبته للقراءة الثانية فظاهر وذلك لأنّ تعاون الساحرين حقيقة وتعاون السحرين مجاز[6] والمعاونة تكون للساحرين لا للسحرين كما يقول الفارسي(ت377هـ).[7]

ممّا سبق نخلص إلى أن كلّ قراءة من القراءتين أفادتا معنى خاص بهما، فقراءة ﴿ سِحۡرَانِ ﴾أريد بها الكتابان كما أريد بها أنّ موسى وهارون -عليهما السلام- ذوا سحر أو يملكان نوعان من السحر، كلّ ذلك جاء بصيغة المبالغة. أمّا قراءة ﴿ ساحران﴾ فأريد بها الشخصين لا غير .

كما أنّ نسبة التظاهر إلى القراءتين يخدم معنى واحد ذلك أنّه إذا تعاون الساحران تعاون سحراهما فالمعنى متداخل. وعليه فالقراءتان متكاملتان متداخلتان وتحققان المعنى المقصود من الآية والذي هو التعنّت في اتباع الحق، والكفر بما جاء به موسى وهارون – عليهما السلام- .

جامعة ... للعلوم الإسلامية

1- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 547. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 462.

2- سورة التحريم: الآية 4.

3- سورة الممتحنة: الآية 9.

4- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 547.

5- حجة القراءات: المصدر نفسه.

6- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 986.

7- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 423.

فكلّ المعاني التي حملتها القراءتين تعتبر معان جزئية تندرج تحت مقصد عام هو مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة .

يقول الطبري(ت310هـ):((وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ ﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ﴾ بمعنى كتاب موسى وهو التوراة، وكتاب عيسى وهو الإنجيل)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج20، ص: 85.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الرابع: قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة عن المشركين الذين اعتقدوا أنّ الملائكة إناثا، فأنكر الله – عزّ وجلّ- عليهم ذلك بقوله﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ أي شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا، وسوف يسألون عن هذه الشهادة يوم القيامة.[2]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿عِبَـٰدُ﴾، فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿عند﴾ وقرأ الباقون بعين وباء موحدة بعدها ألف ثمّ دال مضمومة[3]. فما المعاني التي تحملها القراءتين؟ وما هو المقصد القرآني المشار إليه؟

قبل أن نخوض في دراسة اللفظة نبيّن معنى ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ لأنّها مرتبطة باللفظة، والمقصود بها ههنا القول والحكم على الشيء [4] أو وصفه[5].

إنّ حجّة من قرأ بالنون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[6] وهي دلالة على رفع المنزلة والقربة من الكرامة [7]، فهم عند الله-عزّ وجلّ- بالقربة والمنزلة، ويجوز أن يكون المراد أنّهم عند أمره وحكمه.[8]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) موجّها هذه القراءة: ((على معنى الذين هم عباد مكرمون، فالإضافة إلى اسم الرحمان تفيد تشريفهم قال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[9]والعبودية

1- سورة الزخرف: الآية 19.

2- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج7، ص: 223.

3- التيسير: المصدر السابق، ص: 196. الإقناع: المصدر السابق، ص: 760. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 548.

4- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 407.

5- معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج6، ص: 344.

6- سورة الأعراف: الآية 206.

7- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 366.

8- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1148.

9- سورة الأنبياء: الآية 26.

خاصة وهي عبودية القرب كقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾[1])).[2]

ويضيف قائلا:((والعندية عندية تشريف أي الذين هم معدودون في حضرة القدس المقدسة بتقديس الله فهم يتلقّون الأمر من الله بدون وساطة وهم دائبون على عبادته فكأنّهم في حضرة الله)) ثمّ يختم قائلا: ((فالعندية مجاز والقرينة هي شأن من أضيفت إليه عند)).[3]

ممّا سبق نخلص أنّ هذه القراءة أفادت المنزلة والقربة من الله-عزّ وجلّ- ، وهذا تشريف للملائكة الذين هم عند الرحمان يتلقون أمره وحكمه، فالعندية مجاز أريد بها وصف حال الملائكة .

أمّا من قرأ ﴿عِبَادُ﴾ وهي جمع عبد، فحجّتهم ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾وقوله ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ دلالة على تكذيبهم في أنّهم إناث.[4]

يقول مكي(ت437هـ) موجّها هذه القراءة: ((وحجّة من جعله جمع « عبد » قوله ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾يعني الملائكة وفيه التسوية بين الآدميين والملائكة في أنّ كلٌّ عباد الله)). ثمّ يضيف قائلا: ((دلّ بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لأنّه يخبر أنّهم عباده والولد لا يكون عبد أبيه)).[5]

المعنى الذي نستخلصه من هذه القراءة أنّها أفادت أولا:

- النفي التام في قول من جعل الملائكة إناثا وأنّهم بنات الله-عزّ وجلّ-.

- التسوية بين الآدميين والملائكة في أنّهم عباد الله -عزّ وجلّ-.

وعليه فالاختلاف الحاصل في اللفظة أفاد عدّة معان، كلّ معنى له دلالته الخاصة ممّا يعطينا تعدّد في الآيات وبالتالي تنوّع في المقاصد .

---

[1]- سورة القمر: الآية 9.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج25، ص: 183.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج25، ص: 182.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 647.

[5]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 358.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعليه فكلّ معان القراءتين هي معان جزئية لمقصد عام أرادت الآية تحقيقه وهو النفي التام في اتخاذ الله – عزّ وجلّ- الملائكة إناثا، وأنّ الآدميين والملائكة كلّهم عباد الله – عزّ وجلّ- وهو مقصد يندرج تحت مقصد إصلاحُ الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

يقول الطبري (ت310هـ):((والصواب من القول في ذلك عندي: أنّهما قراءتان معروفتان في قرأَة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أنّ الملائكة عباد الله وعنده)).[1] أليس كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج25، ص: 58.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثامن: وقوع الكلمة بين التذكير والتأنيث

في هذا المطلب مثال واحد فقط لكلمة قرآنية وقعت بين التذكير والتأنيث، وسوف نحاول أن نستجلي دلالة كلّ قراءة من خلال المعاني المستنبطة من هذا الاختلاف.

قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية أنّه علّم داود – عليه السلام – صنعة الدروع لتكون لباسا تقي الفارس من بأس السلاح.[2]

واللبوس بفتح اللام يقول ابن عاشور (ت1393هـ) :((أصله اسم لكلّ ما يلبس فهو فَعول بمعنى مفعول مثل رسول، وغلب إطلاقه على ما يلبس من لامة الحرب من الحديد، وهو الدرع فلا يطلق على الدرع لباس ويطلق عليها لبوس كما يطلق لبوس على الثياب)) .[3]

كما يطلق في اللغة بمعنى السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك.[4]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾، فقرأها ابن عامر وحفص وأبو جعفر بالتاء وأبو بكر ورويس بالنون، وقرأها الباقون بالياء[5]. فما المعاني التي يمكن أن نستجليها من هذا الاختلاف ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

من قرأ بالتاء فقد أراد بذلك شيئين:

- أراد اللبوس الذي هو الدرع والدرع تؤنّث وتذكر بمعنى:« لتحصنكم الدرع »[6]

---

[1]- سورة الأنبياء: الآية 80.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 358.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج17، ص: 121.

[4]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1289.

[5]- التيسير: المصدر السابق، ص: 155. الإقناع: المصدر السابق، ص: 703. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:466.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 469. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 426. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 400.

- أراد الصنعة ويجوز أن يعني بذلك أيضا الدرع المصنوعة، فيأتي المعنى:« لتحصنكم الصنعة »[1]

أمّا من قرأ بالياء فيريد بذلك:

- اللبوس بمعنى: ليحصنكم اللبوس من بأسكم أو ليحرزكم ويمنعكم هذا اللبوس.[2]

- ليحصنكم الله-عزّ وجلّ- ؛ لأنّه يجوز أن يكون الفاعل اسم الله-عزّ وجلّ- لتقدّم ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾[3]

- ليحصنكم داود– عليه السلام- أو اللبوس أو الدروع التي أوقع عليها اللبوس.[4]

وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور (ت1339هـ) أنّ إسناد الإحصان إلى اللبوس إسناد مجازي.[5]

في حين من قرأ بالنون فالمعنى: « لنحصنكم نحن من بأسكم ».[6]، فالله–عزّ وجلّ- يخبر عن نفسه،[7] أي لنقيكم به بأس السلاح[8] وعلى تأويل كذلك الدرع كما ذهب إليه الزمخشري (ت538هـ). [9]

إضافة لما تقدّم يجوز أيضا أن يكون الفعل لمعنى التعليم الذي يدلّ عليه ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ ﴾ كأنّه قال:« ليحصنكم التعليم ».[10]

---

[1]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 426. الكشاف: المصدر السابق، ص: 684. جامع البيان: المصدر السابق، ج17، ص: 55. معاني القرآن للزجاج: المصدر نفسه، ج3، ص: 400.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 469. شرح الهداية: المصدر نفسه، ص: 426. جامع البيان: المصدر نفسه، ج17، ص: 55. معاني القرآن للزجاج: المصدر نفسه، ج3، ص: 400. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 281.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 258. حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 469.

[4]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1289. الكشاف: المصدر السابق، ص: 684. الحجة: المصدر نفسه، ج5، ص: 258.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج17، ص: 122.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج17، ص: 55.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 469.

[8]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 168.

[9]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 684.

[10]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 866.

يقول الزجاج(ت316هـ): ((فهذه الثلاثة الأوجه قد قرئ بهن، ويجوز فيها ثلاث لم يقرأ بهنّ، ولا ينبغي أن يقرأ بهن لأنّ القراءة سنة، يجوز لنحصّنكم بالنون والتشديد ولنحصنكم بالتاء والتشديد، وليحصّنكم بالياء مشددة الصاد في هذه الثلاث)).[1]

ممّا سبق نخلص أنّ كلّ قراءة أفادت معنى خاص بها مع تداخل نسبي بينها في المعنى، فقراءة التاء أفادت معنى اللبوس والصنعة، وقراءة الياء أفادت كذلك اللبوس أو داود – عليه السلام- أو الله -عزّ وجلّ-،كما يجوز أن يكون الفعل لمعنى للتعليم.

أمّا قراءة النون فقد أفادت الله -عزّ وجلّ- لأنّه يخبر عن نفسه، وعلى رأي الزمخشري (ت538هـ)، فقد أفادت كذلك الدرع الذي هو اللبوس. مع العلم أنّ إسناد الإحصان إليه إسناد مجازي أريد به الوصف فقط.

وعليه فكلّ القراءات متقاربات في المعنى وإذا أردنا أن نعطي معنى جامعا فنقول: « لتحصنكم اللبوس والصنعة ويحصنكم داود – عليه السلام- أو التعليم ونحصنكم نحن في الأخير من هذا البأس ». فالله – عزّ وجلّ- هو المحصن به في الأخير من البأس والعدوّ وإن استعمل اللبوس أو الصنعة أو أيّ شيء.

كلّ هذه المعاني المستخلصة من هذا الاختلاف سببه التغيير في حرف مكان حرف، وكلّها معان جزئية لمقصد عام أرادت الآية تحقيقه وهو يندرج تحت مقصد القصص .

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأ بالياء، لأنّها القراءة التي عليها الحجّة من قرّاء الأمصار، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني، وذلك أنّ الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة، والله هو المحصن به من البأس)).[2]

---

[1]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 400.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج17، ص: 55.

المبحث الثاني

الاختلاف في العامل النحوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من الاختلاف الوارد في القراءات القرآنية الاختلاف الناجم عن التغيير في الحركات الإعرابية وغير الإعرابية؛ وقد يكون هذا التغيير في أواخر الكلم، كما يمكن أن يكون في فاء الكلمة، أو عينها، أو في حرف زائد منها، أو في ضمير من ضمائرها المبنية. وعليه سوف نعرض في هذا المبحث الكلمات القرآنية الخاصة بهذا التغيير، مع بيان دلالة كلّ قراءة.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1]

تدلّ الآيات على حال الكافرين وهم في سكرات الموت عندما تبسط الملائكة أيديها إليهم لقبض أرواحهم بالضرب والعذاب ومنتهى الشدة قائلين لهم: اليوم تهانون غاية الإهانة بما كنتم تكذبون وتستكبرون عن آياته، ولقد أتيتمونا منفردين عن الأنداد والشركاء كما خلقناكم أوّل مرّة، وتركتم كلّ شيء من النعم والأموال وراء ظهوركم ولم تنتفعوا بها هنا، فلقد تقطّع شملكم وما كان بينكم من الوُصلات والأسباب والوسائل، وذهب عنكم ما كنتم تفترونه من الشفعاء والشركاء، فآمالكم خابت في كل ما تزعمون[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فقرأها نافع والكسائي وحفص بالنّصب وقرأها الباقون بالرفع[3] فما المعاني التي تحملها كلتا القراءتين ؟ وما هو المقصد الذي نستنتجه من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالنصب فهي على وجهين:

---

[1]- سورة الأنعام: الآية 93-94.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 302-303.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص:263. التيسير: المصدر السابق، ص: 105. الإقناع: المصدر السابق، ص: 641.

الأوّل: فعلى أنّ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف، والفاعل مضمر، والتقدير: « لقد تقطّع وصلُكم بينكم »،[1] ودلّ على حذف الوصل قوله :﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ فدلّ هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم إذ تبرّءوا منهم ولم يكونوا معهم وذلك أنّ المضمر هو الوصل.[2]

قال الزجاج(ت316هـ): ((والنصب جائز، والمعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم)).[3]

الثاني: ما ذهب إليه الأخفش(ت 315هـ)[4]؛ وهو أنّه يذهب إلى أنّ قوله: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ إذا نصب يكون معناه معنى المرفوع، وإنّما نُصب لكثرة استعماله ظرفًا منصوبًا وهو في موضع رفع، فالقراءتان على هذا بمعنى واحد.[5]

في حين يرى ابن عاشور(ت1393هـ) أنّ هذه القراءة تدلّ على مكان الاجتماع والاتصال كما حسن حذف الفاعل في الآية لدلالة المقام عليه لأنّ المقصود حصول التقطّع، يقول: ((وحذف فاعل تقطّع على قراءة الفتح لأنّ المقصود حصول التقطّع، ففاعله اسم مُبهم ممّا يصلح للتقطّع وهو الاتصال)) .

ثمّ يضيف قائلا: ((وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز. وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطّع مستعارا للبعد وبطلان الاتصال تبعًا لاستعارة الحبل للاتصال، فمن ثمّ حسن حذف الفاعل في الآية على هذه القراءة لدلالة المقام عليه فصار كالمثل)).[6]

---

[1]- التفسير الكبير، لفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت، الجزء الثالث عشر، ص: 88. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 20. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 487.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 360. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 43.

[3]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج2، ص: 273.

[4]- الأخفش: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، يكنى بأبي الحسن، أخذ عن سيبويه، ويعرف بالأخفش الصغير. توفي سنة 215هـ . من كتبه: « معاني القرآن ». ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص 72.

[5]- ينظر: الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 360. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 43 . مجمع البيان: المصدر السابق، ج4، ص 336.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 385.

ممّا تقدّم يتبين لنا أنّ قراءة النّصب أفادت ثلاث معاني، معنى التقاطع والتهاجر والبعد وبطلان الاتصال وتقاطعهم لهم هو ترك وصلهم لهم، أمّا المعنى الثاني فتدلّ على مكان الاجتماع والاتصال، في حين المعنى الثالث هو على معنى قراءة الرفع، وهذا المعنى هو ما سنذكره لاحقا.

أمّا من قرأ بالرّفع فجعل« البين » اسمًا غير ظرف بمعنى الوصل، فالمعنى: « لقد تقطع وصلُكم »، وإذا تقطع وصلهم افترقوا. والدّليل على جواز كونه اسماً قوله:﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ ﴾[1] و﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾[2]، فلما استعمل اسما في هذه المواضع، جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع [3].

يوجّه ابن عاشور (ت 1393هـ) هذه القراءة على جعل « بينكم » فاعلا أي أخرج عن الظرفية وجعل اسما للمكان الذي يجتمع فيه والمعنى: « انفصال المكان الذي كان محل اتّصالهم، فيكون كنايةً عن انفصال أصحاب المكان الذي كان محلّ اجتماع والمكانية هنا مجازية ».[4]

وهنا لا يحسن أن يكون مصدرا، ويُرفع بالفعل لأنّه يتغير المعنى نهائيا فيصبح: « لقد تقطع افتراقكم »، وإذا انقطع افتراقهم لم يفترقوا، فينقلب المعنى، وإنّما المعنى أنّهم تفرّقوا، لأنّ « البين » بمعنى الفراق أيضا فهو من الأضداد [5] ومعناه هنا الوصل، وقد استعمل في هذا الموضع وغيره، والمعنى: « لقد تقطع وصلُكم »[6]، وإذا تقطع وصلهم افترقوا، وهو المعنى المقصود إليه.

يقول الراغب (ت502هـ) في كيفية استعمال البين: ((ولا يستعمل البين إلا فيما كان له مسافة، نحو: البلدين، أو له عدد ما اثنان فصاعدا نحو: الرجلين، وبين القوم)).[7] وقد تحقق هذا المعنى هنا، حينما تقطّع وصل القوم وافترقوا.

والسّؤال المطروح كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل، وأصله الافتراق والتباين؟

---

[1]- سورة فصلت: الآية 5.

[2]- سورة الكهف: الآية 78.

[3]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 20. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 284. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 43.

[4]- التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 386.

[5]- كتاب الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د.ط، 1407هـ -1987م، ص: 75.

[6]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 359. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج2، ص: 273.

[7]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 156.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قيل أنّه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو: بيني وبينه شركة، وبيني وبينه رحم وصداقة، صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمعنى الوُصلة على خلاف الفرقة، لهذا جاء: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ ﴾بمعنى: « لقد تقطع وصلُكم ».[1] قال الزجاج (ت 316هـ): ((الرّفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم)).[2]

يقول الطبري(ت310هـ):((إنّهما قراءتان مشهورتان لاتّفاق المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، وذلك أنّ العرب قد تنصب « بين » في موضع الاسم)).[3]

ممّا تقدّم نخلص أنّ قراءة الرّفع أفادت معنى الوصل، فإذا تقطّع وصلهم افترقوا على معنى أنّ « البين » تفيد الوصل والفراق، والمعنى هنا الوصل، فإذا تقطّع وصلهم تحقّق المعنى الثاني « للبين » الذي هو الافتراق، فيتحقق المعنى المقصود.

وعليه فالقراءتان تؤولان إلى معنى واحد ألا وهو التقاطع والافتراق والتهاجر، وإن كان الاختلاف بينهما في نصب الباء و ضمّها، رغم أنّ هذا الاختلاف غيّر إعراب الكلمة وأعطى لها عدّة معان، حيث تعتبر هذه الأخيرة من مقاصد الآية وإن كانت معان جزئية، لكنّها تحقّق المقصد العام الذي هو التقاطع والتهاجر، الذي يدخل تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 358-359. التفسير الكبير: المصدر السابق، ص 88.

[2]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج2، ص: 273.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 280.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾[1]

تتحدّث الآيتان الكريمتان عن سحرة فرعون عندما قالوا له هل لنا أجرٌ لقاء الغلبة على موسى -عليه السلام-، فأكّد لهم فرعون أنّ لهم أجرا عظيما وأنّهم من المقربين في المركز والمجلس[2].

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿إِنَّ﴾، فقرأها الحرميان[3] وحفص بهمزة واحدة، وقرأ الباقون بهمزتين.[4] فبأيّ لفظ جاءت القراءتان؟ وما المعاني المترتبة عن اللفظين؟ وما هو المقصد المشار إليه ؟

من قرأ بهمزة واحدة فهي على لفظ الخبر الذي يراد به الإلزام، أي أنّ السحرة ألزموا فرعون أن يجعل لهم أجرا إن غلبوا، فهم لم يستفهمون عن ذلك وإنّما ألزموه إياه[5].

وقيل في معناها: « أنّ السحرة قطعوا ذلك لأنفسهم، وأثبتوا الأجر لأنفسهم » أي قالوا: « إن كنا غالبين فإنّ لنا أجرا بمعنى استحققناه » وعلى هذا المعنى فلا معنى للاستفهام هنا أيضا[6].

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ هذه القراءة جاءت على لفظ الخبر الذي يحمل معنيين: إلزام فرعون بالأجر إن كانت الغلبة لهم. والمعنى الثاني هو قطع الأجر ووجوبه لهم إن غلبوا.

فعلى أيّ لفظٍ جاءت القراءة الأخرى ؟ أمّا من قرأ بهمزتين فهي على لفظ الاستفهام الذي يفيد معنى الاستخبار أي: « هل يجعل فرعون للسحرة أجرا إن غلبوا أو لا يجعل لهم ذلك »، فالمعنى هنا لم يقطعوا على فرعون بذلك، وإنّما استخبروا هل يفعل ذلك أم لا.[7]

---

[1]- سورة الأعراف: الآية 113-114.

[2]- ينظر: التفسير المنير: المصدر السابق، ج 9، ص:39.

[3]- يقصد بهما: نافع وابن كثير.

[4]- السبعة: المصدر السابق، ص:289. التيسير: المصدر السابق، ص: 112.

[5]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 52. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 258.

[6]- الكشف: المصدر نفسه، ج2، ص: 52. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 547. الجامع: المصدر نفسه، ج7، ص: 258. التفسير الكبير: المصدر السابق، ج14، ص: 200.

[7]- الكشف: المصدر نفسه، ج2، ص: 52. الجامع: المصدر نفسه، ج7، ص: 258.

يقول أبو علي(ت377هـ): ((الاستفهام أشبه في هذا الموضع؛ لأنّهم يستعلِمون عن الأجر، وليس يقطعون على أنّ لهم الأجر)). [1]

كما يحمل الرازي (ت656هـ) هذه القراءة على المعنى الاستفهامي لأنّ همزة الاستفهام محذوفة، وقد تحذف همزة الاستفهام من اللفظ، وإن كانت باقية في المعنى كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2] والتقدير أهذا ربي.[3]

أفادت هذه القراءة التي جاءت بلفظ الاستفهام معنى الاستعلام والاستخبار عن أخذ الأجر دون الإلزام والقطع .

في حين حمل ابن عاشور(ت1393هـ) القراءتين على معنى الاستفهام، كما جوّز أن تكون القراءة الأولى على الخبرية فقال: ((وعلى القراءتين فالمعنى على الاستفهام، كما هو ظاهر الجواب بـ« نعم » ، وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفا على القراءة الأولى، و يجوز أن يكون المعنى أيضا على الخبرية لأنّهم وثقوا بحصول الأجر لهم، حتى صيروه في حيز المخبر به عن فرعون، ويكون جواب فرعون بـ « نعم » تقريرا لما أخبروه به عنه)).

ثمّ يضيف قائلا: ((وقول فرعون « نعم » إجابة عما استفهموا، أو تقريرا لما توسموا: على الاحتمالين المذكورين في قوله ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ آنفا، فحرف « نعم » يقرّر مضمون الكلام الذي يجاب به، فهو تصديق بعد الخبر، وإعلام بعد الاستفهام، بحصول الجانب المستفهم عنه، والمعنيان هنا على قراءة نافع ومن وافقه، وأمّا على قراءة غيرهم فيتعين المعنى الثاني)).[4]

نخلص ممّا تقدّم أنّ القراءتين أفادتا عدّة معان، لكلّ معنى دلالته، وذلك لأنّ كلّ قراءة بمثابة آية، فالقراءة الأولى جاءت بلفظ الخبر وأفادت معنيين: معنى الإلزام أي إلزام فرعون بالأجر إن هم غلبوا، والمعنى الثاني القطع، أي أثبتوا لأنفسهم الأجر في حالة الغلبة دون الإلزام، أمّا القراءة الثانية فجاءت بلفظ الاستفهام المراد به الاستخبار والاستعلام.

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 65.

[2]- سورة الأنعام: الآية 76.

[3]- التفسير الكبير: المصدر السابق، ج14، ص: 200.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 9، ص: 46.

وكلّ هذه المعاني الجزئية من مقاصد الآية، وإن كان المقصد العام هو قطع الأجر لسحرة فرعون في حالة الغلبة على موسى -عليه السلام-، ويدخل هذا المقصد مع المقاصد الجزئية ضمن مقصد القصص وأحوال الأمم السابقة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1]

تشيرُ الآية إلى أنّ بني إسرائيل اتخذوا من الحُلي عجلا جسدًا له خوار، أي تمثالا بصورة العجل ثمّ عبدوه، فردّ الله -عزّ وجلّ- عليهم بأنّ هذا العجل المعبود فاقدٌ لمقوّمات الإله، فهو لا يكلّمهم ولا يرشدهم إلى الخير، وهذا دليل على جهلهم وتقليدهم لغيرهم، ثمّ بعد ذلك تابوا وندموا على هذا الاتخاذ وقالوا: إن لم يرحمنا ربّنا ويغفر لنا لنكونن من الهالكين[2].

يقول ابن عاشور(ت 1393هـ) عن الآية: ((كان مقتضى الظاهر في ترتيب حكاية الحوادث أن يتأخر قوله،﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾الآية عن قوله ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴿١٥٠﴾ ﴾[3] لأنّهم ما سقط في أيديهم إلا بعد أن رجع موسى—عليه السلام- ورأوا فرْط غضبه وسمعوا توبيخه أخاه وإياهم، وإنّما خولف مقتضى الترتيب تعجيلا بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة وتبين الضلالة، موعظة للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم، حتى يتبينوا عواقب ما هم متحولون إليه)).[4]

وقد اختلف القراء في قوله تعالى:﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾، فقرأ حمزة والكسائي بالتاء في الفعلين وبنصب ربّنا، وقرأ الباقون بالياء في الفعلين وبرفع ربنا.[5]

وسوف نمضي الآن لنستجلي دلالة كلّ قراءة ومعانيها، مع استجلاء نوع المقصد المشار إليه.

من قرأ بالتاء فعلى أنّ الخطاب لله تعالى وعلى ذلك انتصب﴿رَبَّنَا﴾لأنّه نداء، وحذفت يا التي للنداء، والأصل: « لئن لم ترحمنا يا ربنا »، وفيه معنى القسم والاستغاثة والتضرع والابتهال

---

[1]- سورة الأعراف: الآية 148-149.

[2]- ينظر: التفسير المنير: المصدر السابق، ج 9، ص: 95.

[3]- سورة الأعراف: الآية 150.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 111.

[5]- السبعة: المصدر السابق، ص: 294. التيسير: المصدر السابق، ص:113. الإقناع: المصدر السابق، ص: 649.

في الدعاء،[1] وعليه فالقراءة أبلغ في الاستكانة والتضرّع. [2]

أمّا من قرأ بالياء في الفعلين مع رفع ربّنا، فهي على وجه الخبر[3]، ذلك أنّهم لما تبيّن لهم ضلالهم قال بعضهم لبعض:« لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ما جنيناه على أنفسنا لنكوننّ من الخاسرين » فجرى الكلام على لفظ الخبر من بعضهم لبعض.[4] والفعل في هذه القراءة مسند إلى الربّ تعالى ﴿رَبُّنَا﴾والكلام محمولٌ على الغيبة لا على المخاطبة. [5] وفيه معنى الإقرار بالعبودية والاستغفار[6].

يقول ابن عاشور(ت 1393هـ): ((وقولهم ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ توبة وإنابة، وقد علموا أنهم أخطئوا خطيئة عظيمة ولذلك أكدوا التعليق الشرطي بالقسم الذي وطأته اللام، وقدموا الرحمة على المغفرة لأنّها سببها)).[7]

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ القراءتين أفادتا معنيين لكل معنى دلالته المقصودة التي تحقق المقصد من الآية، فالقراءة الأولى جاءت على وجه الخطاب وأفادت معنى الاستغاثة والتضرع والدعاء، والقراءة الثانية جاءت على وجه الخبر وأفادت معنى الإقرار بالعبودية والاستغفار.

وعليه فالقراءتان تكشفان عن حال القوم أثناء ندمهم لما أقدموا عليه، فهم يخاطبون الله-عزّ وجلّ- أن يرحمهم ويغفر ذنوبهم في تضرّع وخضوع، مقرّين بعبوديته ووحدانيته. وهذه المعاني كلّها من مقاصد الآية، التي تندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

يقول الطبري(ت310هـ): ((ثمّ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالرفع على وجه الخبر، وقرأ ذلك عامة

---

[1]- ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر محمد بن إسماعيل النحاس، اعتنى به: الشيخ خالد العلي، الطبعة الثانية، 1429هـ-2008م، ص: 323. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 56. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 311. جامع البيان: المصدر السابق،ج9، ص: 63.

[2]- الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 286.

[3]-الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 57. جامع البيان: المصدر السابق، ج9، ص: 63.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 297.

[5]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص:557.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 57. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 286.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 113.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أهل الكوفة ﴿لئن لم ترحمنا ربَنا وتغفر لنا ﴾ بالنصب، بتأويل:« لئن لم ترحمنا يا ربنا » على وجه الخطاب منهم لربهم، واعتل قارئو ذلك كذلك، بأنّه في إحدى القراءتين قالوا:﴿ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا﴾، وذلك دليل على الخطاب.

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك: القراءة على وجه الخبر، بالياء في يرحمنا، وبالرفع في قوله ربنا، لأنّه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها إلى الخطاب، والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا: لئن لم ترحمنا ربنا لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج9، ص: 63.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الرابع: قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾[1]

يُخبرنا الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية عن المسيئين الذين أشركوا بالله-عزّ وجلّ- وكفروا بنعمته أنّ لهم عقابا مماثلاً لسيّئاتهم دون زيادة، وتعتريهم ذلة وخزي وعار، ولا مانع ولا واق لهم من سخط الله وعذابه، وتكون وجوههم مسودّة مثل الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها.[2]

وقد اختلف القراء في لفظة ﴿قِطَعًا﴾، فقرأها ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء، وفتحها الباقون.[3] فما المعاني التي تحملها القراءتان ؟ وما نوع المقصد المشار إليه ضمن الآية؟

يتحدّث ابن عاشور(ت1393هـ) عن سبب تشبيه الله -عزّ وجلّ- وجوههم بالليل المظلم: ((ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه مظلما لإفادة تمكن الوصف منه كقولهم: ليل أليل، وظل ظليل، وشعر شاعر، فالمراد من الليل الشديد الإظلام باحتجاب نجومه وتمكّن ظلمته، شبهت قترة وجوههم بظلام الليل)).[4]

من قرأ بالإسكان فهو يريد بعض الليل أو ظلمة من الليل لأنّه أجراه على التوحيد، يقال: « أتاني بعد قطع من الليل، أي بعد جزء وساعة منه » وعليه ف ﴿مُظْلِمًا﴾ تقع صفة لـ « قطع »، كما يجوز أن تكون حال من الضمير الذي في الجار والمجرور، والتقدير: « قطْعا يكون من الليل مظلما »[5] والمعنى: « كأنّما أغشيت وجوههم سوادا من الليل، وبقية من الليل، ساعة منه ».[6] أي في حال ظلامه ألبست وجوههم سواد السواد.[7]

---

[1]- سورة يونس: الآية 27.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج4، ص: 264.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 325. التيسير: المصدر السابق، ص:112. الإقناع: المصدر السابق، ص: 661.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج11، ص: 149.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 270. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 330. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 94. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 621.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 110.

[7]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 206.

قال أبو علي(ت377هـ): ((القِطْع: الجزء من الليل الذي فيه ظلمة يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾[1] فقوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ خلافا لإصباح الذي هو الوضحُ فقوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ يراد به الظلمة)) .[2]

نخلص ممّا سبق أنّ هذه القراءة أفادت بعض الليل أي ظلمة واحدة من الليل، فما الذي تفيده القراءة الأخرى؟

أمّا من فتح فهي جمع قطعة، وهي كما قال الخليل(ت170هـ)[3]((طائفة من كل شيء، والجمع والجمع القِطعات والقطع والأقطاع))[4]، وفيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار[5]، واختير الجمع لأنّ لأنّ معنى الكلام: « كأنّما أغشي وجه كلُّ إنسان منهم قطعة من الليل، ثمّ جمع ذلك فقيل: كأنّها أغشيت وجوههم قطعا من سواد، إذ جمع الوجه »[6]، ويكون ﴿مُظۡلِمًا﴾ حالا من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ ولا يكون صفة للقطع لأنّها جمع فهو مؤنّث و﴿مُظۡلِمًا﴾ واحد وهو مذكّر، فلا يكون صفة لها، فيأتي المعنى: « أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته »[7].

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ المعنيين يتقاربان وإن اختلفا؛لأنّه أراد أنّ وجوههم لسوادها كأنّها أغشيت بعضًا من الليل، ومع ذلك نخلص من اختلافهما اختلاف إعراب ﴿مُظۡلِمًا﴾ فهي على القراءة الأولى جاءت صفة لـ « قطع » وعلى القراءة الثانية جاءت حالا من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة الصافات: الآية 137-138.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 270.

[3]- الخليل: هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، أبو عبد الرحمان، نحوي بصري، كان ذكيا فطنا شاعرا، توفي سنة 170هـ ، وقالوا سنة 175هـ وهو ابن أربع وسبعين سنة. من كتبه: «كتاب العين ». ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص: 51-67.

[4]- كتاب العين، لأبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د. مهدي مخزوم و د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ط.ت، الجزء الأول، ص 135.

[5]- الكشف: المصدر السابق،ج2، ص: 94.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 110.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 330. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 622.

قال أبو علي(ت377هـ): ((والمعنيان في اللفظتين يتقاربان، وإن اختلفا، وذلك أنّ المرادَ وصف وجوههم بالسواد، كقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ﴿٦٠﴾﴾[1]وقيل في قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[2] إنّه سواد الوجوه، وزرقةُ الأعين في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾[3] فإذا أغشيت وجوههم قطعا من الليل اسودت وجوههم منه، كما أنّها إذا أغشيت قطعا – التي هي جمع قطعة- اسودت منها)).[4]

يقول الطبري(ت310هـ): ((والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي: قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على تصويبها، وشذوذ ما عداها، وحسب الأخرى دلالة على فسادها، خروج قارئها عما عليه قرّاء أهل الأمصار والإسلام)).[5]

وهكذا تبدّت لنا محاسن هذا التعبير في ضوء هاتين القراءتين على الرغم من أنّ الاختلاف بينهما محصور في حركة الطاء، مع أنّ المقصد واحد من هذا الاختلاف، ويندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

---

[1]- سورة الزمر: الآية 60.

[2]- سورة الرحمان: الآية 41.

[3]- سورة طه: الآية 102.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 270.

[5]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 110.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الخامس: قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1]

تتحدّث الآيات على إخبار الله -عزّ وجلّ -عن دعاء موسى -عليه السلام- على فرعون وقومه، وذلك بعد أن أبوا قبول دعوة الحق واستمروا في ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين بعد أن أعطاهم الله—عزّ وجلّ- من الدنيا والنّعمة ما أبطرهم، فكان هذا الدعاء بأن يطمس الله —عزّ وجلّ-على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، مع تأمين أخيه هارون عليه، فكانت الاستجابة من الله—عزّ وجلّ- على دعائهما، وأمرهما على أن يستقيما على أمره، ولا يتّبعان طريق الجهلة في عدم الوثوق بوعد الله -عزّ وجلّ-.[2]

وقد اختلف القراء في لفظة ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾، فقرأها ابن ذكوان بتخفيف النون، وقرأها الباقون بالتشديد.[3] ولنمض الآن في دلالات هذه اللفظة، ونستخرج نوع المقصد الذي تشير إليه.

من قرأ بالتشديد فهي على أصلها؛ لأنّها النون المشدّدة التي تدخل على الأفعال للتأكيد في الأمر والنهي، والنون التي تكون للتثنية قد سقطت للجزم، ودخلت هذه النون الشديدة في النهي مؤكّدة، وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها واختير لها الكسر لأنّها بعد الألف وهي تشبه نون الاثنين.[4]

إنّ قراءة التشديد جاءت في موضع جزم على النهي، فكيف جاءت قراءة التخفيف يا ترى؟

أمّا قراءة التخفيف فهي تحتمل ثلاثة أوجه:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة يونس: الآية 88-89.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 290.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 329. التيسير: المصدر السابق، ص: 123. الإقناع: المصدر السابق، ص: 662.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 336. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 99. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 342.

- أن تكون على النهي كقراءة الجمهور، لأنّه استثقل التشديد مع التشديد في أوّل الكلمة، فخفّفها للتضعيف وهو يريد التشديد، كما خفّفوا « ربّ » و« أنّ ».[1]

- أن يكون ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾ خبرا، ويكون من الأمر الذي جاء بلفظ الخبر، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[2]، فقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر[3]، كما يجوز أن يكون معناه النهي.[4]

-أن يكون ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾ خبرا أيضا ويكون في موضع نصب على الحال ، فيكون التقدير: « فاستقيما غير متبعين ». والنون في هذين الوجهين الأخيرين علامة الرفع في الفعل و«لا» للنفي وليس للنهي [5].

يقول المهدوي(ت440هـ):((فهذه الوجوه الثلاثة صحيحة كلّها في طريق الإعراب والمعنى)).[6]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((فتعيّن أن تكون «لا» على هاته القراءة نافية غير ناهية، والجملة في موضع الحال والواو واو الحال، لأنّ جملة الحال المضارعة المفتتحة بحرف نفي يجوز اقترانها بالواو وعدمُه)).[7]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ قراءة التشديد جاءت بالنَّهي الصريح لموسى– عليه السلام- وأخيه عن عدم إتباع طريق الجاهلين، وأن لا يستعجلوا قضاء الله –عزّ وجلّ-فإنّ قضاءه واقع بفرعون وقومه. أمّا قراءة التخفيف فجاءت بلفظ الخبر الذي يحمل معنى الأمر والنهي وفي موضع النصب على الحال، واللام فيها للنفي ليس للنهي، مُوجّهة إلى نفس المعنى الأول لكن في صيغ مختلفة وأبلغ؛ لأنّ

---

[1]- الكشف: المصدر نفسه، ج2، ص: 98. شرح الهداية: المصدر نفسه، ج2، ص: 342. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 208 .

[2]- سورة البقرة: الآية 228.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 294. المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 924.

[4]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 98. الموضح: المصدر السابق،ج2، ص: 636.

[5]- إملاء مامن به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.ت، الجزء الثاني، ص 33. الموضح: المصدر نفسه، ج2، ص: 636.

[6]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 343.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج11، ص: 273.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النهي المخرّج بصورة الخبر أبلغ من النهي المخرّج بصورته، وفي هذا امتدادٌ للقراءة السابقة وثمرة لها، مع العلم أنّ الفرق بينهما في تشديد النون وتخفيفها.

كما يتبيّن ممّا تقدّم أنّ المقصد من القراءتين واحد، وإن تعدّدت المقاصد الجزئية له، ذلك أنّ قراءةَ التشديد جاءت بالنهي الصريح، وقراءة التخفيف جاءت بلفظ الخبر الذي يحمل معنى الأمر والنهي، وبالتّالي فكلّ قراءة لها معنى خاص، إلا أنّهما يجتمعان في مقصد واحد ألا وهو النهي عن اتباع طريق الجهلة، وعليه فالمقصد القرآني الذي أشارت إليه القراءة هو مقصد القصص .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال السادس: قوله تعالى:

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾[1]

تُبشّر الملائكة في مطلع هذه الآية الكريمة وتخبر لوطا -عليه السلام- بعد المخاوف من الفضيحة التي أقلقته على ضيفانه أنّهم رسل الله -عزّ وجلّ- إليه لنجاته من أعدائه، فلن يصلوا إليه بسوء، وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، داعيةً له بالخروج من القرية مع أهله إلاّ امرأته لأنّها كانت كافرة، ولا ينظر أحدٌ من معه إلى ما وراءه حتى لا يصيبه شيء من العذاب، ثمّ قرّبوا له هلاك قومه تبشيرا له.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾ فقرأها ابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأها الباقون بالنصب.[3] فما المعاني والدّلالات التي تفيدها هذه اللفظة مع اختلاف القراءة بها ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالرفع على أنّه استثناء من ﴿أَحَدٌ﴾ الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي، والتقدير: « فلا يلتفتون إلا امرأتك تلتفت »[4]، و﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بدل من قوله ﴿أَحَدٌ﴾، كقولهم: « ما جاءني أحدٌ إلاّ زيدٌ »، فالاستثناء من النّفي، فيكون بدلاً عما قبل ﴿إِلَّا﴾.[5] فيأتي المعنى كما أورده الطبري(ت 310هـ): ((ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتُك، فإنّ لوطا قد أخرجها معه، وإنّه نهى لوط ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته، وإنّها التفتت، فهلكت لذلك)).[6] فالمعنى إذن أنّه نهاهم عن الالتفات فامتثلوا إلاّ امرأته لم تمتثل فأصابها العذاب.

---

[1]- سورة هود: الآية 81.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 338.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 338. التيسير: المصدر السابق، ص:125. الإقناع: المصدر السابق، ص: 666.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 12، ص: 133.

[5]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 656.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج 12، ص: 89.

أمّا وجه من قرأ بالنّصب، فهو استثناء من « أهلك » والتقدير: « فاسر بأهلك إلا امرأتك »[1]. ذلك أنّ لوطا أمر أن يُسريَ بأهله سوى زوجته، فإنّه نهي أن يسري بها، وأمر بتخليفها مع قومها.[2] وقد قال الله -عزّ وجلّ- :﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3]أي من الباقين[4]، فالاستثناء هنا كان من « أهله » الذين أمر بالإسراء بهم لا من من « أحد »، والمعنى في هذه القراءة أنّه لم يخرج امرأته مع أهله.[5]

كما يمكن أن يكون الاستثناء من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ على أن يكون النهي للمخاطب وإن كان واقعا على غيره؛ لأنّ المعنى: « ولا تدع منهم من يلتفت إلا امرأتَك ».[6]

يتحدّث ابن عاشور(ت1393هـ) عن الالتفات المنهي عنه وسببه، فيقول:((والالتفات المنهي عنه هو الالتفات إلى المكان المأمور بمغادرته كما دلّت عليه القرينة. وسبب النهي عن الالتفات التقصي في تحقيق معنى الهجرة غضبا لحرمات الله بحيث يقطع التعلّق بالوطن ولو تعلق الرؤية)).[7]

يُفهم من كلامه أنّ الهدف من عدم الالتفات هو طاعة الله -عزّ وجلّ- تجنبا لغضبه، والتقصي في تحقيق معنى الهجرة ولو تعلق الأمر بالرؤية.

نخلص ممّا سبق أنّ كلتا القراءتين أفادتا معنى الاستثناء، فعلى القراءة الأولى جاء الاستثناء من ﴿أَحَدٌ﴾ الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي، كما جاء النهي بعدم الالتفات إلاّ امرأته التفتت فهلكت؛ لأنّها خرجت معه. أمّا القراءة الثانية فجاء الاستثناء من « أهلك » والنهي بعدم إسراء امرأته معه وتركها مع قومها.

وعليه فالمعنى في هذه القراءة أنّه لم يخرج امرأته مع أهله، وفي القراءة الأخرى خرج بها فالتفتت فأصابها العذاب، كما أنّ الاستثناء في الأوّل كان في الالتفات والثاني كان في الإسراء، وعلى كلا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 216. إملاء ما من به الرحمان: المصدر السابق، ج2، ص: 44.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج 12، ص: 89.

[3]- سورة الأعراف: الآية 83.

[4]- الجامع: المصدر السابق، ج9، ص: 80.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 348.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 110. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 353.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 12، ص: 134.

المعنيين تحقيق المقصود من الآية وهو الهلاك، وإن تعدّدت المعاني الجزئية له، حيث حملت مقصدا مرادا من إنزال الله -عزّ وجلّ- لهاتين القراءتين، وعليه فنوع المقصد من الآية يندرج تحت مقصد القصص. أليست كلّ قراءة من القراءتين آية قائمة بذاتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال السابع: قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾[1]

ينهى الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية عباده عن التّجبّر والتبختر في المشية والتمايل والإعجاب بالنفس، لأنّ كلّه يعتبر سيئة وفاحشة عند الله -عزّ وجلّ-لا يحبه ولا يرضاه.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿سَيِّئُهُۥ﴾، فقرأها الكوفيون وابن عامر مضافا مذكّرا، وقرأه الباقون غير مضاف مؤنّثا.[3] فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالإضافة فلأنّه قد تقدّم قبل ذلك أشياء أمر الله-عزّ وجلّ- بها، نحو برّ الوالدين، وإيتاء ذي القربى، وأشياء نهى الله-عزّ وجلّ-عنها نحو الزنى والقتل، وعليه يأتي المعنى: « يعني كلّ ما تقدّم ذكره من المأمور به والمنهي عنه كان سيّئه عند ربك مكروها ».[4]

وحجّتهم في هذه القراءة قوله ﴿مَكۡرُوهٗا﴾بالتذكير، ولو كان ﴿سَيِّئُهُۥ﴾غير مضاف للزم أن يكون مكروهة بالتأنيث لأنّه وصف للسيئة [5]. وقيل أنّ هذه القراءة أبين.[6]

ويسمّي ابن عاشور (ت1393ه) هذه الإضافة بالإضافة البيانية التي تفيد قوّة صفة السيئ عندما يقول: ((فإضافة السيئ إلى ضميره إضافة بيانية تفيد قوّة صفة السيّئ حتى كأنّه شيئان يضاف أحدهما إلى الآخر. وهذه نكتة الإضافة البيانية كلّما وقعت، أي كان ما نهى عنه من ذلك مكروها عند الله))[7].

وقد اختار الطبري(ت310ه): هذه القراءة ووجّهها بقوله:((وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾على إضافة السيّئ إلى الهاء، بمعنى: كلّ

---

[1]- سورة الإسراء: الآية 37-38.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 5، ص: 75.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 380. التيسير: المصدر السابق، ص: 140.

[4]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 387.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 403.

[6]- معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج4، ص: 158.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 15، ص: 105.

ذلك الذي عددنا من:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] إلى قوله تعالى:﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾؛ لأنّ في ذلك أمرا منهيا عنها، وأمورا مأمورا بها)).

ثمّ يضيف قائلا:((فتأويل الكلام إذن: كلّ هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك، كان سيئه مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به)).[2]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ هذه القراءة أفادت أنّ كل ما ذكرناه من السيئ والحسن سيئه قبيح عند ربك مكروه ومبغض عنده منهيا عنه.

أمّا من قرأ ﴿سيئة﴾فهي إشارة إلى مصدري النهيين السابقين: قفْوُ ما ليس به علم، والمشي في الأرض مرحا، وقيل إشارة إلى جميع المناهي المذكورة آنفا،[3] و﴿سيئة﴾ خبر كان، وأنّث حملا على معنى ﴿كُلُّ﴾ ثمّ قال ﴿مَكْرُوهًا﴾ حملا على لفظها.[4]

يقول الزمخشري (ت538هـ) : ((السيّئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم، زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا، ألا تراك تقول: الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة، فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنّث)).[5] فيأتي المعنى على النحو التالي:« كلّ ما ما نهى الله عنه من ذلك كان سيئة، أي كان إثما عند ربك مكروها ».[6]

وفي هذا المعنى يبيّن ابن عاشور(ت1393هـ) أنّ الذي يوصف بالسيئ وبالمكروه لا يكون إلا منهيا عنه فيقول: ((فالذي وصف بالسيئة وبأنّه مكروه لا يكون إلا منهيا عنه أو مأمورا بضدّه إذ لا يكون المأمور به مكروها للآمر به، وبهذا يظهر للسامع معاد اسم الإشارة في قوله:﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾))[7] فكلّ ذلك هنا تفيد الإحاطة بالمنهي عنه دون الحسن.

---

[1]- سورة الإسراء: الآية 23.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج 15، ص: 89.

[3]- ينظر: الدر المصون: المصدر السابق، ج7، ص: 355. البحر المحيط: المصدر السابق، ج6، ص: 35.

[4]- الدر المصون: المصدر نفسه، ج7، ص: 356.

[5]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 597.

[6]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 387.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 15، ص: 105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري(ت538هـ): ((كلّ ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة، لا بجميع الخصال المعدودة)).[1]

يقول الزجاج(ت316هـ) مبيّنا معنى هذه القراءة مستحسنا قراءة الإضافة: ((ففيما جرى من الآيات سيئ وحسن، فسّيئه بلا تنوين أحسن من سيّئةٍ ههنا، ومن قرأ سيّئة جعل كلّ إحاطة بالمنهي عنه فقط، المعنى كل مانهى الله عنه سيّئة)).[2] وقوله:﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾لتشنيع الحالة[3].

وإنّما اعتبر ما في المذكورات من معاني النهي؛ لأنّ الأهمّ هو الإقلاع عما يقتضيه جميعها من المفاسد بالصراحة أو بالالتزام، لأنّ درء المفاسد أهمّ من جلب المصالح في الاعتبار، وإن كانا متلازمين في مثل هذا.[4]

يفهم من هذه القراءة أنّها أفادت أنّ كلّ ما سبق ذكره من النواهي كان سيّئة عند ربك مكروها يستوجب العقاب والعذاب.

نخلص ممّا سبق أنّ القراءتين أفادتا معنيين كلّ معنى له دلالته، فقراءة الإضافة أشارت إلى السيئ والحسن، أمّا قراءة التنوين فأشارت إلى السيئ دون الحسن وأشير فيها بـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إحاطة بالمنهي عنه دون الحسن .

كما نستنتج من القراءتين أنّهما أفادتا مقصدين أرادهما الله -عزّ وجلّ- تحقيقهما، وهما يندرجان تحت مقصد تهذيبُ الأخلاق[5]. ذلك أنّ كلّ قراءة هي وحي من الله-عزّ وجلّ-، فتتعدّد مقاصد الله-عزّ وجلّ- بتعدّد القراءات. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها ؟

1- الكشاف: المصدر السابق، ص: 597.

2- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 240-241.

3- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 15، ص: 105.

4- التحرير والتنوير: المصدر نفسه .

5- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثامن: قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾[1]

يُخبرُ الله -عزّ وجلّ- رسوله -صلىّ الله عليه وسلّم -في هذه الآية أنّه هو وحده من يعلم المدّة التي لبث فيها أصحاب الكهف في كهفهم، إذ له غيب السماوات والأرض، ولا أحد أبصر منه وأسمع، فله الخلق والأمر، وليس للنّاس من دونه متولٍّ يلي أمورهم، ولا يشارك في قضائه أحد من الناس[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿يُشۡرِكُ﴾، فقرأها ابن عامر بالتاء والجزم، وقرأها الباقون بالياء والرفع.[3] فما هو المعنى الذي تحمله كلّ قراءة؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

من قرأ بالتاء والجزم أجراه على الخطاب والنهي، والخطاب موجّه للرسولّ -صلّى الله عليه وسلّم- والمراد غيره، أي: «لا تشرك أيها الإنسان في حكم ربك أحدا »، وهو رجوع من غيبة إلى الخطاب[4]، ويقوّي هذه القراءة ما بعده قوله:﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [5]

المعنى الذي نستخلصه من هذه القراءة أنّها جاءت على الخطاب، وأفادت معنى النهي وهو نهي عن الإشراك، فما هو المعنى الذي تحمله القراءة الأخرى ؟

---

[1]- سورة الكهف: الآية 26.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 150.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 390. التيسير: المصدر السابق، ص:143. الإقناع: المصدر السابق، ص: 689.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 141. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 415. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 166. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 780.

[5]- سورة الكهف: الآية 27.

من قرأ بالياء والرفع أجراه على لفظ الغيبة، لتقدّم أسماء الغيبة، وهو قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ﴾ والهاء للغيبة يعود على الله -عزّ وجلّ-، وهو على الخبر، أي لا يشرك الله -عزّ وجلّ- في حكمه أحدا، فجعله نفيا عن الله-عزّ وجلّ-.[1]

قال الزجاج (ت 316هـ): ((قد جرى ذكرُ علمه وقدرته، فأعلم جلّ وعزّ أنّه لا يشرك في حكمه ممّا يخبر به من الغيب أحدا كما قال -عزّ وجلّ-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾[2])).[3]

إذن جاءت هذه القراءة على الخبر متضمّنة معنى النفي، وهو نفي الإشراك عن الله -عزّ وجلّ-، فهو لا يشرك في حكمه أحدا.

ممّا سبق نخلص أنّ القراءتين أفادتا معنيين مقصودين من الآية، وكل معنى له دلالته المقصودة، فقراءة التاء أفادت النهي عن الإشراك وجاءت على لفظ الخطاب، أمّا قراءة الياء فأفادت معنى نفي الإشراك عن الله -عزّ وجلّ- بأسلوب خبري على لفظ الغيبة. والمعنى واحد من القراءتين وهو عدم إشراك الله -عزّ وجلّ- في حكمه وقضائه أحد من الناس وليس له شريك ولا مشير، وهو المقصد العام من القراءتين، ويندرج تحت مقصد إصلاح الاعتقاد. فلكلّ قراءة مذاق ونكتة عبّرت عنها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 141. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 167. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 394. الجامع: المصدر السابق، ج10، ص: 388

[2]- سورة الجن: الآية 26.

[3]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3، ص: 280.

المثال التاسع: قوله تعالى:

﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾[1]

لما استشعرت مريم – عليها السلام- من قومها اتهامها بالريبة عندما حملت بعيسى – عليه السلام- انتبذت منهم مكانا بعيدا عنهم لئلا يروها، فاضطرها الطلق إلى جذع النخلة، - وهي نخلة في المكان الذي تنحت إليه- ، عندها تمنّت الموت لأنّها عرفت أنّها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، ولا يصدّقها الناس بأمرها هذا، فناداها من تحتها، - قيل بأنّه جبريل وقيل عيسى – عليهما السلام- ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا، واختلف في المقصود بـ «سريا »فقيل هو الجدول، وقيل هو النهر، وقيل هو عيسى – عليه السلام.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظ ﴿ مِن تَحۡتِهَآ﴾، فقرأها نافع وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر وخلف وروح بكسر الميم وبجر﴿تَحۡتِهَآ﴾وقرأ الباقون بفتح الميم وفتح[3]﴿تَحۡتَهَآ﴾

والفائدة من تقييد قوله ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((وقيد ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ لتحقيق ذلك، ولإفادة أنّه ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة وتصويرا لتلك الحالة التي هي حالة تمام اتصال الصبيّ بأمّه))[4]. هذه هي الفائدة من التقييد فما الفائدة من الاختلاف؟

وجه من كسر﴿ مِن تَحۡتِهَآ﴾حمله على معنى أنّ عيسى– عليه السلام- كلّمها، وهو تحتها، أي تحت ثيابها؛ لأنّ ذلك موضع ولادة عيسى- عليه السلام-، فالضمير في ﴿ فَنَادَىٰهَا﴾ فيه ضمير الغلام وهو -عيسى عليه السلام- أي ناداها الغلام الزكي من تحتها فـ﴿ مِن﴾ جارة و ﴿ تحت﴾ مجرورة بها وهو اسم غير ظرف.[5]

---

[1]- سورة مريم: الآية 22-24.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج5، ص: 222-224.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 148. الإقناع: المصدر السابق، ص: 696. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:454.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج16، ص: 87.

[5]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص:192. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 809

وقيل يحتمل أن يكون المعنى: « فناداه جبريل من تحتها »، أي: من أسفل من مكانها، أو من دونها أو من الجهة المحاذية لها[1]، بمعنى من المكان المحاذي لمكانها[2]؛ لأنّه كان منخفض عنها،[3] وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت هي عليها.[4] وكان يقبل الولد كالقابلة.[5] وكلّمها ليزول ما عندها من الوحشة والجزع.[6]

وللفارسي(ت377هـ) كلام آخر في المقصود بالمكان الذي كلّمها منه، هل هو المكان المحاذي لمكانها أو دونها فيقول: ((وليس قوله ﴿ مِن تَحۡتِهَآ ﴾ يراد به الجهة المحاذية للتمكّن من تحته، ولكنّ المعنى:« فناداها من دونها » ويدلّ على ذلك قوله، فلم يكن الجدول محاذيا لهذه الجهة، ولكنّ المعنى جعله دونك)).[7] فهو يرجّح المعنى الثاني دون الأوّل.

يقول ابن زنجلة(ت403هـ) موجّها هذه القراءة:((فالكسر أعمّ، وذلك أنّ من كسر يحتمل المعنى أن يكون الملك، ويحتمل أن يكون عيسى -عليه السلام-))[8].

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ قراءة الكسر أفادت عيسى وجبريل -عليهما السلام- ومكان الكلام كان محاذيا لمكانها منخفض عنها، وكان الهدف منه رفع الوحشة والجزع عنها. فما تفيد القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا قراءة الباقين فجعلوا «من» الفاعل للنداء بمعنى الذي ونصب « تحتها » على الظرف و« من» هو عيسى – عليه السلام- أي ناداها المولود أو كلّمها من تحتها أي من موضع ولادته[9].

وكون الضمير له يقول مكي(ت437هـ) أقوى في المعنى، كما كون الضمير في القراءة الأخرى لجبريل أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن تكون لعيسى وجبريل–عليهما السلام-، فإذا كان

---

[1]- الكشف: المصدر نفسه، ج2، ص:192. معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 133.

[2]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 410.

[3]- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م، الجزء الأول، ص: 331.

[4]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1224.

[5]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 635.

[6]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 268.

[7]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 197.

[8]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 442.

[9]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص:192. البحر المحيط: المصدر السابق، ج6، ص: 173.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لجبريل – عليه السلام- كان معنى « تحتها » دونها، وإذا كان لعيسى–عليه السلام- كان معنى « تحتها » تحت ثيابها من موضع ولادته .[1]

يقول الزجاج (ت316هـ): ((من قرأ من تَحتها عني عيسى ويكون المعنى في مناداة عيسى، لها أن يبيّن الله لها الآية في عيسى، وأنّه أعلمها أنّ الله -عزّ وجلّ - سيجعل لها في النخلة آية، ومن قرأ من تحتِها عنى بها الملك)).[2] وهي عند الفرّاء الملك في الوجهين جميعا.[3]

ممّا سبق تفيد قراءة الفتح أنّ الذي ناداها هو عيسى – عليه السلام- الذي كان تحتها أي تحت ثيابها، في حين تفيد قراءة الكسر جبريل و عيسى – عليهما السلام-وعلى القراءتين جوّز مكي(ت437هـ) أن تكون لعيسى وجبريل – عليهما السلام- فعلى القراءة الأولى كان معنى « تحتها » دونها، وعلى القراءة الثانية كان معنى « تحتها » تحت ثيابها، فمكان المناداة مختلف مع أنّه تحقّق فيه الحالة التي كانت متصلة فيها بولدها كما تحقّق الهدف من التكليم الذي هو رفع الوحشة والجزع عنها.

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية لمقصد عام أرادت الآية تحقيقه وهو مقصد القصص .

يقول الطبري(ت310هـ): ((اختلفت القرّاء في ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله؛ فمن متأوّل منهم إذا قرأه ﴿ مِن تَحۡتِهَآ﴾ كذلك ومن متأوّل منهم أنّه عيسى، وأنّه ناداها من تحتها بعدما ولدته. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ بفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أنّ الذي تحتها عيسى وأنّه الذي نادى أمّه))[4]. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها؟

[1]- الكشف: المصدر نفسه، ج2، ص:192.

[2]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج3 ، ص: 325.

[3]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج2، ص:165.

[4]- جامع البيان: المصدر السابق، ج16، ص: 67.

المثال العاشر: قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٦٦ ﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذين الآيتين أنّ المشركين في حالة الاضطرار لا يدعون معه إلها آخر، وعندما ينجّيهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين.[2]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾، فقرأها قالون وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بسكون اللام، وقرأ الباقون بكسرها[3].فما المعاني التي نستجليها من هذا الاختلاف؟ وما هو المقصد القرآني المشار إليه؟

من قرأ بالكسر فإنّه جعلها لام كي وهي لام تعليل والمعنى: « لكي يكفروا ولكي يتمتعوا »،[4] وهي متعلّقة بالإشراك كأنّ المعنى:« يشركون ليكفروا وليتمتعوا » أي: لا عائدة ولا فائدة لهم ولا نفع في الإشراك إلا الكفر والاستمتاع بالعاجلة وهي تؤدّي معنى العاقبة.[5] فليس يردّ عليهم الشرك نفعا إلا التمتّع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.[6]

يقول الزجاج(ت316هـ): ((والكسر أجود على معنى لكي يكفروا وكي يتمتعوا)).[7]

يفهم من هذه القراءة أنّ اللام جاءت بمعنى « كي » وهي متعلقة بالإشراك الذي لا يجدي لهم نفعا إلا الهلاك وسوء العاقبة، وبالتالي فاللام لامٌ تعليلية تفيد معنى العاقبة .

---

[1]- سورة العنكبوت: الآية 65- 66.

[2]- ينظر: الكشاف: المصدر السابق، ص 823.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 174. الإقناع: المصدر السابق، ص: 727. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:503.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 555. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 466.

[5]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 1001.

[6]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 441.

[7]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 174.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمّا من قرأ بالإسكان فاللام فيها لام الأمر، وهي بعد حرف العطف تسكّن وتكسر، وعليه فالأمر مستعمل في التهديد والوعيد والتوبيخ[1] ؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ- لا يأمرهم بالإصرار على المعاصي والكفر.[2]

يقول ابن عاشور (ت1393هـ) عن معنى التمتع:((والتمتّع الانتفاع القصير زمنه. وجملة فسوف يعلمون تفريع على التهديد بالوعيد)).[3] فالتمتع قصير زمنه، ولا بد أن يأتي بعده الحساب والعقاب، والعقاب، فقوله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ دليل على ذلك، وحجّة قوية على المعنى الذي أفادته هذه القراءة.

يوجّه أبو منصور(ت338هـ) القراءتين بقوله: ((هذه اللام هي لام الوعيد بلفظ الأمر، والأجود فيها الإسكان إذا اتصلت بالواو، وقد تكسر على الأصل فيكون فيها الكسر على جهة « كي يتمتعوا »)).[4]

ممّا سبق أفادت قراءة الإسكان معنى مغاير تماما عن قراءة الكسر، فاللام فيها لام أمر تحمل معنى التهديد والتوبيخ، في حين أفادت اللام في قراءة الكسر التعليل بمعنى «كي» والتي تؤدي إلى معنى العاقبة في الآية. فكلّ قراءة أفادت معنى خاص بها مما يدلّ على الإعجاز البياني الواقع في اختلاف القراءتين، مع العلم أنّ الاختلاف وقع في كسر وإسكان اللام فقط. وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية تندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

يقول الطبري (ت310هـ):((من قرأ بكسر اللام بمعنى وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك، ومن قرأ بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ، أي اكفروا فإنّكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم

---

[1]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 319. الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 441. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 466.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 555.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج21، ص: 33

[4]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 261.

به، وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد)). [1]

المبحث الثالث

الاختلاف في صور الالتفات والجانب الصرفي
وفيه مطلبان

المطلب الأول: الاختلاف في صور الالتفات

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب الصرفي

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج21، ص: 13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الاختلاف في صور الالتفات

من المتعارف عليه عند البلغاء أنّ الالتفات موجود بكثرة في القرآن الكريم، كما هو موجود في الحديث النّبوي، والأدب العربي شعره ونثره، وهو من الأساليب البلاغية وله عدّة أقسام ذكرها أهل البلاغة، وسنمثّل في هذا المطلب بمثالين له مع إبراز الوجه البياني لهما.

يقول صاحب الطراز(ت749هـ)[1]: ((الالتفات من أجلّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمّي بذلك أخذا له من التفات الإنسان يمينا وشمالا، ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأنّ الأوّل يعم سائر الالتفاتات كلّها، والحد الثاني إنّما هو مقصود على الغيبة والخطاب لاغير)).[2]

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[3]

يخاطبُ الله -عزّ وجلّ- نبيّه محمّد -صلىّ الله عليه وسلّم- في هذه الآية مخبرا إيّاه أنّه هو عالم غيب السموات والأرض في الماضي والحاضر والمستقبل، وأنّه إليه المرجع والمآب، لذا وجب عبادته والتوكّل عليه، وسيوفّي كل عامل عمله يوم القيامة، فسبحانه لا تخفى عليه خافية[1].

---

[1]- العلوي: هو الإمام المؤيد بالله يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، ولد بمدينة صنعاء يوم 27 صفر 669هـ ، اشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ العلم على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم وفاق أقرانه، وصنّف التصانيف الحافلة في جميع الفنون، توفي سنة 705هـ بمدينة ذمار ودفن بها. من كتبه: « الشامل » و « نهاية الوصول إلى علم الأصول » ينظر: البدر الطالع: المصدر السابق، ج2، ص: 331.

[2]- الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، د.ط، 1222هـ- 1914م، الجزء الثاني ص: 131.

[3]- سورة هود: الآية 123.

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) مفسّرا هذه الآية: ((كلام جامع وهو تذييل للسورة مؤذن بختامها، فهو من براعة المقطع والواو عاطفة كلاما على كلام، أو واو الاعتراض في آخر الكلام ومثله كثير)).[2]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿تَعۡمَلُونَ﴾، فقرأها نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب بالتاء، وقرأها الباقون بالياء.[3] فما المعاني التي تفيدها القراءتين؟ وما هو المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

جاءت قراءة نافع ومن معه خطابا للنبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه، ودليلهم قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ وهو أمر للنبي-صلّى الله عليه وسلّم- ولأمّته، والتقدير:« وما ربّك بغافل عما تعمل أنت وما يعملون هم فيجازى كلاً منك ومنهم بموجب الاستحقاق ».[4]

قال أبو علي(ت377هـ): ((حجّة التاء أنّ الخطاب يكون للنّبي- عليه السلام-، ولجميع النّاس، والمعنى أنّه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، والخطاب يتوجّه إلى جميع النّاس، مؤمنهم وكافرهم، وهذا أعمّ من الياء)).[5]

يُفهم ممّا سبق أنّ الخطاب في هذه القراءة موجّه للجميع مؤمنهم وكافرهم، فكلٌّ يجازى بحسب عمله، فما المعنى الذي تحمله القراءة الأخرى، ولمن هو موجَّهٌ الخطاب ؟

إنّ الخطاب في هذه القراءة موجّه للكفّار، فقد ذكروا من قبل في قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾[6] وهُم غُيّب، فلذلك جاء الخبر عنهم على لفظ الغيبة، وفيه

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 364.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 12، ص: 194.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 126. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 409.

[4]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ط.ت، الجزء الثاني عشر، ص: 168. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 113.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 389.

[6]- سورة هود: الآية 121.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

معنى التهديد والوعيد لهم، وتسلية للنبيّ[1]-صلىّ الله عليه وسلّم-، والتقدير: « وما ربّك بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ». [2]

نخلص ممّا تقدّم أنّ القراءتين أفادتا معنيين، لكلّ معنى دلالته، وذلك لأنّ كلّ قراءة آية، فقراءة التاء خاطبت النّبيّ -صلىّ الله عليه وسلّم- ومن معه، فهي أعمّ، أما قراءة الياء فخاطبت الكفّار فقط، وحملت معنى التهديد والوعيد، كما جاءت مسلية للنّبيّ -صلىّ الله عليه وسلّم-، مقررة لحقيقة عظيمة وهي أن الله- عزّ وجلّ- ليس بغافل عما يعملون وسيجازيهم يوم القيامة على أعمالهم، فلا يحزنك يا محمّد-صلىّ الله عليه وسلّم- إعراضهم عنك وتكذيبهم إيّاك فما ربّك بغافل عمّا يعملون.

كما نخلص من القراءتين أنّهما أفادتا مقصدين، كلّ مقصد يعتبر من مراد الله تعالى من هذه الآية، وذلك لأنّ كلّ قراءة آية، ونوع هذا المقصد يندرج تحت مقصد المواعظ والتحذير والتبشير.

[1]- ينظر: الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 113. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 663. التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 12، ص: 196.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 353.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾[1]

يُخبرنا الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية بعدما ذكر أنّه أسرى بمحمد -صلّى الله عليه وسلّم- عطف بذكر موسى - عليه السلام- ، وأنّه أكرمه بالتوراة التي جعلها هدى وهداية لبني إسرائيل ليخرجهم بها من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدّين، وأمرهم بتوحيد الله-عزّ وجلّ- بأن لا يتخذوا من دونه وكيلا يفوّضون أمورهم إليه[2].

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ فقرأها أبو عمرو بياء وتاء، وقرأها الباقون بتاءين.[3]

كما جاءت هذه القراءة بأسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب الذي يدل على معنى الإقبال على المخاطبين أو مواجهتهم بالمنقول إليهم، وذلك بحسب المقام[4]، فما المعاني التي نستجليها من هذا الالتفات يا ترى ؟ وما هو المقصد القرآني المشار إليه؟

وجه قراءة أبي عمرو(ت154هـ) أنّه حمله على لفظ الغيبة لتقدّم ذكرها:﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ أي لئلا يتخذوا، أو هديناهم إلى ترك الاتخاذ.[5] كما أنّ الفعل

---

[1] - سورة الإسراء: الآية 02.

[2] - ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 5، ص: 46.

[3] - السبعة: المصدر السابق، ص:37. التيسير: المصدر السابق، ص:139. الإقناع: المصدر السابق، ص: 685.

[4] - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، لأحمد سعود أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط.ت، ص: 342.

[5] - الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 152. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 384. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 749.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قريب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسندا إليهم.[1] ممّا يعني أيضا أنّ هذه القراءة جاءت على الخبر عن بني إسرائيل بمعنى: « وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألاّ يتخذ بنوا إسرائيل من دوني وكيلا ».[2]

قال أبو علي(ت377هـ): ((وجه من قرأ بالياء، أنّ المتقدم ذكرهم على لغة الغيبة فالمعنى: هديناهم أن لا يتخذوا من دوني وكيلا)).[3]

ويجوز أن يكون بمعنى « أي » ، فيكون في الكلام معنى النهي. [4] يقول ابن أبي مريم(ت 565هـ): ((وقيل: إن قوله ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ متضمّن لمعنى الأمر، كأنّه قال: أمرنا بني إسرائيل ألا يتخذوا، والعرب تقول: أمرت فلانا أن لا يفعل، بالياء نصبا وأن لا تفعل بالتاء جزما على النهي كلاهما جائز)).[5] يُفهم من هذا الكلام أنّ القراءة جاءت بأسلوب النهي المتضمّن معنى الأمر.

نخلص ممّا سبق أنّ هذه القراءة جاءت على الخبر عن بني إسرائيل، كما جاءت على معنى النهي المتضمّن معنى الأمر، كلّ ذلك جاء على اعتبار حكاية القول بالمعنى كما قال ابن عاشور(ت1393هـ).[6]

أمّا قراءة الباقين فيجوز فيها عدّة أوجه منها:

- قرئت بالتاء على الخطاب وحجّتهم في الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[7] ثمّ قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[8] ونظائره ونظائره كثير في القرآن.

- يجوز في هذه القراءة أن تكون« أن » بمعنى أي التي بمعنى التفسير؛ لأنّه انصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب، فيكون الكلام نهيا « أي لا تتخذوا »، فيكون من الانصراف من الخبر إلى النهي.[1]

---

[1]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 396.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج15، ص: 18.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج 5، ص: 83.

[4]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 152.

[5]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 749.

[6]- التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج 15، ص: 25.

[7]- سورة الفاتحة: الآية 2.

[8]- سورة الفاتحة: الآية 5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يجوز أن تكون « أن » أن زائدة ويضمر القول على تقدير: « وجعلناه هدى لبني إسرائيل. فقلنا: لا تتخذوا من دوني وكيلا » فيكون نهيا [2].

- يجوز أن تكون القراءة على معنى الأمر فيكون خطابا لهم[3].

- يجوز أن تكون « أن » الناصبة للفعل، فيكون المعنى: « وجعلناه هدى كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلا » أو « بأن لا تتخذوا ».[4]

نخلص من جميع هذه الأوجه أنّ القراءة تضمّنت نهيا صريحا بعدم اتخاذ الوكيل والالتجاء إليه دون الله -عزّ وجلّ-، محققة بذلك معنى التوحيد، وهو ما أشار إليه ابن عاشور(ت1393هـ) لما قال:((وقرأ الجمهور﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ بتاء الخطاب على الأصل في حكاية ما يحكى من الأقوال المتضمنة نهيا، فتكون «أن» تفسيرية لما تضمّنه لفظ الكتاب من معنى الأقوال، ويكون التفسير لبعض ما تضمّنه الكتاب اقتصارا على الأهم منه وهو التوحيد)).[5]

ممّا تقدّم نخلص إلى أنّ للالتفات دورا في صياغة المعنى الذي ينشده التعبير القرآني من خلال تخالف أسلوبه.

يقول الطبري(ت310هـ) عن القراءتين: ((وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أنّي أوثر القراءة بالتاء، لأنّها أشهر في القراءة وأشدّ استفاضة فيهم من القراءة بالياء)).[6]

كلّ هذه المعاني والأساليب التي حملتها القراءتان هي عبارة عن مقاصد جزئية سببها وقوع حرف مكان حرف، وهي بلا شك تدلّ على مقصد عام من الآية ألا وهو النهي عن اتخاذ الوكيل دون الله -عزّ وجلّ-، الذي يندرج تحت مقصد إصلاح الاعتقاد. أليس كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 84. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 396. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 152.

[2]- الحجة: المصدر نفسه، ج5، ص: 48. حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 397. الكشف: المصدر نفسه.

[3]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 750.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 84. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 397.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج15، ص: 25.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج15، ص: 18.

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب الصرفي

في هذا المطلب أمثلة قرآنية تعبّر عن التغييرات الحاصلة في القراءات القرآنية، الناجمة عن الاختلاف في ميزان الكلمة، وسنحاول دراستها دراسة بيانية مستنتجين بذلك المعاني والدلالات التي نستجليها من هذا التغيير مع إبراز المقاصد ونوعها في كلّ مثال.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾[1]

تتحدّث الآية الكريمة عن منع الله -عزّ وجلّ- المتكبّرين عن فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمته وكبريائه، فقد وصفهم بأنّهم يتكبرون على النّاس بغير حق، وإن ظهر لهم سبيل الرشد أي طريق الهدى والرشاد لا يسلكوه، لكنّهم يسارعون إلى سبيل الغيّ والضلال والفساد، وعلّة مصيرهم إلى هذه الحالة هي تكذيبهم بآيات الله -عزّ وجلّ- وغفلتهم عن النظر بما فيها[2].

وعن حقيقة الاتخاذ يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((والاتخاذ حقيقته مطاوع أخذه بالتشديد، إذ جعله آخذا ثمّ أطلق على أخذ الشيء ولو لم يعطه إياه غيره، وهو هنا مستعار للملازمة، أي لا يلازمون طريق الرشد ويلازمون طريق الغي)).[3]

---

[1]- سورة الأعراف: الآية 146.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج3، ص: 475.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 105.

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿ ٱلرُّشْدِ﴾، فقرأها حمزة والكسائي بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضمّ الراء وإسكان الشين[1] . فما هي المعاني التي تحملها كلّ قراءة؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من فتح أراد به الدّين لأنّ بعده الغي، والدّين ضد الغي الذي هو الضلال، وحجّتهم قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[2] أي دينا[3].

وفي هذا الصدد يقول الراغب(ت502هـ): ((الرّشد والرشد خلاف الغي، يستعمل استعمال الهداية))[4].

يقول الفارسي(ت377هـ) مبيّنا هذا المعنى: ((كأنّ المعنى: وإن يرو سبيل الخير زاغوا عنه، وعدلوا فلم يتخذوه سبيلا، أي لم يأخذوا به، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا، ومقابلته بالغي يدلّ على الضلالة والزيغ عن طريق الدّين والهدى))[5].

في حين من ضمّ وأسكن الشين أراد معنى الصلاح، قال أبو عمرو(ت154هـ): ((سبيل الرُشد أي الصلاح، وتصديقها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[6] والرَشد في الدّين فلذلك قرأ في الكهف: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[7]))[8]

وقال بعضهم: ((الرَّشد أخص من الرُّشد، فإن الرُشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشد يُقال في الأمور الأخروية لا غير)).[9]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- السبعة: المصدر السابق، ص: 293. التيسير: المصدر السابق، ص:113.

[2]- سورة الكهف: الآية 10.

[3]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 56.

[4]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 354.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 79.

[6]- سورة النساء: الآية 6.

[7]- سورة الكهف: الآية 66.

[8]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 296. إعراب القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 206.

[9]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 354.

يقول ابن عاشور(ت1393هـ): عن معنى الرشد: ((والرشد الصلاح وفعل النافع والمراد به هنا الشيء الصالح كله من الإيمان والأعمال الصالحة، والغي الفساد والضلال، وهو ضد الرشد بهذا المعنى))[1].

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ أبا عمرو(ت154هـ) هو الذي فرّق بين القراءتين وأعطى كلّ واحدة منهما معنى، فعلى قراءة الفتح كان المعنى هو الدّين وعلى قراءة الرفع كان المعنى هو الصلاح، فكلا المعنيين قريب من الآخر، لأن الدّين هو الصلاح، والصلاح هو الدّين. وقد يكون الصلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، ويكون الدّين في الأمور الأخروية لأنّنا محاسبون عليه في الآخرة، وعليه فالمقصد العام من القراءتين هو الدّين، وإن كان المقصد من قراءة الرفع هو الصلاح، لكنّه يحمل معنى الدين، ويندرج هذا المقصد تحت مقصد إصلاح الاعتقاد.

يقول الطبري(ت310هـ) عن القراءتين: ((والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنّهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قرأة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ، فمصيب الصواب بها)).[2] أليس كلّ قراءة تكمّل الأخرى وتحقّق المعنى المقصود من الآية .

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 105.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج9، ص: 61.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾[1]

يُخبر الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة أنّ نصره ينزله على رسله - عليهم السلام- عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات، خاصّة بعد يأسهم من استجابة القوم لهم، فينجّي الله – عزّ وجلّ- من يشاء ويهلك من يشاء[2].

وقد اختلف القرّاء في كلمة ﴿كُذِبُواْ﴾، فقرأه الكوفيون بالتخفيف وشدّد الباقون[3]، فما الفرق بين قراءة التخفيف والتشديد يا ترى؟ وما نوع المقصد الذي أشارت إليه الآية؟

إنّ المعنى المحمول على قراءة التشديد هو أنّ الرّسل- عليهم السلام- تلقّاهم قومهم بالتكذيب، والضمير في ﴿ظنوا﴾ يعود للرّسل–عليهم السلام-، وتفسير الظنّ على هذه القراءة بمعنى اليقين.[4] والتقدير: « وأيقن الرّسل أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله جلّ ذكره » وحجّتهم

[1]- سورة يوسف: الآية 110.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 424.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص:351. التيسير: المصدر السابق، ص: 130. الإقناع: المصدر السابق، ص: 672.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 367. الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 125. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 366.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ذلك أنّه تقدّم ذكر الرّسل–عليهم السلام-، ولم يتقدّم ذكر المرسل إليهم، فيجعل الضمير لهم،[1] وأيضًا قوله تعالى:﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ [2] وقوله :﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾[3]. ومعنى ﴿كُذِبُواْ﴾ تلقّوا بالتكذيب، كقولك حيّيته أي استقبلته بحياك الله.[4]

وقيل في معناها أيضا :((حسبوا أن من آمن بهم من قومهم كذّبوهم، لا أنّ القوم كذّبوا، لكنّ الأنبياء ظنّوا وحسبوا أنّهم يُكذبونهم، أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شك)).[5] فالمعنى على هذا هو خوف الأنبياء – عليهم السلام- من وقوع الشك في قلوب أتباعهم فيُكذّبوهم.

ممّا سبق نستخلص معنيين من القراءة:

المعنى الأوّل: هو أنّ الرّسل–عليهم السلام- تلقّاهم قومهم بالتكذيب، والمعنى الثاني:وهو خوف الأنبياء–عليهم السلام- من أنّ القوم يكذّبونهم.

أمّا قراءة التخفيف فهي على معنى أنّ المرسل إليهم ظنّوا أنّهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرّسل–عليهم السلام-، والضمير في﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ يعود للمرسل إليهم وهم الكفار[6].

يقول ابن زنجلة(ت403هـ): ((فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل الضمير في ظنّوا على القوم، والذي تقدّم ذكره الرسل، قيل إنّ ذلك لا يمتنع لأنّ ذكر الرّسل يدلّ على المرسل إليهم))[7] فيأتي المعنى:« وظنّ المرسل إليهم أنّهم لم يصدّقوا فيما قيل لهم، وما توعّدوا به من إتيان العذاب على كفرهم »[8]، والظنّ ههنا على أصله ولا يكون بمعنى اليقين.[9]

---

[1]- حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 36.

[2]- سورة سبأ: الآية 45.

[3]- سورة ص: الآية 14.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 441.

[5]- الجامع: المصدر السابق، ج9، ص: 275.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 126. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 366.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 366.

[8]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 126.

[9]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 691.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويجوّز مكي(ت 437هـ) في هذه القراءة: ((أن يكون الضمير في ظنّوا وفي أنّهم للرّسل مثل القراءة الأولى والظنّ بمعنى اليقين على معنى: فأيقن الرسل أنّهم لم يصدقهم قومهم في وعدهم بقبول ما أتوهم به)).[1]

وفي صحيح البخاري عن عروة أنّه سأل عائشة – رضي الله عنها- : ((أكُذبوا أم :كُذّبوا (أي بالخفيف أم بالشدّ) ، قالت: كذّبوا (أي بالشدّ) قال: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم فما هو بالظن ؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا.فهي « قد كذبوا »(أي بالتخفيف) ، قالت: معاذ الله لم يكن الرسل – عليهم السلام- تظنّ ذلك بربّها وإنّما هم أتباع الذين آمنوا وصدقوا فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النّصر، حتى إذا استيأس الرّسل – عليهم السلام- ممن كذبهم من قومهم، وظنّت الرّسل – عليهم السلام- أن أتباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك))[2]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((وهذا الكلام من عائشة – رضي الله عنها- رأيٌ لها في التفسير وإنكارها أن تكون « كذبوا » مخفّفة إنكار يستند بما يبدوا من عود الضمائر إلى أقرب مذكور وهو الرّسل، وذلك ليس بمتعيّن، ولم تكن عائشة قد بلغتها رواية «كذبوا» بالتخفيف))[3].

بعد عرض هذه الأقوال يتبيّن لنا أنّ قراءة التشديد أفادت معنيين:

المعنى الأول: هو أنّ الرسل – عليهم السلام- تلقّاهم قومهم بالتكذيب، أمّا المعنى الثاني وهو خوف الرسل–عليهم السلام- من أنّ القوم يكذّبونهم.

والفرق بين الأوّل والثاني هو أنّ الأول تكذيب صريح والثاني خوف من وقوع التكذيب. كما أنّ الظنّ على هذه القراءة محمول على اليقين دون الشك، والضمير في ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾يعود للرسل دون المرسل إليهم.

أمّا قراءة التخفيف فأفادت معنى واحدا هو أنّ المرسل إليهم ظنوا أنّ الرسل –عليهم السلام-قد كذبوهم، كما أنّ الظنّ محمول على أصله دون اليقين، وهو يناسب معنى هذه القراءة لأنّه منسوب للبشر وليس للأنبياء–عليهم السلام-، وإنّما ظنّوا ذلك لما عهدوه من إمهال الله تعالى إيّاهم فكذبوا

---

[1]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 126.

[2]- صحيح البخاري: المصدر السابق، كتاب التفسير، سورة يوسف، ص:1731، رقم: 4418.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 13، ص: 70.

الرّسل-عليهم السلام-، والضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ يعود للمرسل إليهم دون الرسل-عليهم السلام-.

وبالتّالي نخلص أنّ كلتا القراءتين على اختلافهما في المعنى أفادتا المعنى المقصود من الآية، وإن كانت قراءة التشديد أقوى في المعنى. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها، وَكلّ هذِه المعَاني الجزئية في القراءتين مِن مقاصدِ الآية التي تندرج تحت مقصد القصص .

يقول الطبري(ت310هـ):((والقراءة على هذا التأويل الذي ذكرنا في قوله ﴿كُذِبُواْ﴾ بضمّ الكاف وتخفيف الذال، وذلك أيضا قراءة بعض قرّاء أهل المدينة وعامّة قرّاء أهل الكوفة .

وإنّما اخترنا هذا التأويل، وهذه القراءة لأنّ ذلك عقيب قوله﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ ١٠٩﴾[1] فكان ذلك دليلاً على أنّ إياس الرسل، كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا، وأنّ المضمر في قوله﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ إنّما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة، وزاد ذلك وضوحا أيضا إتباع الله في سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أنّ الرسل قد كَذبتهم، فكذّبوهم ظنا منهم أنّهم قد كَذَبوهم)).[2]

---

[1]- سورة يوسف: الآية 109.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج13، ص: 85.

المثال الثالث : قوله تعالى:

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- عن طغاة ثمود الذين كذّبوا النبيّ صالح – عليه السلام- ، وآل بهم الحال أن عقروا الناقة، وهموا بقتله –عليه السلام- بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيْلة، ثمّ يقولوا لأوليائه ما علمنا بشيء من أمره ومهلكه وإنّا لصادقون.[2]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿مَهْلِكَ﴾، فقرأها حفص بفتح الميم وكسر اللام، وشعبة بفتح الميم وفتح اللام، وقرأ الباقون بضمّ الميم وفتح اللام[3]. فما الفرق بين القراءات الثلاث ؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

يحتمل في قراءة حفص أن يكون المقصود بـ ﴿مَهْلِكَ﴾ اسم مكان، فيكون المعنى:« ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانهم»، فيكون المهلِك كالمجلس، يراد به موضع الجلوس، كما يجوز أن يراد بها

1- سورة النمل: الآية 49.

2- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 198.

3- التيسير: المصدر السابق، ص: 144. الإقناع: المصدر السابق، ص: 690.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصدر[1]، أو اسما للوقت الذي يهلكون فيه[2] فيكون المعنى:« ما شهدنا هلاك أهله وزمان هلاكهم »،[3] ويمكن أيضا أن يكون المعنى هو المصدر والمكان والزمان.[4]

أمّا قراءة أبي بكر فتحتمل المصدر لا غير بمعنى ما شهدنا هلاك أهله،[5] فقراءته تقتضي القياس أن يكون مصدرا أي « ما شهدنا هلاكه » كما قال ابن حيان(ت745هـ).[6]

أمّا قراءة الجمهور فيحتمل فيه االمصدر أي « ما شهدنا إهلاك أهله »،كما يحتمل أن يكون الموضع أي اسم مكان، أي « لم نشهد موضع الإهلاك »،[7]ويحتمل أيضا الزمان أي « ما شهدنا زمان إهلاكهم » ويلزم من هذا كلّه أنّهم إذا لم يشهدوا الزمان ولا المكان أن لا يشهدوا الإهلاك.[8]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ القراءات الثلاث متقاربات في المعنى، فكلّ قراءة تكمّل الأخرى وتحقّق المعنى المقصود، بل أنّ قراءة حفص والجمهور متفقتان في المعنى تماما، ما عدا قراءة أبي بكر التي أفادت وحدها المصدر، في حين القراءات الأخرى أفادت المكان والمصدر والزمان، فالمصدر مشترك وهو الإهلاك، ولولاه لما يكون هناك مكان ولا زمان، وعليه فالاختلاف الحاصل في اللفظة أفاد ثلاث معاني كلّ معنى يفيد مقصدا من الآية فالموضع والزمان مرتبطان بالإهلاك ولولاهما لما كان هناك إهلاك، ولولا هذا الأخير لما يكون هناك موضع وزمان أصلا. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها.

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 395-396. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 531. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 967.

[2]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 397.

[3]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج7، ص: 80-81.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج19، ص: 283.

[5]- التحرير والتنوير:المصدر نفسه. الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 395-396. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 531.

[6]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج7، ص: 80-81.

[7]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 395-396. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 531. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 967.

[8]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج7، ص: 80-81.

مع العلم أنّ كلّ هذه المعاني هي معان جزئية لمقصد عام وهو عدم معرفة أمر ومهلك النبي صالح -عليه السلام- من قبل قومه، وهذا المقصد من اللفظة في الآية يندرج تحت مقصد عام هو مقصد القصص .

المثال الرابع: قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾[1]

يأمر الله – عزّ وجلّ- نبيه محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – أن ينذر الناس ويشمر عن ساق العزم، وأن يعظم ربه وأن يصلح عمله ، وأن يهجر عبادة الأوثان ويترك المعاصي.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾، فقرأها حفص وأبو جعفر ويعقوب بضمّ الرّاء وقرأ الباقون بالكسر.[3] فما المعاني التي نستوحيها من القراءتين ؟ وما المقصد المشار إليه؟

يعرّف ابن عاشور (ت1339هـ) الهجر بأنّه ترك المخالطة وعدم الاقتراب من الشيء[4]، فما هو هو هذا الشيء الذي أمر بعدم الاقتراب منه وهجرانه على القراءتين يا ترى؟

قراءة الضمّ تعني الصنم، والمعنى « اهجر ما يؤديك إلى عذاب »،[5] وقيل هما صنمان إيساف ونائلة كانا عند البيت،[1] وقيل هي بمعنى السخط قاله ابن عباس[2]– رضي الله عنه-، فالمعنى: اهجر اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه.[3]

---

[1]- سورة المدثر: الآية 1-5.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 262-264.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 216. الإقناع: المصدر السابق، ص: 797. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:597.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 298.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 733. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 542. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1312.

ويحمل ابن عاشور (ت1393هـ) الرّجز هنا على ما يشمل الأوثان وغيرها من أكل الميتة والدّم، كما يتكلّم عن الهجر ويصرّح بأنّه: ((كناية عن ترك التلبّس بالأحوال الخاصة بأنواع الرجز لكلّ نوع بما يناسبه في عرف الناس، والأمر بهجر الرّجز يستلزم أن لا يعبد الأصنام وأن ينفي عنها الإلهية)).[4] والمعنى عند الزمخشري(ت538هـ) ليس فقط الأمر بالهجر بل الثبات على هجره لأنّه كان بريئا منه- صلّى الله عليه وسلّم- [5]

أمّا قراءة الكسر فقد أفادت معنى العذاب يدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾[6] والمعنى:« واهجر الذي يفضي إلى العذاب، وذاك هو الأصنام ».[7]، لأنّ عبادتها تؤدّي إلى العذاب،[8] أو ممكن أن يكون المعنى:« أهجر أسباب العذاب المؤدية إليه » أو لإقامة المسبَّب مقام سببه، وهو مجاز شائع.[9]

من خلال القراءتين نستنتج أنّهما أفادتا معنيين مختلفين، فقراءة الضمّ أفادت الصنم، وقراءة الكسر أفادت العذاب، وعند الجمع بينهما نحقّق معنى واحدا ألا وهو هجران الأصنام التي تؤدّي إلى العذاب، فقراءة الكسر جاءت مكمّلة لقراءة الضمّ مبيّنة وموضّحة سبب هذا الطلب. كما أنّ هذه الأخيرة أفادت معنى آخر يصبّ في المعنى العام من الآية ألا وهو معنى السخط ، أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها ؟ مع العلم أنّ الخلاف الحاصل في اللفظة جار بين الكسر والضمّ.

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية تندرج تحت مقصد عام هو هجران عبادة الأصنام، ويندرج هذا المقصد تحت مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 338.

[2]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، المصدر السابق، ج23، ص:410.

[3]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1916.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 298.

[5]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 1154.

[6]- سورة الأعراف: الآية 134.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 733. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 542. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1312.

[8]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 338.

[9]- الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 535.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الطبري (ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ)).[1]

المثال الخامس: قوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾[2]

تشير الآية الكريمة إلى حال الكافر يوم القيامة عندما يبرق البصر وينبهر ويخشع من شدّة الهول، ويخسف القمر بذهاب ضوءه، وتكوّر الشمس والقمر، حينئذ يسأل الإنسان أين المفر.[3]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿بَرِقَ﴾، فقرأها الجمهور بكسر الراء، وقرأها نافع وأبو جعفر بفتح الراء[4]، فما المعاني التي نستجليها من القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

والتعريف في « البصر » يقول ابن عاشور(ت1339هـ): ((المراد به الاستغراق، أي أبصار الناس كلّهم من الشدّة الحاصلة في ذلك الوقت على أنّهم متفاوتون في الرعب الحاصل لهم على تفاوتهم فيما يعرضون عليه من طرائق منازلهم)).[5] وفيما يلي بيان للحالة التي تكون عليها أبصار الناس في ذلك الوقت من خلال الاختلاف الحاصل في اللفظة .

---

[1]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، المصدر السابق، ج23، ص:410.

[2]- سورة القيامة: الآية 7-9.

[3]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 277.

[4]- التيسير: المصدر السابق، ص: 216. الإقناع: المصدر السابق، ص: 798. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:598.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 344.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من قرأ بالفتح فهو من برق يبرق من بريق العينين، بمعنى شخص فلم يطرف إذا فتح عينه عند الموت[1]، وقال آخرون بمعنى اللمعان أي « لمع بصره من شدة شخوصه »[2] وصار له برق عند الموت[3] وإسناده إلى البصر حقيقة[4]، وقيل هي بمعنى فزع[5].

يقول الشاعر:

فنفسك فانْع ولا تنعني   وداو الكلوم ولا تبرقِ[6]

يقول ابن كثير(ت774هـ) في تفسيره: ((والمقصود أنّ الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور)).[7]

ممّا سبق إذا نظرنا لكل المعاني نجد بأنّها متقاربة في المعنى فالشخوص واللمعان والفزع كلّها معان تصوّر لنا الحالة التي يكون عليها الإنسان أثناء إبصاره للعجائب التي كان يكذّب بها.فما المعنى الذي تفيده القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا قراءة الكسر فتفيد معنى « تحير وفزع لما رأى العجائب التي كان يكذب بها »،[8] ويمكن أن تكون بمعنى شق بصره[9] وشخص وحار[1]،كما يمكن أن تكون بمعنى دهش وبهت فهو من أحوال

---

[1]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج5، ص: 252. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 736. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1318.

[2]- الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 568. البحر المحيط: المصدر السابق، ج8، ص: 373.

[3]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1923.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 344.

[5]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 209.

[6]- ديوان طرفة بن العبد، لطرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م، ص: 57.

[7]- تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص 277.

[8]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 418. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 736. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 543. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1318.

[9]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 277.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإنسان، وإنّما أسند في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي تنزيلا له منزلة مكان البرق؛ لأنّه إذا بهت شخص بصره.[2]

ونبدأ بما انتهى منه ابن عاشور (ت1339هـ) في مسألة إسناد الدهشة إلى البصر، فالإسناد فيها على سبيل المجاز العقلي لأنّه إذا دهش الإنسان شخص بصره، عكس القراءة الأخرى التي كان فيها على سبيل الحقيقة عندما وجهّها بمعنى لمعان البصر .

وعليه فالقراءة أفادت معنى التحيّر والفزع والحيرة والدهشة والبهتة، وكلّها معان متقاربة، وإذا جمعنا هذه المعاني مع معاني القراءة الأولى يتّضح المعنى كليا، فقراءة الكسر جاءت مكملة ومتمّمة لقراءة الفتح، ذلك أنّه إذا دهش الإنسان شخص ولمع بصره، وإن كان مآل معنى القراءتين واحدا كما قال ابن عاشور (ت1339هـ) وهو الكناية عن الفزع والرعب.[3] عكس ابن حيان(ت 745هـ)[4] الذي يرى بأنّ المعنى متقارب في القراءتين .[5] أليس كلّ قراءة تكمّل الأخرى وتحقّق المعنى المقصود من الآية.

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية تندرج تحت مقصد عام هو مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

يقول الطبري(ت310هـ):((وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء: ﴿فَإِذَا بَرِقَ﴾، بمعنى: فزع فشقّ وفتح من هول يوم القيامة وفزَع بالموت)).[6]

---

[1]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1923.

[2]-التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج29، ص: 344. الكشاف: المصدر السابق، ص: 1161.

[3]- التحرير و التنوير: المصدر نفسه، ج29، ص: 344.

[4]- أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الإمام الأندلسي الغرناطي، النّفزي، نحوي عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرّخه وأديبه، ولد سنة 654هـ، توفي سنة 745هـ . من كتبه: « إتحاف الأريب بما في القرآن من غريب » و « البحر المحيط في التفسير » . ينظر: بغية الوعاة: المصدر السابق، ج1، ص: 280.

[5]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1923.

[6]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، المصدر السابق، ج23، ص: 479.

المثال السادس:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة أنّه جعل الإنسان سويا معتدل القامة في أحسن الهيئات والأشكال.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿فَعَدَلَكَ﴾، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف الدال والباقون بتشديدها.[3] فما الفرق بين القراءتين؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

وقبل أن نطّلع على المعاني التي نستخرجها من هذا الاختلاف لابن عاشور(ت1393هـ)كلام نفيس عن ماهية التعديل إذ يقول عنه أنّه: ((التناسب بين أجزاء البدن مثل تناسب اليدين والرجلين والعينين وصورة الوجه فلا تفاوت بين متزاوجها ولا بشاعة في مجموعها. وجعله مستقيم القامة، فلو كانت إحدى اليدين في الجنب والأخرى في الظهر لاختل عملهما، ولو جعل العينان في الخلف

[1]- سورة الانفطار: الآية 7.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 342.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 220. الإقناع: المصدر السابق، ص: 806. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:607.

لانعدمت الاستفادة من النظر حال المشي، وكذلك مواضع الأعضاء الباطنة من الحلق والمعدة والكبد والطحال والكليتين وموضع الرئتين والقلب وموضع الدماغ والنخاع)).[1]

فهل نجد هذا المعنى جليا في القراءتين ؟ أم أنّهما يفضيان إلى معان أخرى؟ هذا ما سنراه لاحقا.

من قرأ بالتخفيف فيحتمل أن يكون المعنى سواك،[2] أي سوى خلقك، ومنه العدل الذي هو الإنصاف أي قصد إلى الاستواء،[3] ومنه عدل بعضك ببعض فجعلك متشابه الخلق معتدله، أي وازن بينها[4].

ويوجّه الفرّاء(ت 207هـ) هذه القراءة إلى معنى صرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسن أو قبيح أو طويل أو قصير[5]، وقيل معناه عدلك أي شبه أبيك أو خالك أو عمّك أي صرفك إلى شبه من شاء من قرابتك.[6]

وهي عند الزمخشري(ت538هـ) تحتمل وجهان: ((أن يكون بمعنى المشدّد أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت. والثاني فعدلك فصرفك يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيآت)).[7]

ممّا سبق يتبيّن أنّ قراءة التخفيف أفادت معنى التسوية والعدل الذي هو الإنصاف والموازنة والصرف إلى أيّ صورة أو إلى أي شبه شاء، هذه المعاني كلّها دلّت عليها لفظة ﴿فَعَدَلَكَ﴾فما المعان التي تفيدها القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا من قرأ بالتشديد فهي بمعنى عدّل خلقك أي قوّمه فيكون المعنى: « أخرجك في أحسن تقويم »[1] بمعنى قوّمك أي جعل خلقك معتدلا، وقال آخرون حسّنك وجمّلك،[2] وفضّلك به على غيرك.[3] غيرك.[3]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج30، ص: 176.

[2]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1347.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 753.

[4]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1955.

[5]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 244.

[6]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 463.

[7]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 1185.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهي عند مكي(ت437هـ) بمعنى « سوى خلقك في أحسن صورة وأكمل تقويم فجعلك قائما ولم يجعلك كالبهائم متطأطئا ».[4]

أمّا عند الفرّاء (ت 207هـ) فهي بمعنى « أراد جعلك معتدلا معدل الخلق » وهذا المعنى هو أعجب الوجهين إليه وأجودهما في العربية.[5]

يوجّه الفارسي (ت377هـ) القراءتين بقوله: ((معنى عدّلك: عدّل خلقك فأخرجك في أحسن تقويم، وهيّأ فيك بلطف الخِلقة وتعديلها ما قدرْت به على ما لم يقدر عليه غيرك، ومعنى التخفيف عدل بعضك ببعض، فكنت معتدل الخلقة متناسبها فلا تفاوت فيها)).[6]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) عن القراءتين بأنّهما: ((متقاربان إلا أنّ التشديد يدلّ على المبالغة في العدل، أي التسوية فيفيد إتقان الصنع)).[7]

ممّا سبق أفادت قراءة التشديد معنى التقويم والتحسين والتفضيل، والتقويم عند مكي(ت437هـ) هو أن جعله قائما ولم يجعله متطأطئا كالبهائم وهذا من تمام العدل، وهي عند ابن عاشور (ت1393هـ) تدلّ على المبالغة في العدل الذي يفيد إتقان الصنع الذي يملكه وحده – عزّ وجلّ- دون غيره.

وعليه فإذا جمعنا كلّ المعاني من القراءتين يستكمل لنا المعنى العام الذي قصده الله – عزّ وجلّ- من هذا الاختلاف، فالتسوية هي العدل الذي هو الإنصاف ذاك أنّ الله - عزّ وجلّ-عدل بعض أعضاء الإنسان ببعض حتى اعتدلت وحقّق فيها معنى الموازنة فصرفه إلى أيّ صورة أو شبه شاء، ولم يجعله متطأطئا الخلقة كالبهائم، بل حسّنه وجمّله وفضّله على كثير ممّن خلق تفضيلا، فسبحان الصنيع الذي أحسن الصنعة فأتقن فأبدع. أليست كلّ قراءة آية قائمة بذاتها؟

---

[1]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1347.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 753.

[3]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 549.

[4]- الكشف: المصدر السابق، ج2، ص: 463.

[5]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 244.

[6]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص: 382.

[7]- ابن عاشور: المصدر السابق، ج30، ص: 176.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية لمقصد عام هو مقصد المواعظ؛ لأنّ الله – عزّ وجلّ- يعظنا من خلال أنفسنا.

يقول الطبري (ت310هـ): ((وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنّهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أنّ أعجبهما إليّ أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد)).[1]

الفصل الثاني: الإعجاز البياني في السور المدنية
وفيه ثلاث مباحث

[1]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، المصدر السابق، ج24، ص: 178.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل: الاختلاف الوارد في الأسماء والأفعال الجامدة والمشتقَّةِ.
المبحث الثاني: الاختلاف في العامل النحْوي.
المبحث الثالث: الاخْتلاف في صور الالتفات والجانب الصّرفِي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل: الاختلاف الوارد في الأسماء والأفعال الجامدة والمشتقَّةِ.

وفيه تسع مطالب

المطلب الأول: الأفعَال التِي يَرجع الاختلاف فيها إلى أصل الاشتقاقِ.
المطلب الثاني: الأفعَال التِي يرجع الاختلاف فيها إلى نوعِ الاشتقاقِ.

المطلب الثالث: وقوع الكلمة بين الماضي المبني للفاعل والمبني للمفعول.

المطلب الرابع: وقوع الكلِمة بينَ اسمِ الفَاعل واسم المفعول.

المطلب الخامس: وقوع الكلِمة بين اسم الفاعِل وَالصِّفة المشبّهة.

المطلب السادس: وقوع الكلِمة بينَ اسم الفاعل وأمثِلة المبالغَة.

المطلب السابع: وُقوع الكلمة بين المفرد والجمع.

المطلَب الثامن: وقوع الكَلمة بين الماضي والأمر

المطلب التاسع: وقوع الكَلمَة بين صِيَغ مُختلفةٍ.

المطلب الأول: الأفعَال التِي يَرجع الاختلاف فيها إلى أَصْل الاشتقاقِ.

في هذا المطلب سوف نعرض أمثلة خاصة بالكلمات القرآنية التي قرئت بوجهين مختلفين، وكان الخلاف فيها راجعا إلى أصل الاشتقاق.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي
سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ
وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ٣٧ ﴾[1]

تتحدّث الآيات الكريمة في سورة ءال عمران عن قصّة امرأة عمران وهي أمّ مريم –عليها السلام-، وكانت عاقرا واشتهت الولد، فدعت الله -عزّ وجلّ- أن يهبها ولدا، فاستجاب الله – عزّ وجلّ- دعاءها ورزقها مريم، وتقبّلها عنده بقبول حسن، أي جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا، وتخبر

[1]- سورة ءال عمران: الآية 35-37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيات أنّهم تنازعوا في كفالتها، قال تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1] فجعل الله -عزّ وجلّ-الكفالة لزكرياء—عليه السلام-، وهو زوج خالتها وكان معروفا بالصلاح والتّقوى، ولتقتبس منه علما نافعا[2]. قال تعالى:﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، فقرأ الكوفيون بتشديد الفاء، على أنّه فعل ماض من «كفل» مضعّف الفاء، وقرأ الباقون بتخفيفها.[3] فما المعاني التي تحملها كلّ قراءة ؟ وما هو المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف ؟

حجّة من شدّد أنّه أضاف الفعل إلى الله-عزّ وجلّ-، فكما أخبر عن نفسه بما فعل بها من قبل في قوله﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ﴾،﴿ وَأَنۢبَتَهَا﴾، فأخبر عن نفسه أنّه كفّلها زكريا—عليه السلام - أي ألزمه كفالتها، وجعله كافلا لها، « فكفّل » فعل ماض مضعّف الفاء، وفاعله ضميرٌ يعود على ربّها والهاء مفعول أوّل، وزكريا مفعول ثاني؛ لأنّه بالتّشديد يتعدّى إلى مفعولين، ويقوّي التّشديد أنّ في مصحف أبيّ « وأكفلها » والهمزة كالتّشديد في التعدي [4].

ولقد جاء في تفسير قوله﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾أنّ أحبار بني إسرائيل اختلفوا فيمن يكفل مريم، فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكرياء، فهذا أشبه بأن يكون المعنى: « وكفلها الله زكرياء ».[5]

أمّا من قرأ بالتّخفيف فقد أسندَ الفعل إلى زكريا—عليه السلام-، وأخبر الله-عزّ وجلّ-عنه أنّه هو الذي تولىّ كفالتها، والقيام بها[1]. ولأنّ بعده ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، وزكرياء — عليه السلام- مرتفع لأنّ الكفالة مسندة إليه.[2]

---

[1]- سورة ءال عمران: الآية 44.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 2، ص: 34-35.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 204. التيسير: المصدر السابق، ص:87. الإقناع: المصدر السابق، ص: 619.

[4]- ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، لسالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م، الجزء الأول، ص: 327. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 161. الكشف: المصدر السابق، ج1، ص: 384. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 369. الجامع: المصدر السابق، ج4، ص: 86.

[5]- الجامع: المصدر نفسه، ج4، ص: 86. جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 268.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال الرّاغب(ت 502هـ) في مادّة كفل:((الكفالة الضمان، تقول تكفّلت بكذا وكفّلته فلانا، وقرئ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء، أي كفّلها الله تعالى. ومن خفّف – أي الفاء – جعل الفعل لزكريا، والمعنى تضمّنها)).[3]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الفعل في قراءة التّشديد منسوبٌ إلى الله-عزّ وجلّ-، والفعل في قراءة التّخفيف منسوبٌ إلى زكريا–عليه السلام-، وعلى كلا القراءتين فالمعنى واحد، وهو القيام بالكفالة، وعلى هذا المعنى فالقراءتان متداخلتان، لأنّ التّشديد يرجع إلى التّخفيف، لأنّ الله-عزّ وجلّ- إذا كفّلها زكريا- عليه السلام- كفَلها زكريا–عليه السلام- بأمر الله-عزّ وجلّ-له، ولأنّ زكريا إذا كفلها فعن مشيئة الله -عزّ وجلّ-وقدرته وإرادته. هذا التداخل سببه التّشديد والتّخفيف، وواضح أنّ ثمة جامعا يجمع القراءتين، ويحقّق المقصد العام الذي هو القيام بالكفالة، والذي يندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة.

يقول الطبري(ت310هـ):((وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي: قراءة من قرأ وكفّلها مشددة الفاء ، بمعنى وكفلها الله زكريا، بمعنى وضمها الله إليه، لأنّ زكريا أيضا ضمّها إليه، بإيجاب الله له ضمّها إليه)).[4]

[1]-الكشف: المصدر السابق، ج1، ص: 385.
[2]-الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 34.
[3]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 717.
[4]- جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 241.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1]

دلّت الآية أنّه من المستبعد أن يأتمن الله -عزّ وجلّ- من أتاه الكتاب والحكمة والنّبوءة أن يقول للنّاس: اعبدوني من دون الله، ذلك أنّ أهل الكتاب كانوا يتعبّدون لأحبارهم ورهبانهم، فإنّ الأمين

[1]- سورة ءال عمران: الآية 79-80.

يقوم عادة بما كلّفه به المؤتمن له، وإنّما تكون دعوته إلى العلم بالله لأنّه أعلم النّاس بالله-عزّ وجلّ-، وأن يدعو النّاس أن يكونوا ربانيّين أي حكماء علماء حلماء[1].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿ تُعَلِّمُونَ﴾، فقرأ الكوفيون وابن عامر بضمّ التّاء وكسر اللاّم مشدداً، على أنّه مضارع «علم» مضعّف العين، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام مفتوحة مخففا، على أنّه مضارع «علم» مخفّف العين.[2] فما الفرق بين القراءتين؟ وما هو المقصد المستخرج من هذا الاختلاف ضمن الآية؟

قراءة التّشديد تدلّ على معنيين يسهمان في بناء المعنى المقصود، ومن هذين المعنيين ما هو خاص بها، ومنها ما هو مشترك بينها وبين قراءة التّخفيف.

فالمعنى الأوّل لقراءة التّشديد هو التّعليم، والمعنى الثّاني هو العلم، وحجّتهم في ذلك أنّ التّعلم إنّما هو من العلم؛ لأنّ كلّ معلم عالم بما يعلم وليس كلّ عالم بشيء معلما[3]، فالتّعليم أبلغ في المعنى.

يقول ابن عطيّة(ت 541هـ) في هذا المعنى: ((التعليم يتضمّن العلم، والعلم لا يتضمّن التعليم، فتجيء قراءة التّثقيل أبلغ في المدح))؛[4] لأنّه إذا علّم النّاس فلم يعمل بعلمه، ولم يتمسّك بدينه، كان مع استحقاق الذمّ بترك عمله بعلمه داخلا في جملة من وبّخ[5] بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[6] ثم إنّ ما قبله يدلّ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾، والرباني يقتضي أن يعلم ويُعلّم غيره[7]، وهو في قول علي وابن عباس:((العالم الذي يؤخذ عنه العلم))[8].

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 2، ص: 66.

[2]- السبعة: المصدر السابق، ص: 213. التيسير: المصدر السابق، ص:89. الإقناع: المصدر السابق، ص: 621.

[3]- . الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 60 -61. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 167. الكشف: المصدر السابق، ج1، ص: 393. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 226.

[4]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 322.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 61.

[6]- سورة البقرة: الآية 44.

[7]- الدر المصون: المصدر السابق، ج 3، ص: 277.

[8]- ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م، الجزء الثالث، ص: 102. البحر المحيط: المصدر السابق، ج2، ص: 529.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقيل:((يبعد أن يقال:كونوا حكماء علماء بتعليمكم، والحسن كونوا حكماء علماء بعلمكم))[1].

يفهم ممّا سبق أنّ لهذه القراءة معنيين، المعنى الأول هو التّعليم، والمعنى الثّاني هو العلم.

أمّا القراءة الثانية فجاءت بمعنى العلم والمعرفة، أي:« يعلّمكم الكتاب »،[2] وحجّتهم في ذلك أنّ ما بعده ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ولم يقل تدرّسون بالتّشديد، والمعنى يعلّمكم الكتاب ويدرّسكم فهو أليق بما بعده،[3] فكلّ من درس علِم، وليس كلّ من درس علّم،[4] إضافة إلى أنّ العالم العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه ممّا يكون داعيا إلى التّمسّك بعلمه، والعمل به ما يدركه العالمُ المعلّم في تعليمه، ألا ترى أنّه يتكرّر عليه في درسه ما يتكرّر في تعليمه مما يُنبّه ويُبصّر من اللّطائف التي يثيرها النّظر في حال الدرس؟[5]

أمّا المعنى الثاني لهذه القراءة فهو المعرفة، أي:« تعرفون الكتاب »[6].

وقد رجّح ابن عطية (ت 541هـ) قراءة التخفيف بحجّة تخفيف تدرسون، كما أنّ العلم هو الشرط لأن يكون الإنسان ربانيا وليس التعليم.[7]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ قراءة التّشديد أفادت معنى العلم والتّعليم، فالذي يُعلّم لا يكون إلا عالماً بما يُعلّم، فإذا علّم كان عالما، وإذا علّم النّاس ولم يعمل بعلمه استحقّ الذمّ، وهذا المعنى المستنبط من التعليم لم تشر إليه قراءة التّخفيف التي أفادت معنى العلم فقط ويراد به المعرفة. أليست كلّ قراءة تكمّل القراءة الأخرى وتزيدها قوّة في المعنى وتحقّق المعنى المقصود، الذي هو المقصد العام، وإن كان مقصد القراءتين مختلف لكنّهما يتداخلان ويكمّلان بعضهما بعضا في تحقيق المقصد المراد والذي يندرج تحت مقصد التعليم[8].

---

[1]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 142.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 167.

[3]- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 376.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 393.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 61.

[6]- إملاء ما من به الرحمان: المصدر السابق، ج1، ص: 141.

[7]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 322.

[8]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين بالصواب في ذلك: قراءة من قرأ بضمّ التاء وتشديد اللام، لأنّ الله عزّ وجلّ وصف القوم بأنّهم أهل عماد للناس في دينهم ودنياهم، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم وتربية)).[1]

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾[2]

يذمّ الله -عزّ وجلّ- في مطلع هذه الآية المشركين من تصرّفهم في شرع الله-عزّ وجلّ- بآرائهم الفاسدة، وتحليلهم ما حرّم الله، وتحريمهم ما أحلّ الله-عزّ وجلّ-، حيث قاموا بتأخير حرمة شهر إلى شهر آخر ليس له تلك الحرمة، ليواطئوا عدّة الأشهر الأربعة، وهذا فيه تغيير الحقائق وتغيير

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 328.

[2]- سورة التوبة: الآية 37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوقات العبادة، وهو زيادة في كفر وضلال المشركين، والله-عزّ وجلّ- لا يهدي القوم الكافرين المتلاعبين بالسنن الإلهية[1].

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿يُضَلُّ﴾، فقرأها حفص وحمزة والكسائي وخلف بضمّ الياء وفتح الضاد، على أنّه مضارع مبني للمفعول من «أضل» الرباعي، ويعقوب بضمّ الياء وكسر الضاد، وهو مضارع «أضل» أيضا، وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد، على أنّه مضارع «ضل» الثلاثي.[2] فما هي المعاني المستخلصة من هذا الاختلاف؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

إنّ القراءة الأولى قُرئت على ما لم يسم فاعله على معنى:« أنّ كبراءهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام، فيضلونهم بذلك »[3]. أي:« إنّ الكافرين يُضلُّون ». وقال بعضهم:« يضلّون على معنى إضلال الله، وقيل إضلال الشيطان »[4]. وحجّتهم قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾فجاء الكلام بترك تسمية الفاعل، فدلّ على أنّ ما تقدّمه من الفعل جرى بلفظه؛ إذ كان التزيين إضلالا في الحقيقة، فجعل ما قبل التزيين مشاكلا للفظه ليأتلف الكلام على نظام واحد.[5]

نخلص من هذه القراءة أنّ الكبراء والسادات من المشركين هم الذين يضلون غيرهم بحملهم إيّاهم على النسيء. فما المعنى التي تحمله القراءة الأخرى؟

أمّا القراءة الأخرى فقد أضافوا الفعل إلى الكفار؛ لأنّهم هم الضّالون في أنفسهم بذلك التأخير،[6] فهم الذين يؤخرون حرمة الشهر الحرام، وحجّتهم قوله تعالى:﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فجعل الفعل لهم دون غيرهم، فضلّوا هم بتأخيرهم شهرا، وبتقديمهم شهرا، فالفعلان مسندان إليهم،[7] وبالتالي فالضلال مسند إليهم، فهم ضالون في أنفسهم.[8]

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 4، ص: 150.

[2]- السبعة: المصدر السابق، ص:314. التيسير: المصدر السابق، ص:118. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:390.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 194. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 81.

[4]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 594.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 318-319.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 81.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 319. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 331.

[8]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 594.

والضلال هذا متجدّد مستمر بتجدد سببه وهو تحليله تارة وتحريمه تارة أخرى، ومواطأة عدّة ما حرّم الله-عزّ وجلّ-، وإسناد الضلال إليهم يقتضي أنّ النسئ كان عمله مطردا بين جميع المشركين من العرب.[1]

يقول النحاس(ت 338هـ) مبينا معنى القراءتين: ((فيَضل به الذين كفروا، إلا أنّهم يحسبونه فيضلون به، ويُضل به الذين كفروا بمعنى المحسوب لهم)).[2]

نفهم من هذه القراءة أنّ الضلال مسندٌ إلى الكفّار؛ لأنّهم هم الذين قاموا بفعل النسيء، فضلّوا في أنفسهم دون أن يضلوا غيرهم.

وعلى كلتا القراءتين فالضلال مسند للمشركين سواء كانوا ضالين في أنفسهم أو مضلّين غيرهم، ذلك أنّ المضلّ لغيره ضال بفعله إضلال غيره، كما أنّ الضالّ في نفسه الذي لم يضلَّه غيرُه لا يمتنع إسناد الضلال إليه[3].

ولعلّنا نلحظ أنّ الثّمرة من القراءتين واحدة وهو ضلال المشركين، وإنّما وقع الاختلاف في الفاعل، ففي القراءة الأولى أفادت أنّ الكبراء من المشركين هم الذين حملوا غيرهم على تأخير حرمة الشهر، فوقع الإضلال بالغير.

أمّا القراءة الثانية فأفادت أنّهم هم الضالون في أنفسهم ولم يضلّوا غيرهم لأنّهم هم الفاعلون، وعلى كلتا القراءتين الضلال مسند لهم جميعا والمضلّ هو الله-عزّ وجلّ-، فمآلهما واحد ولكن لكلّ حركة منهما دلالة منبَهةٌ على شيء. وبالتالي فالمقصد واحد من القراءتين، ويندرج تحت مقصد التشريع.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك: أن يقال: هما قراءتان مشهورتان، قد قرأت بكل واحدة القرّاء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى، لأنّ من أضله الله فهو ضال، ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب)).[4]

---

[1]- ينظر: التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج 10، ص: 192.

[2]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 367.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 194. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 594.

[4]- جامع البيان: المصدر السابق، ج10، ص: 129.

المثال الرابع: قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤﴾[1]

يخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ ﴾[2] أنّهم لو دخل عليهم الأعداء من كلّ جانب من جوانب المدينة، ثمّ سئلوا الفتنة لجاءوها ولفعلوها، وهي الدخول في الكفر، فهم لا يحافظون على إيمانهم ولا يستمسكون به، وهذا ذمٌ لهم في غاية الذمّ.[3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- سورة الأحزاب: الآية 14.

2- سورة الأحزاب: الآية 13.

3- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 390.

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿لَأَتَوۡهَا﴾، فقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﴿لَأَتَوۡهَا﴾، على أنّه فعل ماض، وقرأ الباقون بألف بعد الهمزة على أنّه فعل ماض أيضا.[1] فما المعاني التي يمكن أن نستجليها من هذا الخلاف؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

حملت قراءة نافع ومن معه عدّة معان فجاءت بمعنى لجاءوها وغشوها،[2] وجاءت بمعنى لفعلوها أي سئلوا فعل الفتنة ففعلوها[3]، والفتنة هاهنا هي الكفر وقيل ممايلة الكفار.[4]وجاءت بمعنى لقصدوها.[5]

هذه المعاني المستخلصة كلّها معان تفيد المقصود من الآية، ففعل المجيء والقصد ينتهي بفعل الفعل وهو إتيان الكفر أو ممايلة الكفار. فما هي المعاني التي تحملها القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا قراءة الباقين فجاءت بمعنى لأعطوها، أي لأعطوا الفتنة سائليها، فإطلاق فعل « أتوها » مشاكلة لفعل سئلوا.[6] لقوله تعالى:﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾. والمعنى لم يمتنعوا منها فالإعطاء مع السؤال حسن.[7] وإنّما اختيرت يقول صاحب الموضح(ت565هـ) هذه القراءة ليقابل السؤال بالإعطاء.[8] وكأنّها ردّ على السؤال ومشبهة له،[9] فالإعطاء مع السؤال حسن والمعنى: « لو قيل لهم كونوا على

---

[1]- التيسير: المصدر السابق، ص: 178. الإقناع: المصدر السابق، ص: 736. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:511.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج21، ص: 137. الدر المصون: المصدر السابق، ج9، ص: 103.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 472. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 575. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 475. معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 337.

[4]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 1031.

[5]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 220.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج21، ص: 288. جامع البيان: المصدر السابق، ج21، ص: 137.

[7]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 472. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 575. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 475.

[8]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 1032.

[9]- المحرر الوجيز : المصدر السابق، ص: 1504.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المسلمين مع المشركين لفعلوا ذلك ».[1] وهي عند النحاس (ت 338هـ) بمعنى لأعطوها من أنفسهم لأجابوا إليها؛[2] لأنّهم سئلوا ذلك.

يقول الفرّاء (ت207هـ) موجّها هذه القراءة: ((والذين قرؤوا بالمد يقولون لما وقع عليها السؤال وقع عليها الإعطاء، تقول سألتني حاجة فأعطيتكها وآتيتكها)).[3]

يقول صاحب الدر المصون [4](ت756هـ) عن القراءتين: ((وقراءة المدّ تستلزم قراءة القصر من غير عكس بهذا المعنى الخاص)).[5]

نخلص ممّا سبق أنّ المعاني المستنبطة من القراءتين متكاملة مع بعضها البعض فقراءة المد جاءت مكمّلة لقراءة القصر بمعنى إذا جاؤوها وقصدوها لم يمتنعوا عنها بل يعطوها، وإذا أعطوها فعلوها، وبالتالي نكون قد بدأنا في المعنى بقراءة القصر، ثمّ كمّلنا المعنى بقراءة المد وأنهينا بتجسيد الفعل الذي هو من معان قراءة القصر.

وبالتالي فالقراءتان متكاملتان متداخلتان تحقّقان المعنى المقصود من الآية، وكلّ المعاني المستنبطة منهما هي معان جزئية تندرج تحت مقصد المواعظ والتحذير، مع العلم أنّ الاختلاف الحاصل بينهما واقع في حركة الألف فقط.

يقول الطبري (ت310هـ): ((والمد أعجب القراءتين إلي لما ذكرت وإن كانت الأخرى جائزة)).[6]

.[6]))

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 472.

[2]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 280.

[3]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 337..

[4]- السمين الحلبي: هوأحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي السمين، شهاب الدين، نزيل القاهرة،كان ماهرا في النحو ولازم أباحيان إلى أن فاق أقرانه، توفي سنة 756هـ له:« تفسيرالقرآن الكريم وإعرابه » و« شرح التسهيل » و« شرح الشاطبية » ينظر: طبقات المفسرين، لأحمدبن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997م، ص:287

[5]- الدر المصون: المصدر السابق، ج9، ص: 103.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج21، ص: 137.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الخامس: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة عن جزاء المصّدقين والمصّدقات الذين ينفقون على أهل الحاجة والفقر بنية خالصة ابتغاء وجه الله – عزّ وجلّ- بأنّ عملهم يضاعف ولهم ثواب جزيل.[2]

1- سورة الحديد : الآية 18.

2- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 22.

وقد اختلف القرّاء في لفظة﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾، فقرأها ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد، اسم فاعل من «التصديق»، وقرأها الباقون بتشديد الصاد اسم فاعل من «تصدق»[1]. فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

من قرأ بالتخفيف يعني المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا الله ورسوله[2]؛ لأنّ الإيمان هو التصديق أي: الذين صدّقوا أي آمنوا وامتثلوا أمره فأقرضوا الله قرضا حسنا. [3]

وحجّة من خفّف هي أنّ التخفيف في قوله ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ أعمّ من التشديد، فالمصّدقين بالتشديد مقصورة على الصدقة وقراءة التخفيف تعمّ التصديق والصدقة لأنّ الصدقة من الإيمان فهو أوجب في باب المدح.[4]

يقول مكي (ت437هـ) موجّها هذه القراءة: ((وفي قراءة التخفيف قوّة أيضا من جهة المعنى فهو محمول على التصديق الذي هو الإيمان ثمّ ذكر بعده ﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾ فقد بيّن أنّهم جمعوا الحالتين الإيمان والصدقة))[5].

وقد رجّح صاحب الدر المصون(ت756هـ) قراءة التخفيف موجّها ذلك بأنّ الإقراض مغن عن ذكر الصدقة.[6]

يقول ابن أبي مريم (ت565هـ) موجّها هذه القراءة بمعنى التصديق والإيمان بالله – عزّ وجلّ- بقوله: ((والقراءة الأولى أقوى بتخفيف الصاد؛ لأنّه لما عطف عليه بالإقراض كان الأحسن أن

[1]- التيسير: المصدر السابق، ص: 208. الإقناع: المصدر السابق، ص: 781.

[2]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 135. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج5، ص: 126.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج27، ص: 396.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 701. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 529.

[5]- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 410.

[6]- الدر المصون: المصدر السابق، ج10، ص: 248.

يكون الأوّل غير الإقراض ليفيد كلّ واحد من المعطوف والمعطوف عليه فائدة، والتصدق هو الإقراض بعينه)).[1]

نخلص من هذه القراءة أنّها أفادت معنى التصديق بالله - عزّ وجلّ- ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم- والتصديق هو الإيمان، والإيمان بالله – عزّ وجلّ- يستلزم فعل الصدقة، وفعل الصدقة من الإيمان، وعليه فالقراءة أفادت معنى التصديق والصدقة وهي في مقام المدح، وإن كان معنى التصديق أقوى وأوضح، فماذا تفيد القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا قراءة التشديد فأرادوا المتصدقين والمتصدقات، وحجّتهم في حرف أبي﴿ إنّ المتصدّقين﴾ بتاء ظاهرة فهي حجّة لمن قرأ بالتشديد.[2] ويدعّم هذه الحجّة ابن عاشور (ت1393هـ) إذ يبيّن أنّ أصل اللفظة ﴿المتصدقين﴾ فأدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادا لقرب مخرجيهما تطلبا لخفة الإدغام فقوله ﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾ من عطف المرادف في المعنى لما في المعطوف من تشبيه فعلهم بقرض الله تنويها بالصدقات[3] .

يقول مكي (ت437هـ) موجّها هذه القراءة بأنّها أعمّ من قراءة التخفيف بقوله: ((وفي القراءة بالتشديد قوّة من جهة المعنى، وذلك أن كلّ من تصدق لله فهو مؤمن، وليس كلّ من آمن يتصدّق لله، فالقراءة بالتشديد أعمّ لأنّها تجمع الإيمان والصدقة))[4]

يفهم من كلامه أنّ كل من تصدّق فهو مؤمن، وليس كل من آمن يتصدّق، وعليه فالقراءة تجمع بين الإيمان والصدقة.

---

[1]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1251.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 701. معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج3، ص: 135. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج5، ص: 126.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج27، ص: 395-396.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 410.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثمّ يواصل حديثه مبيّنا معنى القراءتين من خلال كلمة﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾ بأنّها تأكيد مكرّر؛ لأنّ التشديد يدلّ على الصدقة وهي القرض فالقراءة فيها تكرير ولا نجد هذا التكرير في قراءة التخفيف؛ لأنّ ما بعده من ذكر القرض يدلّ على الإيمان والصدقة، فذلك فائدتان،والتشديد وما بعده يدل على فائدة واحدة وهي الصدقة لا غير.[1]

نخلص من كلام مكي(ت437هـ) أنّ قراءة التشديد أفادت معنى الصدقة أي المتصدقين والمتصدقات، وقراءة التخفيف أفادت معنى الإيمان والصدقة، وعليه فالقراءتين أفادتا معنيين مختلفين متكاملين كلّ يكمّل الآخر، فقراءة التخفيف تفيد الإيمان بالله – عزّ وجلّ- ولولاه لا يستطيع الإنسان أن يتصدّق، فالإيمان هو الداعي للصدقة، وإن كان هذا المعنى جلي وواضح في القراءة الأولى لأنّه جاء بعدها ﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾، أمّا القراءة الثانية فحملت معنى الصدقة؛ لأنّ ما جاء بعدها من القرض، والصدقة من صفات المؤمنين.

وهذان المعنيان المستنبطان من القراءتين هما معان جزئية تساهمان في بيان المقصد العام من الآية الذي هو الإيمان والصدقة، ويندرج هذا الأخير تحت مقصد التبشير.

يقول الطبري (ت310هـ): ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنّهما قراءتان معروفتان، صحيح معنى كلّ واحدة منهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ))[2]

المثال السادس: قوله تعالى:

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾[3]

---

[1]- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه، ج2، ص: 410.

[2]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، ج22، ص: 412.

[3]- سورة الحديد: الآية 23.

يُعلمنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة بتقدّم علمه وسبق كتابه للأشياء قبل حدوثها، وتقديره للكائنات قبل وجودها، لنعلم أنّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكون ليصيبنا، فلا نأس على ما فاتنا ولا نفرح بما جاءنا. [1]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾، فقرأها أبو عمرو وحده بهمزة واحدة، وقرأها الباقون بمد بعد الهمزة[2]. فما الفرق بين القراءتين ؟ وما المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من قرأ بالقصر فالمعنى جاءكم، فكما جاء الفعل ﴿فَاتَكُمْ﴾ جاء الفعل للآتي في قوله ﴿أتاكم﴾[3]، فهو في مقابلة « ولا تأسوا على ما فاتكم » فقد قابل الفوات بالإتيان.[4] وهو محسن الطباق.[5]

والوجه أنّ أتى بمعنى « جاء » والمعنى: « لا تفرحوا بالذي جاءكم من الخير »[6]، وهي عند ابن عاشور(ت1393هـ) إذا حصل.[7]

نخلص من هذه القراءة أنّها أفادت معنى «جاءكم » ومعنى آخر هو « إذا حصل لكم »، والمعنيان متقاربان؛ لأنّه إذا جاء الخير يكون قد حصل لا محالة فيتنعّم به، فماذا تفيد القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا قراءة المدّ فجاءت بمعنى أعطاكم،[8] والمعنى : « لا تفرحوا بما آتاكم الله »[9]، أي ما جعله آتيا آتيا لكم أي حاصلا عندكم، والإتيان هنا أصله مجاز وغلب استعماله حتى ساوى الحقيقة، وفيه

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 27.

[2]- التيسير: المصدر السابق، ص: 208. الإقناع: المصدر السابق، ص: 781.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 702.

[4]- الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1251.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج27، ص: 412-413.

[6]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 530. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1251.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج27، ص: 412-413.

[8]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 702.

[9]- شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 530. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1251.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إدماج المنّة مع الموعظة تذكيرا بأنّ الخيرات من فضل الله –عزّ وجلّ-[1]، والفرح المنفي هو الشديد منه منه البالغ حدّ البطر،[2] والمقصود من هذا التنبيه على أنّ المفرحات صائرة إلى زوال وأنّ زوالها مصيبة.[3]

يقول ابن عاشور (ت1393هـ): ((وصلة الموصول بما آتاكم مشعرة بأنّه نعمة نافعة وفيه تنبيه على أنّ مقام المؤمن من الأدب بعد حلول المصيبة وعند انهيال الرغيبة هو أن لا يحزن على ما فات ولا يبطر بما ناله من خيرات وليس معنى ذلك أن يترك السعي لنوال الخير واتقاء الشر قائلا : إن الله كتب الأمور كلّها في الأزل لأنّ هذا إقدام على إفساد ما فطر عليه الناس وأقام عليه نظام العالم))[4].

يفهم من هذه القراءة أنّها أفادت معنى « أعطاكم » وفيه معنى المنة والتذكير أنّ الخير من الله تعالى لا من غيره.

وعليه يمكن أن نستنتج من هذا الاختلاف ثلاثة معاني كلّ معنى يكمّل الآخر، وتفصيل ذلك أنّه إذا جاء الخير فالله – عزّ وجل- هو المعطي، وإذا أعطاه يحصل عند الإنسان وينتفع به، وإذا انتفع به لا يجب عليه أن يفرح بما أوتي فهو آيل إلى الزوال، كما لا يجب عليه أن يحزن على مافات، وعلى كلتا القراءتين تنبيه للمؤمن لكي يتأدّب مع الله – عزّ وجلّ – في الحالين، وهو مقصد عام يندرج تحت مقصد تهذيب الأخلاق.

يقول ابن كثير(ت774هـ)[5] في تفسيره للقراءتين: ((وكلاهما متلازمان: أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإنّ ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنّما عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا، تفخرون بها على الناس)).[1]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج27، ص: 413.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج27، ص: 411.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج27، ص: 412.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

[5]- ابن كثير: هوإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي، أبو الفداء، الفقيه الشافعي، الحافظ، ولدفي سنة سبعمائة، وتوفي سنة774هـ بدمشق. من كتبه:« التاريخ الكبير » و« التفسيرالكبير ». ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي: المصدر السابق، ص: 260.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد اختار الطبري (ت310هـ) قراءة المد في قوله: ((والصواب في ذلك أنّهما قراءتان صحيح معناهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كنت أختار مدّ الألف لكثرة قارئي ذلك كذلك)).[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الأفعال التي يرجع الاختلاف فيها إلى نوع الاشتقاق

من خلال تتبّعي لقراءات القرآن وجدت هذه الأمثلة التي هي بين أيديكم والتي قرئت بوجهين مختلفين، وكان الخلاف فيها يرجع إلى نوع الاشتقاق، فما المعاني والدلالات التي يمكن اقتباسها من هذا الاختلاف؟

---

[1]- تفسير القرآن: المصدر السابق، ج8، ص: 27.

[2]-جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، ج22، ص: 422.

يقول ابن الأنباري(ت577هـ)[1]: ((الأصل في كلّ حرف أن يكون دالا على ما وضع له في الأصل))[2] فهل نجد حقيقة هذا القول في هذه الأمثلة القرآنية؟

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾[3]

تضمّنت هذه الآية الإجابة عن حكم شرب الخمر ولعب الميسر، حيث بيّنت أنّ كلا منهما إذا كان في ظاهره منفعة للنّاس إلا أنّ إثمهما أكبر من نفعهما. وقد اختلف القرأة في كلمة كبير، فقرأ حمزة والكسائي بالثاء، وقرأ الباقون بالباء.[4] فما هو الفرق الحاصل بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف ضمن الآية ؟

يقولُ ابن عاشور(ت1393هـ) في تحريره: ((وقرأه حمزة والكسائي وابن كثير بالثاء المثلثة، وهو مجاز استعير وصف الكثير للشديد تشبيها لقوّة الكيفية بوفرة العدد)).[5]

يُفهم من قول ابن عاشور(ت 1393هـ) أنّ من قرأ بالثاء جعله من الكثرة حملا على المعنى، وذلك أنّ الخمر يترتّب على شربها آثام كثيرة، من تشاجر يجرّ إلى البغضاء والصدّ عن سبيل الله -عزّ وجلّ-وعن الصلاة، وفيها ذهاب العقل والتعرض للسخرية وذهاب المال[6]، والخيانة واللغط وغير ذلك، فوجب أن توصف بالكثرة.[7]

إضافة إلى ما يترتّب على تعاطيهما من توالي العقاب وتضعيفه، كما يمكن أن تكون هذه الكثرة باعتبار من يزاولها من لدن كانت عنبا إلى أن شربت فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار.[8]

---

[1]- ابن الأنباري: هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الأنباري، أبو البركات الملقب بالكمال النحوي، ولد سنة 513هـ، كان عالما زاهدا، سكن بغداد وتوفي بها سنة 577هـ . ينظر: إنباه الرواة: المصدر السابق، ج2، ص 169.

[2]- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق ودراسة: د.جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 502.

[3]- سورة البقرة: الآية 219.

[4]- السبعة: المصدر السابق، ص: 182. التيسير: المصدر السابق، ص:80. الإقناع: المصدر السابق، ص: 608.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج2، ص: 344.

[6]- ينظر: التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج 2، ص: 344.

[7]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 340.

[8]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج 2، ص: 167. الدر المصون: المصدر السابق، ج2، ص: 408.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[1]، فذكر أشياء من الإثم، كما أنّ الإثم واحد يراد به الآثام، فوحّد في اللفظ ومعناه الجمع.[2] وأيضا فإنّ وصف الإثم بالكثرة أبلغ من وصفه بالكبر[3]، وقد قال تعالى:﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾[4] وقد عُودل به ههنا المنافع التي تتّصف بالكثرة، لكونها جمعا[5] في قوله:﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾. وهو جيد في المعنى، كما جاء عند صاحب الإملاء؛ لأنّ الكثرة كبر، والكثير كبير، كما أنّ الصغير يسير حقير.[6]

ممّا تقدّم نخلص أنّ قراءة ﴿كثير﴾ أفادت الكثرة باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين، وما يترتّب من شرب الخمر من آثام.

بيد أنّ قراءة﴿كَبِيرٞ﴾ وصفت هذه الآثام الكثيرة بأنّها كبيرة، من الكبر على معنى العظم، أي:« فيهما إثم عظيم »، ويقوّي ذلك إجماعهم على قوله:﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾، من العظم، يقول ابن عاشور(ت 1393هـ): ((وإطلاق الكبير على الإثم مجاز، لأنّه ليس من الأجسام، فالمراد من الكبير: الشديد في نوعه)).[7]

وقد أجمعوا على أنّ شرب الخمر من الكبائر، فوجب أن يوصف بالكبر، فالمبالغة في تعظيم الذنب، إنّما تكون بالكبر لا بالكثرة[8]. قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾[9].

---

[1]- سورة المائدة: الآية 91.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق،ص: 133. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 197.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 340.

[4]- سورة الفرقان: الآية 14.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 314. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 197. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 325.

[6]- إملاء ما من به الرحمان: المصدر السابق، ج3، ص: 93.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج2، ص: 343.

[8]- ينظر: قطف الأزهار في كشف الأزهار، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط.ت، الجزء الأول، ص: 455. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 340.

﴾[1]. كما أنّ الله وصف الإثم بالعظم في قوله:﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾[2] فكما وُصف بالعظم ينبغي أن يوصف بالكبر، والكبر مقابل للعظم في المعنى.[3] كذلك قالوا في الذنب الذي هو غير موبق صغير، ولم يقولوا فيه قليل، فصغير مقابل الكبير.[4]

وفي معنى الكثرة والكبر يقول مكي(ت437هـ) في كتابه:((ولمعنى الكثرة مزية على معنى الكبر، لأنّ الكثرة تستوعب معنى العظم ومعنى الكثرة، ولا يستوعب العظم معنى الكثرة لأنّ الإثم يكون عظيما، ولا يكون كثيرا إلاّ وهو عظيم، وتقول: كلّ كثيرٍ كبير، ولا تقول: كلُّ كبير كثير. فالقراءة بالثاء أعمّ، لتضمّنها معنى الكثرة والكبر)).[5]

نخلص ممّا سبق أنّ القراءتين متداخلتان متكاملتــان، فالقراءة الأولى أفادت الكثرة والقـراءة الثانية أفادت وصف هذه الكثرة، فهي مكمّلة لها في بيان المعاني المقصودة من هذه اللفظة القرآنية التي تعتبر مقاصد جزئية أفادت مقصدا عاما وهو حكم شرب الخمر، والذي يندرج تحت مقصد التشريع، والجدير بالذكر أنّ الفرق بين القراءتين وقوع حرف مكان حرف فحسب.

يقول الطبري (ت310هـ): ((وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالباء لإجماع جميعهم على قوله﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾وقراءته بالباء، وفي ذلك دلالة بينة على أنّ الذي وصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر، لا الكثرة في العدد، ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة لقيل:﴿ وإثمهما أكثر من نفعهما﴾)).[6]

المثال الثاني: قوله تعالى:

---

[1]- سورة الشورى: الآية 37.

[2]- سورة النساء: الآية 48.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 313. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 340.

[4]- الحجة: المصدر نفسه، ج2، ص: 313. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه، ج1، ص: 340. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 197.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج2، ص: 360.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ ٩٤﴾[1]

تشيرُ الآية إلى ضرورة التثبّت في الأحكام وعدم التّسرّع في أمر القتل، إذ يجب على كلّ من سار إلى جهاد الأعداء أن يتمهّل ويتبيّن حقيقة من يُقاتل أهو مسلمٌ أم كافر، مسالمٌ أم محارب، وأنّه يكتفي في الحكم على الشخص بالإسلام بالنطق بالشهادتين في الظاهر، دون الكشف عن السرائر[2].

يقول ابن عاشور (ت1393هـ) عن هذه الآية أنّها استئناف ابتدائي خوطب به المؤمنون، استقصاء للتحذير من قتل المؤمن بذكر أحوال قد يتساهل فيها وتعرض فيها شبه[3]

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، فقرأ حمزة والكسائي بالثاء، وقرأ الباقون بالياء. [4]
فما الفرق بين القراءتين؟ وما هو المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

نودّ الآن أن نستروح ظلال الفعلين: التثبّت والتبيّن؛ لنتعرّف الفرق بينهما، فكلٌّ من القراءتين يُكمّل بعضُهما بعضًا في تأدية المعنى المقصود.

وجهُ من قرأ بالثاء أنّه لما كان معنى الآية إلزام للمؤمنين على التأني وعدم التسرّع في القتل دون تثبّت وتبيّن أتى بالتثبّت، لأنّه خلاف الإقدام والعجلة[5].

يقول الفارسي(ت377هـ):((التثبت هو خلاف الإقدام والمراد التأني. والتثبّت أشدّ اختصاصًا بهذا الموضع، يدلّ عليه قوله تعالى:﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾[6]أي: أشد وقعا لهم عما وعظوا به بأن لا يقدموا عليه))[1]. أي « تثبتوا واطلبوا بيان الأمور فلا تعجلوا فتتبعوا الخواطر الخاطفة الخاطئة »[2].

---

[1]- سورة النساء: الآية 94.
[2]- ينظر: التفسير المنير: المصدر السابق، ج 5، ص: 217.
[3]- التحرير والتنوير : المصدر السابق، ج5، ص: 166.
[4]- السبعة: المصدر السابق، ص: 236. التيسير: المصدر السابق، ص:97. الإقناع: المصدر السابق، ص: 631.
[5]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 433. جامع البيان: المصدر السابق، ج5، ص: 225.
[6]- سورة النساء: الآية 66.

وممّا يقوّي ذلك قولهم: « تثبّت في أمرك »، وليس المقصود في هذا المعنى: « تبيّن » وكأنّ المعنى: « فتثبّتوا في جهادكم ولا تعجلوا على من ألقى إليكم السّلم ».[3] فالتثبّت هنا أفسح من التبيّن، لأنّ كل من أراد أن يتثبّت قدر على ذلك، وليس كلّ من أراد أن يتبيّن قدر على ذلك لأنّه قد يتبيّن، ولا يتبيّن له ما أراد بيانه.[4] وهذا المعنى يحقّق المقصود من الآية.

يقول ابن عاشور(ت 1393هـ): ((بمعنى اطلبوا الثابت، أي الذي لا يتبدّل ولا يحتمل نقيض ما بدا لكم)).[5]

ووجهُ من قرأ بالياء جعلوه من البيان، ومعناه قريبٌ من المعنى الأول، والتبيّن: شدّة طلب البيان، أي التأمّل القويّ، حسبما تقتضيه صيغة التفعّل، فلمّا كان معنى الآية:« افحصوا واكشفوا عن حال من لقيتموه قبل أن تقتلوه، حتى تتبيّن لكم الحقيقة حُمل على التبيّن »،[6] فالتبيّن يتضمّن ثباتاً مع حصول علمٍ ومعرفةٍ[7] كما ذهب إليه ابن أبي مريم(ت565هـ) في موضحه. ودخول الفاء على فعل « تبينوا » لما في « إذا » من تضمّن معنى الاشتراط غالبا. [8]

وقد ذهب الراغب إلى أنّ البيان هو الكشف عن الشيء والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة.[9]

وقد جاء أنّ التبيّن من الله-عزّ وجلّ-، والعجلة من الشيطان، قال النبيّ -صلىّ الله عليه وسلّم-:((إنّ التبيّن من الله والعجلة من الشيطان فتبيّنوا))[1] فمقابلة التبيّن بالعجلة تدلّ على تقاربهما.[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 174.

[2]-التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج5، ص: 167.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 207. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 255. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 433.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق،ج1، ص: 433.

[5]- التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج 5، ص: 167.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 207. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص:434.

[7] الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 433.

[8]- التحرير و التنوير: المصدر نفسه، ج 5، ص: 167.

[9]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 157.

وحجّتهم أيضا أنّ التبيّن أعمّ من التثبّت وأوكد؛ فالإنسان قد يتثبّت ولا يتبيّن؛ لأنّ كلّ من تبيّن أمرا فليس يتبيّنه إلا بعد تثبّت، لابدّ من التثبّت مع التبيّن، ففي معنى التبيّن معنى التثبّت، وليس كلّ من تثبّت في أمر تبيّنه، قد يتثبّت ولا يتبيّن له الأمر، فالتبيّن أعمّ من التثبّت في المعنى لاشتماله على التثبّت.[3]

يقول النحاس(ت338هـ):((وتبينوا في هذا أوكد لأنّ الإنسان قد يتثبّت ولا يتبيّن))[4]. هذه هي رؤيته فقد يتثبت في الأمر ولكن لا يُتبين.

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ القراءتين وإن اختلفتا لفظاً فقد اجتمعتا معنى، لأنّ المتثبّت متبيّن، والمتبيّن متثبّت، فكلا المعنيين قريبٌ من الآخر، ممّا يدلّ على أنّ كلّ قراءة تكمّل الأخرى وتزيدها قوّة في المعنى وتحقّق المعنى المقصود، الذي يعتبر المقصد العام من هذا الاختلاف ضمن الآية ألا وهو التثبّت في الأحكام وعدم التّسرّع في أمر القتل، وهو بلا شك يدخل تحت مقصد التشريع.

يقول الطبري(ت310هـ): ((واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، فقرأ ذلك عامة قرّاء المكيين والمدنيين، وبعض الكوفيين والبصريين﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ بالباء والنون من التبين، بمعنى التأني والنظر والكشف عنه، حتى يتضح، وقرأ ذلك عُظْم قرّاء الكوفيين ﴿فتثبتوا﴾ بمعنى التثبّت الذي هو خلاف العجلة، والقول عندنا في ذلك أنّهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ، لأنّ المتبث متبين، والمتبين متبث، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك)).[5]

المطلب الثالث: وقوع الكلمة بين الماضي المبني للفاعل والمبني للمفعول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر، تحقيق: عبد الله بن ثابت الحميري، طبعة مكتبة الرشد، د.ط، 2006م، الجزء الثاني، ص2، رقم: 226. وهو ضعيف لإرساله. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992م، الجزء الرابع عشر، ص:1267، رقم:7158.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 174. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 255. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 434.

[3]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 201. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 434.

[4]- إعراب القرآن: المصدر نفسه، ص: 201.

[5]- جامع البيان: المصدر السابق، ج5، ص: 225.

في هذا المطلب مثال واحد لكلمة قرآنية قرئت مرّة على أنها « ماضي مبني للفاعل » ومرّة أخرى على أنّها « مبني للمفعول »، وسوف نحاول أن نستجلي المعاني والمقاصد المنشودة من هذا الاختلاف مبرزين بذلك الإعجاز البياني في اللفظة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾[1]

يخبرنا الله – عزّ وجلّ- في هذه الآية أنّ تزيين الشيطان وإملائه للباطل هو سبب الارتداد ومفارقة الإيمان والرجوع إلى الكفر.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿وَأَمۡلَىٰ﴾، فقرأها أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح التحتية وقرأه يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وسكون التحتية، وقرأها الباقون بفتح الهمزة[3]. فما المعاني التي يمكن أن نستجليها من هذا الاختلاف؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

وقبل أن نخوض في ذكر المعاني المستخرجة من القراءات الثلاث نعرّج عن مفهوم التسويل والإملاء المذكورين في الآية، من خلال تعريف ابن عاشور (ت1393هـ) لهما فيقول عن التسويل أنّه: ((تسهيل الأمر الذي يستشعر منه صعوبة أو ضر وتزيين ما ليس بحسن .

والإملاء المد والتمديد في الزمان، ويطلق على الإبقاء على الشيء كثيرا أي أراهم الإرتداد حسنا دائما كما في قوله ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾[4] أي أنّ ارتدادهم من عمل الشيطان))[5]. وفيما يلي دراسة للاختلاف الحاصل في اللفظة الأخيرة وما يمكن أن تحمله تحمله من معان يمكن أن نضيفها لمقاصد الله – عزّ وجلّ-.

---

[1]- سورة محمد: الآية 25.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج7، ص: 320.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 201. الإقناع: المصدر السابق، ص: 768. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص:559.

[4]- سورة طه: الآية 120.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج26، ص: 116.

من قرأ بضمّ الألف وكسر اللام وفتح الياء فهي على ما لم يسمّ فاعله، وحجّته أنّ القارئ إذا قرأ بقراءة الفتح جاز له أن يقع في الوهم أنّ الإملاء مسند للشيطان لأنّ ذكره قد تقدّم فقرأ ﴿وأُملي﴾ ليزيل التوهم فالإملاء إلى الله لا إلى الشيطان[1]. وهي قراءة حسنة للفصل بين فعل الشيطان وفعل الله.[2]

أمّا قراءة يعقوب فجاءت على أنّه مسند إلى المتكلّم فالضمير عائد إلى الله –عزّ وجلّ- أي: « الشيطان سوّل لهم وأنا أملي لهم » فهي على الإخبار عن النفس -، والمخبر هو الله -عزّ وجلّ-، فيكون الكلام وعيدا أي« الله – عزّ وجلّ- يؤخّرهم قليلا ثمّ يعاقبهم » .[3]

في حين قراءة الجمهور جاءت بصيغة الماضي والفعل فيها للشيطان الذي زيّن لهم وأملى لهم أي: « منّاهم طول البقاء في الدنيا »[4]، وقال آخرون: « أملى الله لهم »، فالفعل مسند إلى الله – عزّ وجلّ- وإن لم يجْرِ له ذكر، فقوله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾فالتسويل راجع إلى الشيطان والإملاء إلى الله،[5] فيكون المعنى: « الشيطان سوّل ووسوس فبعدت أمالهم والله أملى أي: أمهلهم ووسّع في عمرهم حتى ماتوا على كفرهم ».[6]

ممّا سبق ومن مجموع هذه القراءات الثلاث نخلص إلى أنّ كلّ قراءة أفادت معنى خاصا بها، فقراءة أبي عمرو أفادت أنّ الإملاء من الله– عزّ وجلّ- وأزالت التوهم الحاصل في قراءة الفتح وهو أن يكون الإملاء من الشيطان، فجاءت فاصلة بين فعل الشيطان وفعل الله – عزّ وجلّ-، وقراءة يعقوب أفادت نفس المعنى إلا أنّها حملت معنى الوعيد على رأي ابن عاشور(ت1393هـ)، أمّا قراءة الجمهور فأفادت أنّ الإملاء من الشيطان كما يمكن أن يكون من الله –عزّ وجلّ-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- ينظر: حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 668.

[2]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 376.

[3]- ينظر: التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج26، ص: 116. الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1186.

[4]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 387.

[5]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 669.

[6]- ينظر: الموضح: المصدر السابق، ج3، ص: 1186. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 379.

وعليه فقراءة أبي عمرو جاءت لتزيل الإبهام الحاصل في قراءة الفتح، وإن كان يصحّ أن يكون فعل الإملاء وارد من الشيطان، وقراءة يعقوب أفادت نفس المعنى لكن جاء بصيغة التهديد والوعيد، أمّا قراءة الجمهور فأفادت أنّ الفعل من الشيطان ومن الله – عزّ وجلّ- فكلّ قراءة جاءت مكمّلة ومتمّمة للأخرى محققّة بذلك المقصود من الآية، التي تدخل تحت نوع مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

والجدير بالذكر أنّ الاختلاف الحاصل بينهما هو في الحركات فقط.

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى هذه القراءات بالصواب التي عليها عامة قرأة الحجاز والكوفة، من فتح الألف في ذلك؛ لأنّها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار، وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه)).[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- جامع البيان: ت: عبد المحسن التركي، المصدر السابق، ج 21، ص: 219.

المطلب الرابع: بينَ اسمِ الفَاعل واسم المفعول.

سوف نعرض في هذا المطلب أحد أوجه الاختلاف الواردة بين القراءات القرآنية، والذي يقع في الكلمات التي تقع مرّة على أنّها « اسم فاعل » ومرّة على أنّها « اسم مفعول »، وسوف نحاول أن نستجلي البيان القرآني من كلّ قراءة.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾[1]

دلّت هذه الآيات على وعد الله -عزّ وجلّ- للمسلمين في غزوة بدر إن هم صبروا واتّقوا بزيادة الإمداد إلى خمسة آلاف من الملائكة مسوّمين. وقد اختلف القرّاء في لفظة﴿مُسَوِّمِينَ﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وفتح الباقون.[2] فما المعاني التي تحملها القراءتان؟ وما المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

أمّا قراءة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو، أي معلّمين[3] أضافوا الفعل إلى الملائكة، فأخبر عنهم أنّهم سوّموا الخيل[4]، والسومة – بضمّ السين- وهي السمة أي: « العلامة من صوف أو نحوه »، وإنّما يجعلون لها ذلك تنويها بكرمها وحسن بلائها في الحرب[5]، وحجّتهم أيضا أنّه روي أنّ النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال يوم بدر:((سوّموا فأنّ الملائكة قد سوّمت))[6]، فأضاف الفعل إلى الملائكة، والمعنى:« أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم عن بعض »، فدلّ ذلك على وجوب كسر الواو.[7] ووصف الملائكة بذلك كناية على كونهم شدادا.[8] دلّ ذلك على ما تحويه كلمة السومة من

---

[1]- سورة ءال عمران: الآية 125.

[2]- السبعة: المصدر السابق، ص: 216. التيسير: المصدر السابق، ص:90. الإقناع: المصدر السابق، ص: 622.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 173. مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 438.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 394.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج3، ص: 182.

[6]- المغازي، لأبي عبد الله محمد بن واقد، تحقيق: مارسدن جونس، لبنان- بيروت، عالم الكتب، د.ط.ت، ص:76.

[7]-. الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 77. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 173. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 231. معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 272.

[8]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج4، ص: 76.

معنى، فهي تطلق على العلامة التي يجعلها البطل لنفسه في الحرب من صوف أو ريش ملوّن يجعلها على رأسه أو على رأس فرسه، يرمز بها إلى أنّه لا يتقي أن يعرفه أعداؤه، فيسددوا إليه سهامهم، أو يحملون عليه بسيوفهم، فهو يرمز بها إلى أنّه واثق بحمايته نفسه بشجاعته، وصدق لقائه، وأنّه لا يعبأ بغيره من العدوّ[1]، فكانت الملائكة كذلك في الحرب.

وأمّا قراءة ﴿مُسَوَّمِينَ﴾ بفتح الواو فلها معنيين، المعنى الأول: معلّمين، والمعنى الثاني: مرسلين، وتوضيح ذلك أنّ المعنى الأوّل يشترك في المعنى مع القراءة الأولى، إلا أنّ الفعل لم يضف للملائكة، وإنّما أضيف إلى غيرهم، على معنى أنّ غيرهم من الملائكة سوّمهم، فهم معلّمون من الله [2].

أمّا المعنى الثاني فمن قولك: « سوّمت الخيل: أي أرسلتها »، وقولهم: « سوّمت السائمة،أي أرسلتها »،[3] فالمعنى على هذا: « ويمددكم ربّكم بألف من الملائكة مرسلين »، ذكر هذا المعنى المهدوي ويقوّي هذه القراءة أيضاً أنّ ما قبلها ﴿ منزّلين ﴾[4] .

يتبيّن لنا ممّا تقدم أنّ قراءة الكسر أفادت معنى: معلّمين بعلامة، وأنّ الفعل كان من طرف الملائكة، أمّا قراءة الفتح فأفادت معنيين، المعنى الأول يشترك مع معنى القراءة الأولى، ويختلف معها في الفعل، لأنّ الله هو المسوّم وليست الملائكة، ومردّ الخلاف يرجع إلى الصيغة إذ القراءة الأولى اسم فاعل والثانية اسم مفعول، والمعنى الثاني هو الإرسال فهم مرسلون، وهم فوق ذلك شداد أقوياء بالسومة التي عرفوا بها.

وهكذا نخلص إلى أنّ القراءتين يكمّل بعضهما بعضا في التّعبير عن معنى التّسويم، فهم معلّمون وتعليمهم هذا تنويهًا لحسن بلائهم في الحرب، ومرسلون ولا يكون الإرسال إلا بعد أن يكونوا معلّمين لتحقيق النصرة، مع توفّر الشدة والقوة التي وصفوا بها، فكلّ هذه المعاني من مقاصد الآية التي جاءت تحت مقصد التبشير. هذا مع العلم أنّ الفرق بينهما كسر الواو وفتحها.

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج4، ص: 76.

[2]- روح المعاني: المصدر السابق، ج4، ص 46. جامع البيان: المصدر السابق، ج4، ص: 82. مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 438.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 77. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 398.شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 231. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 382.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 173. شرح الهداية: المصدر نفسه، ج1، ص: 232.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ بكسر الواو، لتظاهر الأخبار عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بأنّ الملائكة هي التي سوّمت أنفسها من غير إضافة تسويمها إلى الله -عزّ وجلّ- أو إلى غيره من خلقه)).[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج4، ص: 82.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾[1]

يصف الله - عزّ وجلّ- في هذه الآية الكريمة الجنّة التي وعد بها المتقون بأنّ فيها أنهار من ماء غير متغيّر، وأنهار من لبن في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وأنهار من خمر ليست كريهة الطعم و الرائحة، وأنهار من عسل في غاية الصفاء، ولهم فيها من كلّ الثمرات.[2]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) مفسرا هذه الآية بأنّها: ((استئناف بياني لأنّ ما جرى من ذكر الجنة في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾[3] ممّا يشترف السامع إلى تفصيل بعض صفاتها وإذ قد ذكر أنّها تجري من تحتها الأنهار موهم السامع أنّها أنهار المياه؛ لأنّ جري الأنهار أكمل محاسن الجنات المرغوب فيها)).[4]

ثمّ يواصل حديثه مبينا سبب إطلاق لفظة الأنهار على الماء واللبن والخمر بقوله: ((فأما إطلاق الأنهار على أنهار الماء فهو حقيقة، وأما إطلاق الأنهار على ما هو من لبن وخمر وعسل فذلك على طريقة التشبيه البليغ أي مماثلة للأنهار، فيجوز أن تكون المماثلة تامة في أنّها كالأنهار مستبحرة في أخاديد من أرض الجنة، فإنّ أحوال الآخرة خارقة للعادة المعروفة في الدنيا فإن مرأى الأنهار من هذه الأصناف مرأى مبهج، ويجوز أن تكون مماثلة هذه الأصناف للأنهار في بعض صفات الأنهار وهي الاستبحار)).[5]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة محمد: الآية 15.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 7، ص: 312-313.

[3]- سورة محمد: الآية 12.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج26، ص: 94.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج26، ص: 96.

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿ءَاسِنٍ﴾، فقرأ ابن كثير بدون ألف بعد الهمزة، وقرأ الباقون بألف بعد الهمزة[1]. فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف ؟

من قرأ ﴿أسن﴾ مقصورا جاء على وزن فعل تقول: أسن الماء فهو أسن أي إذا تغيرت رائحته، فأعلم الله أنّ أنهار الجنة لا تتغير رائحة مائها.[2] فهو غير متغير وغير آجن وغير منتن [3]وكذا قال أبو منصور(ت338هـ) في البئر التي طال عهد المستقين بها فدير برأسه فلا يقال فيه إلا أسن يأسن فهو أسن لا غير،[4] وقرأ بالقصر للمبالغة كما قال ابن عاشور (ت1393هـ) في تحريره.[5]

ووجّهها مكي(ت437هـ) بمعنى إذا غشي على الرجل من الريح الخبيثة، فالقراءة جاءت للحال بمعنى غير متغير في حال جريه.[6]

نخلص من هذه القراءة أنّها أفادت الحال الذي يكون عليه الماء، فأنهار الجنة لا تتغير رائحة مائها وهي غير منتنة في حال جريانها، فما تفيد القراءة الأخرى يا ترى؟

أمّا من قرأ بالمد فهي على وزن فاعل تقول: أسن الماء يأسن فهو آسن، والمعنى: يزيد ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل.[7] أي لا يكون كذلك في المستقبل، فنفى ذلك في الآية،[8] فهو لا يتغير على على كثر المكث، وقد يكون للحال مثل الأول. [9]

---

[1]- التيسير: المصدر السابق، ص: 200. الإقناع: المصدر السابق، ص: 767.

[2]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 667.

[3]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 3، ص: 60. معاني القرآن للنحاس، المصدر السابق، ج6، ص:472. مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 375.

[4]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 386.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج26، ص: 96.

[6]- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 378.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 667. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 516.

[8]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1721.

[9]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 378.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وذهب أبو عبيدة (ت210هـ) إلى معنى المتغير الريح،[1] كما ذهب إليه مكي (ت437هـ) في معنى القراءة الأولى. أمّا ابن عاشور فوجّهها بقوله إذا تغيّر لونه.[2]

أفادت هذه القراءة معنى أنّ الماء لا يكون آسن فيما يستقبل، أي لا يتغيّر على كثرة المكث فهذا هو حاله، كما أفادت معنى المتغير الريح - وهذا المعنى ذكر في معنى القراءة الأولى - والمتغير اللون.

وعليه فالقراءتان أفادتا عدّة معان كلّ معنى له دلالته الخاصة في الآية، فالقراءة الأولى أفادت معنى المتغير الريح الغير النتن وجاءت بصيغة المبالغة، والقراءة الثانية هي على نفس المعنى لكنّها جاءت للمستقبل أي لا يتغير مع كثرة المكث، كما أفادت معنى المتغير اللون، و المعلوم أنّه إذا تغيّر لونه تغيّرت رائحته، وإذا تغيّرت رائحته أصبح نتنا، وهذا كلّه منفي عن أنهار الجنة فهي غير آسنة.

كلّ هذه المعاني هي مقاصد جزئية لمقصد عام هو أنّ أنهار الجنة لا تتغير رائحتها ولا لونها حالا ومستقبلا، وهذا المقصد هو لا شك يندرج تحت مقصد التبشير .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص: 215.

[2]- التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج26، ص: 96.

المطلب الخامس: وقوع الكلِمة بين اسم الفاعِل وَالصِّفة المشبّهة.

في ما يلي مثال واحد لكلمة قرآنية قرئت مرّة على أنّها « اسم فاعل » وأخرى على أنّها صفة « مشبه » .

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[1]

يُبيّن الله -عز وجلّ- في هذه الآية أنّه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى -عليه السلام-، فما كان منهم إلا أنّهم نقضوا الميثاق ولم يعملوا به، فحقّ عليهم الجزاء بإبعادهم عن الحقّ وطردهم عن الهدى ورحمة الله، وجعلِ قلوبهم غليظة قاسية لا تقبل الحقّ ولا تتّعظ به[2].

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿قَٰسِيَةً﴾، فقرأها حمزة والكسائي بغير ألف مشدّدة الياء، على وزن فعيلة، وقرأ الباقون بألف على وزن فاعلة.[3] فما المعاني التي نستوحيها من القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

يقول ابن عاشور(ت1393هـ):((قساوة القلب مجاز، إذ أصلها الصلابة والشدّة، فاستعيرت لعدم تأثّر القلوب بالمواعظ والنذر)).[4]

من قرأ ﴿قسية﴾ فهي أبلغ في الذمّ من فاعله، والوجهُ في ذلك أنّ فعيلة وفعيل يأتي بمعنى فاعل كشاهد وشهيد وعالم وعليم، وعارف وعريف، فعليم أبلغ من عالم وهكذا [5]، كما أنّ في صيغة فعيل معنى التكرير والمبالغة وهي صفة مشبهة.[6]

وقد قيل في معناها أنّها في معنى القسوة، والقساوة غلظ القلب، وأصله من حجرٍ قاس،[7] فكان وصف قلوب من حرّف كلام الله تعالى بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره [8].

---

[1]- سورة المائدة: الآية 13

[2]- ينظر: التفسير المنير: المرجع السابق، ج6، ص:125.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 243. التيسير: المصدر السابق، ص:99. الإقناع: المصدر السابق، ص: 634.

[4]- التحرير و التنوير: المصدر السابق، ج6، ص: 143.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 217. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 224. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 446. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 264. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 438. جامع البيان: المصدر السابق، ج6، ص: 154. التفسير الكبير: المصدر السابق، ج11، ص: 187.

[6]- القراءات وأثرها: المصدر السابق،ج1، ص: 569.

[7]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 671.

[8]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 446

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال آخرون منهم بل معنى ﴿قَاسِيَةً﴾، غير معنى القسوة، وإن معنى القسيّة: « القلوب التي لم يخلص إيمانها بالله، ولكن يخالط إيمانها كفر فهي فاسدة كالدراهم القسيّة، وهي التي يخالط فضّتها غش من نحاس أو رصاص وغير ذلك »، [1] فهي مغشوشة أو ردية، أوهي ليست بخالصة الإيمان، أي فيها نفاق.[2]

يقول صاحب الكشّاف(ت538هـ): ((وهو أيضا من القسوة لأنّ الذهب والفضّة الخالصين فيهما لين، والمغشوش فيه يبس وصلابة)).[3]

ويقول أبو زبيد الطائي:

لها صواهلُ في صم السِّلام كمَا صاحَ القسيَّاتُ في أيدي الصَّيارف [4]

نخلص ممّا سبق أنّ قراءة ﴿قَاسِيَةً﴾ أفادت معنيين المعنى الأوّل في القسوة، والمعنى الثاني القلوب المغشوشة الفاسدة المنافقة، فما المعنى الذي تحمله القراءة الأخرى ؟

حجّة من قرأ ﴿قَاسِيَةً﴾ أنّه بناه على فاعلة فهو اسم فاعل من قست فهي قاسية،[5] ويقوّيه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾[6]، ويقوّيه أيضا قوله:﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[7]. ومعنى قاسية غليظة بائنة عن الإيمان، قد نزعت منها الرحمة والرأفة ،[8] ويمكن أن تكون بمعنى يابسة تنبو عن قبول الحق ولا تلين، قد سُلب منها التّوفيق واللّطف الذي تنشرح به الصدور ولا تنجع فيها موعظة[9].

---

[1]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 224. جامع البيان: المصدر السابق، ج6، ص:154. روح المعاني: المصدر السابق، ج6، ص: 89.

[2]- الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 115.

[3]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 283.

[4]- شعر أبي زبيد الطائي، لأبي زبيد الطائي: تحقيق: نوري محمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد- العراق، د.ط.ت،ص:119.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 217. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 223. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 264.

[6]- سورة البقرة: الآية 74.

[7]- سورة الحديد: الآية 16.

[8]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 447.

[9]- مجمع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 172. روح المعاني: المصدر السابق، ج 6، ص: 89.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول القرطبي(ت671هـ)[1] في معنى قاسية:((أي صُلبة لا تعي خيرا ولا تفعله؛ والقاسية والعاتية والعاتية بمعنى واحد)).[2]

فتأويل الكلام على هذه القراءة:« جعلنا قلوبهم قاسية يابسة عن الإيمان بي والتوفيق لطاعتي منزوعة منها الرأفة والرحمة ».

ممّا تقدّم نخلص أنّ كلتا القراءتين متقاربتان في المعنى، ومشتركتان فيه في ذات الوقت، فقد أفادتا معنى القسوة التي هي الغلظة والصلبة، إلا أنّ قراءة ﴿قسية﴾ أبلغ في الذّم فقد أضافت معنى آخر غير معنى القسوة ألا وهو أنّ هذه القلوب منافقة ومغشوشة وفاسدة، وكلّ هذه المعاني من مقاصد الآية، والتي تندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة. أليست كلّ قراءة تكمّل القراءة الأخرى في المعنى والمقصد.

[1]- القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف« التفسير » المشهور، إمام متقن متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة، توفي سنة 671هـ. ينظر: طبقات المفسرين، لمحمد بن علي شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، الجزء الثاني، ص: 70.

[2]- الجامع: المصدر السابق، ج6 ، ص: 115.

المطلب السادس: وقوع الكلِمة بينَ اسم الفاعل وأمثِلة المبالغَة.

في ما يلي مثال واحد للاختلاف الوارد بين القراءات القرآنية ومردّه إلى كون الكلمة القرآنية تارة تقرأ على أنّها « اسم فاعل » وتارة تقرأ على أنّها « صيغة مبالغة ».

قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾[1]

تدلّ الآية الكريمة أنّ الله -عزّ وجلّ- لا يؤاخذنا في الأيمان التي تحلف بلا قصد، ولا يتعلّق بها حكم، وهي يمين اللغو: وهو قول الرجل في الكلام من غير قصد، ولكن يؤاخذنا باليمين المنعقدة، أي بما صممنا عليه من الأيمان وقصدناها[2].

يقول ابن عاشور(ت1393هـ) عن الآية أنّها ((استئناف ابتدائي نشأ بمناسبة قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٨٧﴾﴾[3] لأنّ التحريم يقع في غالب الأحوال بأيمان معزومة، أو بأيمان تجري على اللسان لقصد تأكيد الكلام)) .[4]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿عَقَّدتُّمُ﴾، فقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالتّخفيف، وقرأ ابن ذكوان بألف بعد العين مخفّفا، وقرأ الباقون مشدّدا من غير ألف[5]. ولنمض الآن في معرفة دلالات كلّ قراءة، مع استخرج المقصد المشار إليه ؟

قبل أن نعرِف دلالات هذه القراءة نعرّج على مفهوم العقد الذي ((هو الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثمّ يستعار ذلك للمعاني نحو : عقد البيع، والعهد وغيرهما)).[6]

في قراءة التّشديد عناصر متعدّدة تُسهم في بناء المعنى المقصود، ومن هذه العناصر ما هو خاص بها ومنها ما هو مشترك بينها وبين قراءة التّخفيف. وتبدأ هذه العناصر في المعنى الذي قصدته وهو

1- سورة المائدة: الآية 89.

2- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 173.

3- سورة المائدة: الآية 87.

4- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 18.

5- السبعة: المصدر السابق، ص: 247. التيسير: المصدر السابق، ص:100. الإقناع: المصدر السابق، ص: 635.

6- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 576.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تكثير الفعل على معنى:« عقد بعد عقد »، أو يكون أراد تكثير العاقدين للأيمان، لأنّه خاطب جماعة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾، فخاطب الكثرة،[1] أو يكون التّشديد لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده، فيدلّ على كثرة الأيمان بمعنى: « عقد يمين بعد عقد يمين ». [2]

يقول ابن زنجلة (ت403هـ) :((فكأنّهم أسندوا الفعل إلى كلّ حالف عقد على نفسه يمينا، والتّشديد يراد به كثرة الفعل وتردّده من فاعليه أجمعين، فصار التكرير لا لواحد)).[3] ويجوز أن يكون عقّد مثل ضعّف لا يراد بها التّكثير، كما أنّ ضاعف لا يراد به فعل من اثنين.[4]

وحجّتهم أيضا ما ذكره أبو عمرو(ت154هـ) فقال: ((عقّدتم أي وكّدتم، وتصديقها قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ۝٩١﴾[5] والتّوكيد هو ضد اللغو في اليمين، واللّغو ما لم يكن باعتقاده)).[6]

يقول الطبري(ت310هـ) في تفسير لفظة:﴿ عقّدتم﴾((بمعنى وكّدتم الأيمان ورددتموها))[7] ومعنى عقدت اليمين ووكّدتها أن يحلف الحالف على الشيء غير غالط ولا ناس.[8]

كما أنّ نافعا روى أنّ ابن عمر كان إذا حنِثَ من غير أن يؤكّد اليمين أطعم عشرة مساكين، فإذا وكّد اليمين أعتق رقبة . قيل لنافع ما معنى وكّد اليمين ؟ قال: ((أن يحلف على الشيء مرارا)).[9])).[9]

نخلص ممّا سبق أنّ قراءة التشديد تفيد تكثير الفعل وتوكيده، فما المعنى الذي تفيده قراءة التخفيف؟

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 251. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 455. إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 245.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه، ج1، ص: 455.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 234.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 251. الموضح: المصدر السابق،ج1، ص: 450.

[5]- سورة النحل: الآية 91.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 234. إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 245.

[7]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 13.

[8]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 254.

[9]- الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 267. ينظر إلى أصل الحديث في: الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق: فؤاد محمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.ت، الجزء الثاني، كتاب النذور والأيمان، باب العمل في كفارة اليمين، ص: 312.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على عكس قراءة التّشديد جاءت قراءة التّخفيف التي أريد بها عقد مرّة واحدة دون تكثير الفعل، ويمكن أن يراد بها الكثير من الفعل والقليل، إلاّ أن عقّد يختص بالكثير.[1] فيكون في المعنى بمنزلة قراءة من شدّد.

يقول الطبري(ت310هـ) في تفسير لفظة ﴿عقدتم﴾:((بمعنى أوجبتموها على أنفسكم، وعزمت عليها قلوبكم))[2]. وقد اختار قراءة التخفيف عندما قال: ((وذلك أنّ العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام إلا في ما يكون فيه تردد مرّة بعد مرّة، مثل قولهم: شددت على فلان في كذا، إذا كرّر عليه الشدّ مرة أخرى، وإذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة قيل: شددت عليه بالتخفيف، وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أنّ اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرّة واحدة وإن لم يكرّرها الحالف مرّات، وكان معلوما بذلك أنّ الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكررها، وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقّدتم وجه مفهوم)).[3]

كما أنّ هذه القراءة تُلزم من حلف مرّة واحدة أو مرّات كثيرة، إذا كان ذلك على الشّيء الواحد الكفّارة، أمّا إذا شدّدت القاف في ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ توهّم السّامع أنّ الكفّارة لا تجب على الحانث العاقد على نفسه يمينا بحلف مرّة واحدة حتى يكرّر الحلف؛ لأنّ المراد في قراءة التشديد كما سبق ترديد الفعل مرّة بعد مرّة، وهذا خلافٌ لما أجمعت عليه الأمّة، فالتّخفيف فيه إلزام الكفّارة، وإن لم يكرّر، وفيه رفعٌ للإشكال[4].

أمّا من قرأ بالألف فيحتمل أمرين:

أن يكون ﴿عاقدتم﴾ بمعنى عقدتم يراد به المرّة الواحدة[5]، فتكون في المعنى على هذا كقراءة من خفّف. ويُحتمل أن يراد بها: فاعلت من اثنين فأكثر على باب فاعلين[6]، فتكون اليمين من كلّ واحد

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 252. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 269. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 450.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 13.

[3]- جامع البيان: المصدر نفسه.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق،ص: 234. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 455.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 252. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه، ج1، ص:465.

[6]- الحجة: المصدر نفسه، ج3، ص: 252. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 235. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص:449.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واحد من الحالفين المتعاهدين، لأنّ ﴿عاقدتم﴾ قريب من معنى عاهدتم، فالمعنى:« أن تكون اليمين من كل واحد للآخر، على أمر عقدوه ».[1]

يرى ابن عاشور(ت1393هـ) أنّ هذه القراءة تحمل نفس المعنى التي تحمله قراءة التّشديد وهي معنى المبالغة، حيث قال:((فأمّا « عقّدتم » بالتّشديد فيفيد المبالغة في فعل عقد، وكذلك قراءة « عاقدتم » لأنّ المفاعلة فيه ليست على بابها، فالمقصود منها المبالغة، مثل عافاه الله)).[2]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ لفظة واحدة بتعدّد قراءاتها حملت عدّة معاني كلّها تصبّ في المعنى المنشود من الآية، فقراءة التشديد أفادت المعان التالية:

- تكثير الفعل وعدمه.
- تكثير العاقدين للأيمان.
- كثرة الأيمان.

كما يلزم للحالفين وفق هذه القراءة الكفّارة على العدد، وفيه إيهام ترك الكفارة عمّن لم يكرّر اليمين.

أمّا قراءة التخفيف ففيه إلزام الكفّارة وإن لم يكرّر وبالتالي يُرفع الإشكال الموجود في قراءة التشديد، لأنّها أفادت الحلف مرّة واحدة، ويمكن أن يراد بها الكثير فتتّحد على هذا المعنى مع القراءة الأولى.

في حين أفادت قراءة من قرأ بالألف معنى أن يكون اليمين من كلّ واحد للآخر، أي أن يكون الفعل من اثنين، عكس ما أفادت به القراءة الأولى لأنّها من واحد فقط، كما أنها تتّحد في المعنى مع قراءة التخفيف.

وعليه فكلّ القراءات متداخلة في المعنى مع بعضها البعض في معنى القلّة والكثرة، إلا أنّ قراءة التخفيف رفعت الإبهام الموجود في قراءة التشديد في إلزام الكفارة، وقراءة الألف حدّدت العدد. وبالتالي يتنوّع المقصد بتنوّع القراءات، كما يكمّل بعضه ويبيّن مبهمه وحكمه.

وللعلم فإنّ نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف ضمن الآية هو مقصد التشريع.

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 456.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 19.

المطلب السابع: وُقوع الكَلمة بين المفرد والجمع

لقد ورد في القرآن الكريم كلمات قرآنية قرئت بوجهين مختلفين، تارة تقرأ بالإفراد، وتارة تقرأ بالجمع، سواء كان الجمع بالألف والتاء المزيدتين، أو بجمع التكسير، وفي ما يلي عرض لهذه الكلمات القرآنية مع دراستها دراسة بيانية مستنتجين الإعجاز البياني في ضوء هذا الاختلاف.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[1]

يخبرُ الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية عن اليهود فيما نقلوه وادعوه عن أنفسهم بأنّ الله تعالى لا يعذّبهم إلاّ أيّاما قليلة، فأنكر عليهم هذا القول بأنّه لا يخلف عهده، وأبطل قولهم بأنّه كل من عمل سيّئة وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار، ويكون ملازما لها خالدا فيها[2]. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [3]

قرأ الجمهور:﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بإفراد « خطيئته »، وقرأ نافع « خطيئته » بالجمع[4]. فما الفرق بين القراءتين ؟ وما هو المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

وجه القراءتين ينبني على معرفة السيئة والخطيئة وفيهما أقوال[5]، وسنحاول أن نتطرّق إلى أصوبها وقبل ذلك نتطرّق إلى مفهوم الإحاطة.

من قرأ بالجمع فحمله على معنى الإحاطة[6]، والإحاطة لا تخلو من أحد أمرين: أن يكون المعنى أحاطت بحسنته خطيئته. أي:« أُحيطَتْها من حيث كان المحيطُ أكبر من المحاط به »، ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[7] أو يكون المعنى: « أهلكته » بدليل قوله

---

[1]- سور البقرة: الآية 81.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 1، ص: 315.

[3]- سورة البقرة: الآية 80-81.

[4]- السبعة: المصدر السابق، ص: 162. التيسير: المصدر السابق، ص: 74. الإقناع: المصدر السابق، ص: 599.

[5]- ينظر: الدر المصون: المصدر السابق، ج1، ص: 457.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 301.

[7]- سورة العنكبوت: الآية 54.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾[1]، وهنالك معنى ثالث للإحاطة وهو العلم كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2] أي عالم[3].

ومعنى الإحاطة هنا عند أبي حيان(ت 745هـ):((أنّها أخذته من جميع نواحيه، ومعنى الإحاطة به أن يوافي على الكفر والإشراك، هذا إذا فسرت الخطيئة بالشرك، ومن فسرها بالكبيرة فمعنى الإحاطة به أن يموت وهو مصر عليها))[4].

وهي عند السيوطي(ت911هـ): ((حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر كإحاطة السوار باليد، فاستعير لموافاة الموت على الكفر، فإنه لا يقتضي تكفير شيء من الخطايا))[5].

أمّا فيما يخصّ الخطيئة، يقول الشيخ ابن عاشور(ت1393هـ) في معناها:((الخطيئة اسم لما يقترفه الإنسان من الجرائم وهي فعيلة بمعنى مفعولة من خطى إذا أساء، والإحاطة مستعارة لعدم الخلو عن الشيء؛ لأنّ ما يحيط بالمرء لا يترك له منفذا للإقبال على غير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾وإحاطة الخطيئات هي حالة الكفر لأنّها تجرئ على جميع الخطايا ولا يعتبر مع الكفر عمل صالح كما دل عليه قوله ثمّ كان من الذين آمنوا فلذلك لم تكن في هذه الآية حجة للزاعمين خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار إذ لا يكون المسلم محيطة به الخطيئات بل هو لا يخلو من عمل صالح وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر وسلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر الخبيثة))[6].

وهي عند ابن عطية(ت541هـ) الكفر؛ لأنّ لفظة الإحاطة تقوّي هذا القول، وهي مأخوذة من الحائط المحدق بالشيء.[7]

---

[1]- سورة يونس: الآية 22.

[2]- سورة الأنفال: الآية 47.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 114 - 115.

[4]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج1، ص: 445-446.

[5]- قطف الأزهار: المصدر السابق، ج1، ص: 280.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج1، ص: 581.

[7]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 105.

إذن من جمع حمله على المعنى لأنّه لما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطابقا للمعنى [1]، والمعنى هو الجمع والكثرة[2]، وحمله على معنى الكبائر، والسيّئة الشرك، بمعنى « بلى من كسب شركا وأحاطت به كبائره فأحبطت أعماله، فأولئك أصحاب النار »[3]، كما أن « مَنْ » يراد بها الكثرة يدلّ على ذلك ذلك قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾لذا يجوز أن تجمع خطيئة لأنّها مضافة إلى جمع في المعنى[4].

ويقوّي هذا المعنى أنّه وَصف الخطيئة بالإحاطة، والإحاطة بالشيء شمول له فهي تقتضي الكثرة[5]، ولا تكون للشيء المفرد، إنّما تكون لأشياء، مثل: « أحاط النّاس بفلان »، ولا يقال: « أحاط زيد بعمرو »[6].

وقرأ الباقون بالتّوحيد على أنّ تأويل الخطيئة الشرك الذي هو سيئة[7]، والشرك مفرد، والسيئة الذنوب، وهي بمعنى السيّئات، كما يجوز أن تكون الخطيئة في معنى الجمع[8]، فكما أُفردت السيّئة، وإن كانت في المعنى جمعا، فكذلك ينبغي أن تفرد الخطيئة لإضافتها إلى مفرد، ويراد بها الكثرة، فهي كالقراءة بالجمع في المعنى[9]بدليل قوله تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[10] فالإحصاء إنّما يقع على الجموع والكثرة. [11]

يقول الزمخشري (ت538هـ): ((وأحاطت به خطيئته تلك، واستولت عليه كما يحيط العدو، ولم يتفصّ عنها بالتوبة)).[12]

1- المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 145.

2- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 120.

3- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 301.

4- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 120.

5- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 284- 285.

6- حجة القراءات: المصدر السابق، ص:102.

7- حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 102. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 301.

8- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه.

9- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 119. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه.

10- سورة إبراهيم: الآية 34.

11- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 119.

12- الكشاف: المصدر السابق، ص: 84.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الثمرة المرجوة من القراءتين واحدة، فقراءة الجمع محمولة على معنى الإحاطة، يعني أحاطت به الكبائر والذنوب، في حين أفادت قراءة الجمهور نفس المعنى وإن جاءت اللفظة مفردة، فهي كالقراءة بالجمع في المعنى كما وضحنا، مع أنّ الإحاطة لا تكون بشيء واحد في هذا المعنى، في حين يمكن للشيء الواحد أن يحيط كالحلقة، فكل من كسب السيّئات وأحاطت به كبائره فهو في النّار خالدا فيها وهو من الكافرين.

وبذلك تكون كلّ قراءة تكمّل القراءة الأخرى في بيان المعاني المقصودة من هذه المفردة القرآنية، وتحقق أيضا المقصد العام من هذا الاختلاف، الذي يندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[1]

يأمرُ الله تعالى نبيّه محمّد-صلّى الله عليه وسلّم- في هذه الآية بإبلاغ جميع ما أُنزل إليه من ربّه، وإن لم يفعل فما قام بواجب تبليغ الرسالة، إلا أنّه -صلّى الله عليه وسلّم- بلّغ جميع ما أنزل إليه من القرآن.

والتبليغ جعل الشيء بالغا، والبلوغ الوصول إلى المكان المطلوب وصوله، وهو هنا مجاز في حكاية الرسالة للمرسل بها إليه، والأمر بالتبليغ مستعمل في طلب الدوام الذي يحصل به ما يكفل للمحتاج إلى معرفة حكم تمكّنه من معرفته في وقت الحاجة أو قبله.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾، فقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقون بالتوحيد وفتح التاء.[3] فما الفرق بين قراءة الجمع وقراءة التوحيد؟ وما هو المقصد المشار إليه ؟

أمّا قراءة الجمع، فالرسالات جمع رسالة والرسالة مصدر، وقد جمعت لاختلاف أنواعها، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها[4]، ذلك أنّ الرّسل يرسلون بضُروب من الرّسائل والشرائع، كالتوحيد والعدل، فلمّا اختلفت الرسائل حسن الجمع، إذ ليس ما جاءوا به رسالة واحدة، كما يحسن أن تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت مثل:« نظرت إلى علوم كثيرةٍ » ،[5] كما يمكن أن يكون المعنى أنّ لكلّ وحي رسالة.[6]

يقول النحاس(ت338): ((والقراءتان حسنتان إلا أنّ الجمع أبين، لأنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كان ينزل عليه الوحي شيئا فشيئا ثم يبيّنه)).[7]

---

[1]- سورة المائدة: الآية 67.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج6، ص: 258.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 246. التيسير: المصدر السابق، ص:100. الإقناع: المصدر السابق، ص: 635.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج6، ص:97.

[5]- الحجة: المصدر نفسه، ج3، ص: 245. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ص:454. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 268.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 232.

[7]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 240.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على هذا الكلام تكون قراءة الجمع أحسن وأبلغ في المعنى؛ لأنّ الوحي لم ينزل مرّة واحدة وإنّما نزل متفرّقا، فكذلك جاء تبليغ الرسالات التي تعتبر وحيا من الله- عزّ وجلّ-.

أمّا قراءة الإفراد على انفراد لفظها تدلّ على الكثرة، وهي كالمصدر وهي جنس، لا تجمع ولا تثنى لدلالته على نوعه بلفظه، لكن جاز جمعه هنا لما اختلفت أجناسه، فهي تدلّ على ما يدلّ عليه لفظ الجمع[1] مثل قوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾[2] فوقع الاسم على الجميع وعلى الواحد فكذلك الرسالة يجوز أن تقع على الجمع. [3]

وهكذا فقراءة الجمهور تدلّ على الكثرة وإن لم تجمع، على أصل المصدر الذي يبقى مفردا، في حين أنّ قراءة الجمع نصّت على أنواع متعدّدة من الرسائل والشرائع وهو الاختيار؛ لأنّ المعنى عليه في هذه السورة لكثرة الرّسل- عليهم السلام-، إذ ليس ما جاءوا به رسالة واحدة، وعليه فعلى كلتا القراءتين تعدّد في المقصد، وإن كانت قراءة الجمع أحسن مقصدا من قراءة الجمهور، وبالتالي يتحقّق المقصد العام في اللفظة الواحدة، ويندرج تحت مقصد الإعجاز بالقرآن ليكون آيةً دالةً على صدق الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-[4].

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 454.

[2]- سورة الفرقان: الآية 14.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 246. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 448.

[4]- ينظر: الرسالة، الفصل الأوّل: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن، المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء، ص: 30.

المطلَب الثَّامن: وقوع الكَلمة بين المَاضي والأمر.

من بلاغة القرآن الكريم أنّ في قراءاته كلمات قرئت مرّة على أنّها « فعل ماض »، ومرّة على أنّها « فعل أمر»، فهل يختلف المعنى على هذا الاختلاف ؟ أم تكون كلّ قراءة امتدادا للأخرى وثمرة لها ؟ هذا ما سنراه في هذا المطلب.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1]

يذكر الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية شرف البيت، ما جعله موصوفا به شرعا وقدرا، من كونه مثابة للناس، فجعله محلا تشتاق إليه الأرواح، كما نبّه على مقام إبراهيم– عليه السلام- مع الأمر بالصلاة عنده.[2]

وقد اختلف القرّاء في حركة الخاء من لفظة ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾، فقرأ نافع وابن عامر بفتحها وقرأ الباقون بكسرها[3]. فما الفرق بين القراءتين؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

القراءة بالفتح جاءت بلفظ الماضي، أريد به الإخبار، وهو معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾مع إضمار إذ[4]. ويقوّي هذا الوجه أنّ ما بعده أيضا خبر، وهو قوله تعالى:﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [5]، فلمّا وقع بين خبرين كان الأحسن عندهم أن يكون خبرا[6].

والمعنى:« أنّ النّاس اتّخذوا من المكان الذي وقف عليه سيّدنا إبراهيم -عليه السلام- عند بناء الكعبة مصلىً، أي: يصلّون عنده بعد الطّواف بالبيت »[7]، أو بمعنى:« واذكر يا محمّد إذ جعلنا

---

[1]- سورة البقرة: الآية 125.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 1، ص: 412.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 169. التيسير: المصدر السابق، ص:76. الإقناع: المصدر السابق، ص: 602.

[4]- مدارك التنزيل: المصدر السابق، ج1، ص: 129. المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 191.

[5]- سورة البقرة: الآية125.

[6]- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 298.

[7]- المغني: المصدر السابق،ج1، ص: 192.

البيت مثابةً للنّاس وأمناً، واذكر إذ اتّخذ النّاس من مقام إبراهيم مصلىً، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم » ، فكلّه خبرٌ فيه معنى التنبيه والتّذكير لما كان.[1]

قال الشّيخ ابن عاشور(ت 1393هـ): ((فيكون هذا الاتّخاذ من آثار ذلك الجعل فالمعنى: ألهمنا النّاس أن يتّخذوا من مقام إبراهيم مصلىً، أو أمرناهم بذلك على لسان إبراهيم فامتثلوا واتخذوه. فهو للدلالة على حصول الجعل بطريق دلالة الاقتضاء، فكأنّه قيل جعلنا ذلك فاتّخذوا)).[2]

ممّا سبق نخلص أنّ هذه القراءة جاءت بلفظ الماضي مخبرة عن خبر قد مضى، فما القراءة التي تفيدها قراءة الكسر؟

وجهُ القراءة بالكسر أنّهم جعلوه أمرًا لإبراهيم وذريّته بأن يتّخذوا المقام مصلىً، وهو معطوفٌ على قوله تعالى:﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[3]، والمعنى: « أنّه لما ابتلاه بكلماتٍ وأتمهنّ، قال له جزاء لما فعله من ذلك إنّي جاعلك للنّاس إماماً وقال: واتخذوا ». وقيل أنّ هذا أمرٌ من الله تعالى لأمّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- أن يتّخذوا من مقامِ إبراهيم مصلىً بمعنى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُواْ ﴾أنتم من مقامِ إبراهيم- عليه السلام- مصلى، والتّقدير أنّه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابةً للنّاس وأمنا فاتّخذوه أنتم قبلةً لأنفسكم[4].

وحجّتهم كذلك ما أتت به الروايات عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، حيث روي عنه أنّه أخذ بيد عمر - رضي الله عنه- ، فلمّا أتيا المقام قال عمر:((هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ فقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- نعم، فقال عمر: أفلا نتّخذه مصلىً ؟ فأنزل الله ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ على الأمر بذلك)) أي افعلوه.[5]

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 314.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج1، ص: 710.

[3]- سورة البقرة: الآية 124.

[4]- التفسير الكبير: المصدر السابق، ج4، ص: 48.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 315.

والأثر بهذه الصيغة أخرجه أبو بكر بن عبد الله بن أبي داود: كتاب المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ- 2002م، ص:242. وهو ضعيف لإرساله. وأخرجه بصيغة أخرى: محمد بن يزيد: سنن

وقيل هو أمر لبني إسرائيل وهو معطوف[1] على قوله:﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾[2]

وهكذا وجّهت الآية الكريمة في قراءة الفتح إلى الإخبار عمّن كان قبلنا أنّهم اتّخذوا من مقام إبراهيم- عليه السلام- مصلىً، فهي حكاية ما كان في زمن إبراهيم–عليه السلام- فقط، وفيه معنى التّنبيه والتّذكير، أمّا قراءة الكسر فجاءت بصيغة الأمر، التي تحتمل المعنى الأول وتحتمل أن يُراد بها معنى التّشريع للمسلمين، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور (ت 1393هـ) في تفسيره عندما قال: ((فإنّ صيغة الماضي لا تحتمل غير حكاية ما كان في زمن إبراهيم، وصيغة الأمر تحتمل ذلك وتحتمل أن يراد بها معنى التشريع للمسلمين، إعمالاً للقرآن بكلّ ما تحتمله ألفاظه))[3] كما تحتمل أن يكون الأمر موجها لبني إسرائيل، وفي هذا امتدادٌ للقراءة السّابقة وثمرةٌ لها، وبالتالي يتحقّق المقصد العام من هذا الاختلاف ضمن الآية ألا وهو مقصد التشريع.

ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان- بيروت، د.ط.ت، الجزء الثاني، ص:987، رقم: 2960، وصحّحه الألباني.

[1]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج 1، ص: 552.

[2]- سورة البقرة: الآية 47.

[3]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج1، ص: 711.

المطلب التاسع: وقوع الكَلمَة بين صِيَغ مُختلفةٍ.

سوف ندرس في هذا المبحث أمثلة قرآنية للاختلاف الوارد بين القراءات القرآنية، وهو وقوع الكلمة في صيغ مختلفة، مع إبراز الدلالة البيانية لكلّ كلمة قرآنية.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]

ينكر الله -عزّ وجلّ- في هذه الآيات على اليهود الذين كانوا في زمان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، فإذا نشبت الحرب بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، وذلك محرّم عليهم في التوراة، ويخرجوهم من بيوتهم، ثمّ إذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم من الفريق المغلوب، عملا بحكم التوراة[2].

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿أُسَٰرَىٰ﴾و﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾، فقرأ حمزة « أسرى » على وزن فَعلى، وقرأ الباقون« أسارى » على وزن فُعالى، وقرأ نافع وعاصم والكسائي« تُفادُوهم » بضمّالتاء وبالألف، وقرأ الباقون « تَفدُوهم » بفتح التاء وإسكان الفاء من غير ألف[3]. فما المعاني التي تتضمّنها كلّ قراءة ؟ وما نوع المقصد المشار إليه ضمن الآية؟

قيل في قراءة أسارى بضمّ الهمزة ما يلي:

---

[1]- سورة البقرة: الآية 84-85.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج1، ص: 318.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 163. التيسير: المصدر السابق، ص:74. الإقناع: المصدر السابق،ص: 599.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- هي جمع أسير بمعنى مأسور، حملا له على كسلان، كما حملوا كسلان على أسير، فقالوا كسالى وهذا مذهب سيبويه[1] (ت180هـ)، والأسر يدخل على المرء كرها، كما يدخل الكسل.

- وقيل: هو جمع نادر وليس مبنيا على حمل، كما قالوا في قديم قدامى.

- وقيل: هو جمع جمعٍ، فالأسير يجمع على أسرى ثمّ يجمع أسرى على أسارى فيكون أسارى جمع الجمع.

وقيل: أنّه جمع أسير أيضا، وإنّما ضمّوا الهمزة من أسارى وكان أصلها الفتح كنديم وندامى [2].

قال أبو عمرو(ت154هـ): ((الأسرى من في اليد والأسارى من في الوثاق)) .[3]

وحجّة من قرأ « أسارى » على وزن فُعالى أنّه شبهّه بكسالى، وذلك أنّ الأسير لمّا كان محبوسا عن كثيرٍ من تصرّفه، صار كالكسلان، لأنّه محتبس عن ذلك لعادته السيّئة[4]، فلمّا أشبهه في المعنى شاركه في الجمع على فعالى[5].

قال أبوعمرو(ت154هـ):((إذا أخذوا فهم عند الأخذ أسارى، وما لم يؤسر بعد منهم أسرى كقوله﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾[6]))[7]

أمّا حجّة من قرأ ﴿أسرى﴾ فإنّه جمع فعيلا على وزن فعلى وفعيل، إذا كان بمعنى مفعول جمع على فعلى[8] نحو:« جريح وجرحى، وقتيل وقتلى، وصريع وصرعى »[9]، فهو بمعنى مأسور ومجروح

---

[1]- سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبَر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه، ولد بقرية من قرى شيراز سنة 148هـ ، إمام النحاة، قدم البصرة وأخذ عن الخليل بن أحمد ففاقه، كما ناظر الكسائي، توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين بالأهواز سنة 180هـ، ينظر: طبقات النحويين: المصدر السابق، ص: 66-72.

[2]- روح المعاني: المصدر السابق، ج1، ص: 313. التحرير والتوير: المصدر السابق، ج1، ص: 590. الدر المصون: المصدر السابق، ج 1، ص: 481.

[3]- روح المعاني: المصدر نفسه. البحر المحيط: المصدر السابق، ج1، ص: 449.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 143. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 303.شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 174. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص:288. روح المعاني: المصدر نفسه، ج1، ص: 313.

[5]- الموضح: المصدر نفسه.

[6]- سورة الأنفال: الآية 67.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 104. إعراب القراءت: المصدر السابق، ج 1، ص: 234.

[8]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 173-174.

[9]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 163. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 104. شرح الهداية: المصدر نفسه، ج1، ص: 174.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومقتول ومصروع؛ لأنّه قد ناله المكروه والأذى،[1] فلمّا كان جريح وقتيل يجمعان على فعلى ولا يجمعان على فعالى فعل ب« أسير » ذلك فهو أصله،[2] والأسرى أقيس من الأسارى .[3]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ كلتا القراءتين أفادتا معنى الأسرى . فقراءة ﴿أسرى﴾ جمع أسير كجريح وجرحى، فهو مأسور أي محبوس ناله المكروه والأذى. وقراءة ﴿أسارى﴾ فهي جمع الجمع، وشبّهوا هنا بالكسالى؛ لأنّ الأسير لمّا كان محبوسا عن كثير من تصرّفه صار كالكسلان، فلمّا اشتبها في هذا المعنى حملا في الجمع على بناء واحد وبذلك تكون كلّ قراءة تكمّل القراءة الأخرى في بيان المعاني المقصود من هذه المفردة القرآنية.

أمّا علّة من قرأ﴿ تفادوهم﴾ بألف وضمّ التاء أنّه بناه على أصل المفاعلة من اثنين؛ لأنّ كلّ واحد من الفريقين يدفع من عنده من الأسارى ويأخذ من عند الآخرين من الأسرى،[4] فكلّ واحد من الفريقين فعلا، فمن الآسرِ دفعُ الأسير، ومن المأسور منهم دفعٌ لفدائه.[5]

يقول أبو عمرو(ت154هـ) في معنى تفادوهم:((تعطوهم ويعطوكم))[6]. فجاءت بصيغة المفاعلة المفاعلة المستعملة في الفداء أي تفدوهم فداء حريصا.[7]

وقد تكون المفاعلة من واحد مثل قول العباس:((فاديت نفسي))[8] وحينئذ تتّحد هذه القراءة في في المعنى مع قراءة من قرأ بغير ألف.[9] وهي عند الراغب(ت502هـ) بمعنى تحامى من شيء بذله في قوله: « تفادى فلان من فلان ».[10]

---

[1]- حجة القراءات: المصدر نفسه، ص: 104.

[2]- المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 154. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 303.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص:143. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 288 .

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص:304. شرح الهداية: المصدر السابق، ج1، ص: 174. المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 156.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 148.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 105.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج1، ص: 591.

[8]- صحيح البخاري: المصدر السابق، ج1، كتاب أبواب المسجد، باب القسمة وتعليق القبو في المسجد، ص: 162، رقم: 411.

[9]- المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 156.

[10]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 627.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعلّة من قرأ ﴿تفدوهم﴾ بفتح التاء من غير ألف، فإنّه بناه على أنّ أحد الفريقين يفدي أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره لأنّ هذا هو حال المغلوب هو يفدي ما أخذ له الغالب[1]، فالفعل من واحد، إذ لا يكون كلّ واحد من الفريقين غالبا.[2]

يقول أبو عمرو(ت154هـ) في معنى تفدوهم: ((تعطوهم فقط)).[3]وما يقوّي هذا المعنى أنّ في دين اليهود إذا كان أسير من أهل ملّتهم في إسار غيرهم، وجب عليهم أن يفدُوه بكلّ حال، وإن لم يفده القوم الآخرون[4]. وقد جاء هذا المعنى عند ابن عطية(ت541هـ) عندما قال: ((وقد تجيء بمعنى فديت، أي دفعت فيه من مال نفسي)). [5]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ قراءة ﴿تُفَـٰدُوهُمۡ﴾تكون من طرف اثنين على أصل المفاعلة، وقد تكون من واحد كما بيّنا، أمّا قراءة ﴿ تفدوهم ﴾، فالفعل من واحد، فتكون موافقة للقراءة الأولى في إحدى معانيها، وعليه فكلا القراءتين أفادتا معنى الفداء وإن اختلفا في الفعل.

ممّا سبق ومن كلّ هذه المعاني المستنبطة من القراءتين والتي تعتبر من مقاصد الآية، نخلص أنّها أشارت إلى مقصد عام ألا وهو مقصدالقصص وأخبار الأمم السالفة .

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 304.

[2]- المغني: المصدر السابق، ج1، ص: 156.

[3]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 105.

[4]- حجة القراءات: المصدر نفسه.

[5]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 108.

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾[1]

يبيّن الله -عزّ وجلّ- في سورة البقرة قصّة عزير وحماره، وهي دليلٌ واضحٌ على إمكان البعث بعد الفناء، والحشر بعد النشر من القبور، والدّليل الذي يمكن أن يُحتجّ به على البعث هو سنّته تعالى في تكوين الحيوان وإنشاء لحمه وعظمه، وهذا كله بمرأى من العزير، فعند ذلك لما تبين له هذا كله قال: أنا عالم بهذا، وقد رأيت عيانا، والبيان أنّ الله-عزّ وجلّ- على كلّ شيء قدير[2].

وقد اختلف القرّاء في كلمة ﴿أَعۡلَمُ﴾، فقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف والجزم، وقرأ الباقون بقطع الألف والرفع[3]. فما الفرق بين القراءتين؟ وما هو نوع المقصد المشار إليه؟

وجهُ من قرأ بوصل الألف أنّه جعلها أمرا معناه الخبر، ويحتمل في الآمر عدّة وجوه:((أحدهما قال له الملك:« اعلم »، والآخر: هو أن ينزّل نفسه منزلة المخاطب الأجنبي المنفصل، فالمعنى: فلمّا تبيّن له قال لنفسه: اعلمي يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمينه معاينة)) .[4]وهذا ممّا تفعله العرب، يُنزّل أحدهم نفسه منزلة الأجنبي فيُخاطبها كما تخاطبه، قال الأعشى:

وَدّع هريرةَ إنّ الركب مرتحلٌ   وهل تُطيق وداعًا أيها الرجلُ[5]

فقال: ودّع، فخاطب نفسه كما يخاطب غيره، ولم يقل لأُودّع، وعلى هذا قال: أيّها الرجلُ، وهو يعني نفسه[6].

كما يمكن أن تكون « اعلم » هنا من كلام الله تعالى، فهو الآمر للذي أحياه بعد مماته.[7] وفي حرف عبد الله ما يدلّ على أنّه أمر من الله له بالعلم، على معنى:« الزم هذا العلم لما عاينت وتيقّنت». وذلك أنّ في حرفه: « قيل اعلم ». وأيضا فإنّه موافق لما قبله من الأمر في قوله:« انظر

---

[1]- سورة البقرة: الآية 259.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 1، ص: 688.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 189. التيسير: المصدر السابق، ص:82. الإقناع: المصدر السابق، ص: 611.

[4]- ينظر: الجامع: المصدر السابق، ج3، ص: 297. مدارك التنزيل: المصدر السابق، ج1، ص: 2015.

[5]- الصبح المنير في شعر أبي بصير، ديوان الأعشى، لميمون بن قيس الأعشى، مطبعة آدولف هلزهسين، د.ط، 1924م، ص: 41.

[6]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 384.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج3، ص: 38.

إلى طعامك، وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام » فكذلك « اعلم أن الله ». فهذا يبيّن أنّ « قال اعلم » أمرٌ من الله -عزّ وجلّ-له بالعلم لما عاين من الإحياء، وهو علم معاينة.[1]

أمّا وجهُ من قرأ بالقطع والرفع، فهو على الخبر، بمعنى: « أنّه أخبر عن نفسه عندما اتّضح له عيانا قدرة الله في إحيائه الموتى، فأقرّ أنّه يعلم أنّ الله على كل شيء قدير »، أي: « أعلم أنّ هذا الضرب من العلم، الذي لم أكن علمته قبل »، فلا وجه لأن يُؤمر بأنّ الله -عزّ وجلّ-على كلّ شيء قدير وقد عاين وشاهد ما كان يستفهم عنه[2].

قال الزجاج(ت 311هـ):((فتأويل ذكره ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ ليس لأنّه لم يكن يعلم قبل ما شاهد، ولكن تأويله: إنيّ قد علمت ما كنت أعلمه غيبا مشاهدة)).[3]

ممّا تقدم يتبيّن لنا أنّ من قرأ بالقطع جعله خبرا مفاده: أنّه علم هذا الشيء لما عاين قدرة الله -عزّ وجلّ-في الإحياء، وأنّه كان يعلمه غيبا إلا أنّه تيقن به مشاهدة، ولا وجه لأن يؤمر به .أمّا قراءة الوصل فجاءت بصيغة الأمر الذي يحمل معنى الخبر، وفي هذا امتداد للقراءة السابقة وثمرةٌ لها، وتحقيق لمقصد الآية الذي يندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة .

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين بالصواب في ذلك: قراءة من قرأ ﴿اعلم﴾ بوصل الألف، وجزم الميم، علة وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته، بالأمر بأن يعلم أنّ الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من إحيائه إياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام، حتى ردّه عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شيء قادر كذلك. وإنّما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره لأنّ ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به وذلك قوله ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ

---

[1]- الحجة: المصدر السابق، ج2، ص: 383-384. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 144. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 358. شرح الهداية: المصدر السابق،ج1، ص: 206. معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص:223. المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 237.

[2]- الحجة: المصدر نفسه، ج2، ص: 383. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 343. جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 46.

[3]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج1، ص: 344.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[1]فلما تبيّن له ذلك جوابا عن مسألته ربه ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2] قال الله له اعلم أنّ الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت على غير ذلك من الأشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله)).[3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة البقرة: الآية 259.

[2]- سورة البقرة: الآية 259.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 46.

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ ﴾[1]

تذكّر هذه الآيات بما امتن به الله -عزّ وجلّ- على عيسى -عليه السلام- مما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات، مؤيدا بها إيّاه لإظهار صدقه، وموبّخا النّصارى على سوء اعتقادهم بتأليه عيسى- عليه السلام-، فإنّ كلّ واحدة منها تدلّ على أنّ عيسى بشر عبدٌ لله وليس بإله، وقد عبّر عنها بصيغة الماضي للدّلالة على وقوعها، وكلّها جاءت بإرادة الله-عزّ وجلّ- ومشيئته وقدرته[2]، فلما رآها الذين كفروا قالوا:﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾.

وقد اختلف القرّاء في لفظة ﴿سِحۡرٞ﴾، فقرأها حمزة والكسائي بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف [3]. فما المعاني التي تحملها كلّ قراءة ؟ وهل يوجد فرق بينهما ؟ وما هو المقصد المشار إليه في هذه الآية؟

من قرأ بالألف قصد عيسى - عليه السلام- أي أشار إلى الشخص لا إلى الحدث الذي أتى به[4]، فأخبر عنهم أنّهم قالوا:« إن هذا إلا ساحر » فأخبر عن الاسم باسم الفاعل[5]، والمعنى على هذه القراءة: « ليس هذا الشخص إلا ساحرا مبينا ».[6]

---

[1]- سورة المائدة: الآية 110.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 223.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 249. التيسير: المصدر السابق، ص:101. الإقناع: المصدر السابق، ص: 636.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 271. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 459. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 271. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 454.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه، ج1، ص: 459.

[6]- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 454.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويذهب مكي (ت437هـ) إلى أنّه يجوز أن يكون ﴿ ساحر ﴾ بمعنى سحر؛ لأنّ الاسم قد يقع موضع المصدر، كقولهم:« عائذا بالله من شرّها»، أي عياذا فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف.[1]

وقد روي عن أبي عمرو(ت154هـ) أنّه قال:((إذا كان بعده مبين فهو سحر، وإذا كان بعده عليم فهو ساحر))[2] والمبين يصلح للسحر وللساحر، فلا حجّة له في ذلك .[3] أمّا « عليم » فهذا قول جيّد كما قال المهدوي (ت440هـ) لأنّه لا يكون إلا من صفات الأشخاص .[4]

ووافقه في ذلك صاحب الحجّة (ت377هـ) عندما قال: ((لا إشكال في الوصف بعليم أنّه لا ينصرف إلى الحدث، ولكن مبين يقع على الحدث كما يقع على العين، فإذا كان كذلك لم يمتنع ساحر مبين، كما لم يمتنع سحر مبين)).[5]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ هذا القراءة أفادت الشخص والحدث الذي أتى به، فما الذي تفيده القراءة الأخرى يا ترى ؟

أمّا القراءة بغير الألف تفيد وجهين أحدهما: أن يكون إشارة إلى ما جاء به عيسى- عليه السلام- من البينات، فكأنّه قال: « ما هذا الذي جئت به إلا سحرٌ مبين ».[6] والوجه الثاني: أن يكون إشارة إلى الشخص أي عيسى - عليه السلام- على حذف قوله ذو، فالتقدير:« إن هذا إلا ذو سحر مبين ».[7]

على قول صاحب الحجة(ت377هـ) المتقدّم، يقول ابن زنجلة (ت403هـ) موضحاً المعنى هنا: ((والسحر عنده أوعب معنى، لأنّه يدلّ على فاعله، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر،

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق،ج1، ص: 460.

[2]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 272. حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 240. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 271.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق،ج1، ص: 460.

[4]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 271.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 272.

[6]- الدر المصون: المصدر السابق، ج4، ص: 497. المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 596.

[7]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 271. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 459. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 271.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والسحر لا يوجد إلا مع ساحر))[1] فالاختيار عنده من قرأ ﴿سحر﴾ لوقوعه على الحدث والشخص.[2]

وبالتالي نخلص إلى أنّ القراءتين متداخلتان حسنتان، إلا أنّ الفرق بينهما إثبات الألف وحذفها، فالأولى أفادت الشخص والثانية أفادت الحدث، على هذا المفهوم أليست كلّ قراءة آية مستقلة بذاتها، وعلى المفهوم الثاني أنّ الأولى أفادت الحدث والثانية أفادت الشخص، أليست كل قراءة تكمّل الأخرى وتوضّح المعنى المقصود، الذي هو المقصد المراد من الآية، وإن اختلفت المقاصد الجزئية التي جاءت متكاملة في هذا الاختلاف لتحقّق المقصد العام الذي هو مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة.

يقول الطبري(ت310هـ) مبرزا معنى القراءتين: ((والصواب من القول في ذلك: أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، وذلك أنّ كلّ من كان موصوفا بفعل السحر، فهو موصوف بأنّه ساحر، ومن كان موصوفا بأنّه ساحر، فإنّه موصوف بفعل السحر، فالفعل دال على فاعله، والصفة تدلّ على موصوفها، والموصوف يدلّ على صفته، والفاعل يدلّ على فعله، فبأيّ ذلك قرأ القارئ، فمصيب الصواب في قراءته))[3]. أليس الاختلاف في القراءات اختلاف تنوّع وليس تضاد.

---

[1]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 240.

[2]- حجة القراءات: المصدر نفسه.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 128.

المبحث الثاني

الاختلاف في العامل النحوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال استقرائي للقراءات القرآنية التي لها علاقة بالعامل النحوي اقتبست بعض القراءات التي قرئت بوجهين أو أكثر، فهل يمكن أن نستجلي من هذا الاختلاف إعجاز بيان يمكن أن نضيفه للإعجاز القرآني ؟ وهل هذا التغاير يعطينا تنوعا في الدلالة؟

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ ۝٢ ﴾[1]

ترشدُ الآية الكريمة إلى حرمةِ الاعتداء بالباطل لأنّ المعنى: لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدّوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام على أن تعتدوا عليهم وتقتصوا منهم ظلمًا وعدوانا، بل احكموا بما أمركم الله- عزّ وجلّ- به[2].

وقد اختلف القرّاء في حركة الهمزة، فقرأ أبو عمرو وابن كثير بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح.[3] فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

وجه القراءة بالكسر أنّهم جعلوه أمرًا منتظرا أي مستقبلا بمعنى:« إن وقع صدٌ فيما يستقبل فلا تكتسبوا الاعتداء»[4] ف «إن» هنا للشرط والجزاء، والجوابُ محذوفٌ دلّ عليه ما تقدّم من الكلام، والصدّ منتظر وقوعه. ويجوز أن يكون الصدّ قد مضى وهو الحاصل؛ لأنّ المشركين صدّوا النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- والمسلمين في صلح الحديبية سنة ست، والآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، فيأتي المعنى على مثال لأمر قد مضى، وتحقيقه:« إن وقع مثل الصدّ الذي مضى فلا يكسبنكم بُغض قوم الاعتداء »، فهو على معنى المثال [5].

يقول النّحاس(ت 338ه):((وأمّا﴿إن صَدُّوكُمۡ﴾بكسر« إن » فالعلماء الجلّة بالنحو والحديث والنّظر يمنعون القراءة بها لأشياء: منها أنّ الآية نزلت عام الفتح سنة ثمانٍ، وكان المشركون صدّوا

---

[1]- سورة المائدة: الآية 02.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 12.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 242. التيسير: المصدر السابق، ص:98. الإقناع: المصدر السابق، ص: 634.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 444. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 431.

[5]- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: المصدر نفسه. الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 213. حجة القراءات: المصدر السابق، ص:220. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 262.

المسلمين عام الحديبية سنة ستٍّ، فالصدّ كان قبل الآية؛ وإذا قرئ بالكسر لم يجز أن يكون إلاّ بعده؛ كما تقول: لا تعط فلاناً شيئا إن قاتلك؛ فهذا لا يكون إلاّ للمستقبل)).[1]

وعلى هذا المعنى ذهب كذلك أبو حيان(ت 745هـ) في قوله: ((والتقدير: إن وقع صد في المستقبل مثل ذلك الصد الذي كان زمن الحديبية، وهذا النهي تشريع في المستقبل، وليس نزول هذه الآية زمن عام الفتح مجمعا عليه، بل ذكر اليزيدي أنّها نزلت قبل أن يصدوهم؛ فعلى هذا يكون الشرط واضحا))[2].

أمّا من قرأ بالفتح فجعلها مفعولاً من أجله و﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ مفعول ثان لـ: ﴿ يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ والكاف والميم مفعول أوّل، والتّقدير:« لا يكسبنكم شنآن قوم لأن صدّوكم عن المسجد الحرام الاعتداء »؛[3] لأنّ المشركين صدّوا النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- والمسلمين عن البيت، ومنعوهم دخول مكة، فهو أمرٌ قد مضى، وعليه أتى التفسير[4]، لأنّه روي أنّ المشركين لما صدّوا النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم- عن البيت بالحديبية مرّ بالمسلمين ناسٌ من المشركين يريدون العمرة، فقالوا:((نصدّ هؤلاء كما صدّونا))[5]، فأنزل الله تعالى هذه الآية .[6] فعلى هذا يجب أن تكون « أن » مفتوحة؛ مفتوحة؛ لأنّ المفتوحة تدلّ على أمر قد كان وانقضى، وهي أمكن في المعنى كما قال ابن عطية(ت541هـ)[7]، والمكسورة تدلّ على أمر لم يقع.[8]

نخلص ممّا سبق أنّ الثّمرة المرجوة من القراءتين واحدة ومآلهما واحد وهو حرمةُ الاعتداء على المشركين، وهو المقصد العام من القراءتين، ولكن لكلّ قراءة حكما مستقلا تنصّ عليه، فقراءةُ الفتح أفادت النهي عن الاعتداء على المشركين لصدٍّ كان قد سلف، أمّا قراءة الكسر فجاء النّهي فيها

---

[1]- إعراب القرآن: المصدر السابق، ص: 222.

[2]- البحر المحيط: المصدر السابق، ج3، ص: 322.

[3]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 214. حجة القراءات: المصدر السابق، ص:220. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 261. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 431.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 444. شرح الهداية: المصدر نفسه، ج2، ص: 262.

[5]- الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1993م، الجزء الثالث، ص:9.

[6]- جامع البيان: المصدر السابق، ج6، ص: 65. الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 46.

[7]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 510.

[8]- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، د.ت، الجزء الأول، ص: 218.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لصدٍ منتظر وقوعه مستقبلاً، فقراءة الفتح لما مضى والكسر لما يستقبل، وهذه الأحكام هي مقاصد جزئية جاءِ بها هذا الاختلاف، ولا يتأتى معنى الآية أو مقصد الآية إلا بالجمع بين الحكمين. هذا مع العلم أنّ نوع المقصد المشار إليه هو مقصد التشريع، مع العلم أنّ الفرق بينهما في كسر الهمزة وفتحها، وهو تغاير في الحروف.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك عندي أنّهما قراءتان معروفتان مشهورتان في قراءة الأمصار، صحيح معنى كل واحدة منهما)).[1]

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج6، ص: 65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾[1]

تشيرُ هذه الآية إلى قصّة المائدة التي تعدّ من النّعم التي امتن الله – عزّ وجلّ- بها على عيسى- عليه السلام - وقومه، وهي دليلٌ قاطع على قدرة الله– عزّ وجلّ-، فأنزلها الله– عزّ وجلّ- أية ودلالة معجزة باهرة وحجّة قاطعة وعلى صدق نبوّة نبيّه عيسى - عليه السلام-، فأجابهم - عليه السلام- بأن يتقوا الله، فعسى طلبكم هذا يكون فتنة لكم، وتوكّلوا على الله– عزّ وجلّ- في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿يَسۡتَطِيعُ﴾و﴿رَبُّكَ﴾، فقرأهما الكسائي وحده بالتاء ونصب ﴿رَبَّكَ﴾، وقرأ الباقون بالياء ورفع ﴿رَبُّكَ﴾[3]. فما الفرق بين القراءتين ؟ وما هو النوع المشار إليه من جانب المقاصد؟

من قرأ بالتاء ونصب أجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى- عليه السلام-، وفيه معنى التعظيم للرّب -جلّ ذكره-، فهو المستطيع لذلك ولا يعجزه فعل شيء، وإنّما المعنى في ذلك: « هل تستطيع سؤال ربّك »[4]، وهي على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه.[5]

وذكروا هنا الاستطاعة في سؤالهم له لا لأنّهم شكّوا في استطاعته، ولكن ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم[6]، أي أنّك مستطيع فما يمنعك، وهذا كما تقول للرجل:« هل تستطيع أن تكلمني »، وأنت على دراية تامّة أنّه مستطيع لذلك، فإنّما معناه على وجه الأمر افعل ذلك، أي

---

[1]- سورة المائدة: الآية 112.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج 3، ص: 225.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 249. التيسير: المصدر السابق، ص:101. الإقناع: المصدر السابق، ص: 636.

[4]- الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 455.

[5]- شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص:271.

[6]- الحجة: المصدر السابق، ص: 273. مجمع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 263.

إنّك مستطيع فاسأل[1]، ومرادهم بالاستفهام التلطّف في استدعاء السؤال .[2]

وقد روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنّها قالت: ((كان القوم أعلم بالله -عز وجلّ- من أن يقولوا: هل يستطيع ربّك، ولكن: هل تستطيع ربّك، وروي عنها أنّها قالت: كان الحواريون لا يشكّون أنّ الله يقدر على إنزال مائدة عليهم، ولكن قالوا: هل تستطيع ذلك)).[3]

ومن المعاني أيضا ما ورد عن الزجاج(ت 311هـ) في قوله: ((المعنى هل تستدعي إجابتَه وطاعته في أن يُنزل علينا)).[4] أي هل عندما نطيعه يُنزّل عينا ما نريده. وهي عند الفرّاء(ت207هـ) بمعنى القدرة على السؤال عندما قال: ((هل تقدر على أن تسأل ربك)).[5]

ممّا تقدّم يتبيّن لنا من أنّ هذه القراءة أفادت عدّة معان، المعنى الأوّل هو سؤال عيسى -عليه السلام- الله -عزّ وجل- أن ينزّل المائدة عليهم، والخطاب موجهٌ إليه، مع العلم أنّهم غير مشكّكين في استطاعة الله -عزّ وجلّ- وإنّما هو احتجاج عليه منهم، وفيه معنى التعظيم للرّب -عزّ وجلّ-، والمعنى الثاني هو ما ذهب إليه الزجاج(ت 311هـ) في أن طاعته وإجابته تستدعي الإنزال، والمعنى الثالث هو القدرة على السؤال.

أمّا القراءة بالياء مع الرفع فهي بمعنى: « هل يفعل ربّك ذلك »[6]، أو « هل يستجيب لك ربّك ربّك إن سألته ذلك ».[7] لأنّ الاستطاعة تأتي بمعنى الطاعة، وأطاع بمعنى أجاب[8]. وقيل المعنى: « هل يقدر ربّك ».[9]

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 460. الموضح: المصدر السابق، ج1، ص: 455. الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 365.

[2]- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 157.

[3]- الأثر أخرجه محمد بن عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1990م، الجزء الثاني، ص:260، رقم:2935، بسند صحيح عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-.

[4]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج2، ص: 220.

[5]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 1، ص: 325.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص:461. معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 343.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص:241. جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 131.

[8]- الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 364. روح المعاني: المصدر السابق،ج7، ص: 59.

[9]-- الجامع: المصدر نفسه، ج6، ص: 364.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذن الفعل في هذه القراءة مسند إلى الله تعالى، وليس المعنى عندما قالوا ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾أنّهم كانوا شاكين في قدرة الله– عزّ وجلّ-؛ لأنّهم كانوا مؤمنين بدليل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، فقد أرادوا المعاينة لذلك فقط، كما قال إبراهيم - عليه السلام- : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾[2]. وقد كان إبراهيم- عليه السلام- علم ذلك علمَ خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريْبٌ ولا شبهة؛ لأنّ علمَ النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك[3]؛ لذلك قال الحواريون: ﴿ وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾[4]. وكما قال إبراهيم- عليه السلام-﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾[5].

يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((وجرى قوله تعالى:﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾على طريقة عربية في العرض والدعاء، يقولون للمستطيع لأمر: هل تستطيع كذا، على معنى تطلّب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك، وأنّ السّائل لا يحبّ أن يكلّف المسؤول ما يشقّ عليه، وذلك كناية فلم يبق منظورا فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنّه يشكّ في استطاعة المسؤول، وإنّما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيء يعلم أنّه مستطاع للمسؤول، فقرينة الكناية تحقّق المسؤول أنّ السّائل يعلم استطاعته. ومنه ما جاء في حديث يحيى المازني: أنّ رجلاً قال لعبد الله ابن زيد: « أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ »[6]. فإنّ السائل يعلم أنّ عبد الله ابن زيد لا يشقّ عليه ذلك . فليس قول الحواريين الحواريين المحكي بهذا اللّفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدلّ على التلطّف والتأدّب في السؤال،

---

[1]- سورة الصف: الآية 14.

[2]- سورة البقرة: الآية 260.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج 1، ص: 461. الموضح: المصدر السابق،ج1، ص: 455. الجامع: المصدر السابق، ج6، ص: 365.

[4]- سورة المائدة: الآية 113.

[5]- سورة البقرة: الآية 260.

[6]- صحيح البخاري: المصدر السابق، ج1، ص:80، رقم: 183. صحيح مسلم: المصدر السابق، ج1، ص:210، رقم:235.

كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص. وليس شكًا في قدرة الله تعالى ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس، فإنّ النفوس بالمحسوس آنس))[1].

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ هذه القراءة أفادت معنيين، المعنى الأول إمكانية استجابة الله -عزّ وجلّ- لدعاء عيسى –عليه السلام- بإنزال المائدة، والمعنى الثاني: قدرة الخالق في إنزال المائدة، وكلا المعنيين جاء بأسلوب الاستفسار الذي جاء بأسلوب التلطّف والأدب مع الله– عزّ وجلّ- وليس شكًا في قدرة الله– عزّ وجلّ-، كما أنّ الهدف منه زيادة الاطمئنان وأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس.

وعليه فالقراءة الأولى على العموم جاءت بمعنى أن يسأل عيسى - عليه السلام- ربّه بإنزال المائدة، والقراءة الثانية جاءت تسأل هل يستجيب الله – عزّ وجلّ- لعيسى -عليه السلام- سؤاله، وإذا استجاب فهل يقدر على إنزالها، فجاء الجواب:﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ ﴾[2]وسؤال عيسى – عليه السلام- لربّه دليل أنّه لو كان إلها لما كان بحاجة أن يطلب شيئا من أحد، وإجابة الدعاء دليل آخر على عبوديته وبشريته وفقره وحاجته إلى الله– عزّ وجلّ-، عكس ما علمه وادعاه النصارى. أليست كلّ قراءة تكمّل القراءة الأخرى.

ممّا سبق ومن كلّ هذه المعاني التي تعتبر مقاصد جزئية لمقصد واحد ألا وهو سؤال عيسى- عليه السلام- ربّه في إنزال المائدة يندرج تحت مقصد القصص وأخبار الأمم السالفة .

يقول الطبري(ت310هـ): ((وأولى القراءتين عندي بالصواب: قراءة من قرأ ذلك ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ ﴾ بالياء ربك برفع الرب بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه))[3].

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج7، ص: 105.

[2]- سورة المائدة: الآية 115.

[3]- جامع البيان: المصدر السابق، ج7، ص: 129.

المثال الثالث : قوله تعالى:

﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾[1]

من نعم الله -عزّ وجلّ- على المسلمين في غزوة بدر إلقاء النعاس عليهم حتى غشيهم كالغطاء، وكان ذلك أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوّهم وقلة عددهم، ثمّ أنزل عليهم المطر ليطهّرهم به، ويُذهب عنهم وسوسة الشيطان، وليربط على قلوبهم بالصبر، ويُثبّت أقدامهم للإقدام على مجالدة الأعداء[2].

وقد اختلف القراء في لفظة ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ و﴿ٱلنُّعَاسَ﴾، فقرأ نافع بضمّ الياء والتخفيف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والتخفيف، وبألف بعد الشين، وقرأ الباقون بضمّ الياء وفتح الغين والتشديد من غير ألف، وقرأ ابن كثير و أبو عمرو برفع النعاس، وقرأ بالنّصب الباقون.[3] فما الفرق الذي نستوحيه من هذا الاختلاف؟ وما - نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

يفسّر ابن عاشور(ت1393هـ)لفظة ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ بقوله: ((الغشي والغشيان كون الشيء غاشيا أي: غاما ومغطيا، فالنّوم يُغطي العقل، والنّعاس: النوم غير الثقيل)).[4]

من قرأ بألف ورفع « النعاس» فإنّه أضاف الفعل إلى « النّعاس »، ودليله قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ﴾[5] فكما أسند الفعل إلى « النعاس» أو الأمنة التي هي من النعاس، فأخبر أنّ النعاس هو الذي يغشى القوم.[6] لذلك تقول:« غشيني النعاس يغشاني ».[7]

---

[1]- سورة الأنفال: الآية 11.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج4، ص: 22.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص 304. التيسير: المصدر السابق، ص:116. الإقناع: المصدر السابق، ص: 654.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 278.

[5]- سورة ءال عمران: الآية 154.

[6]- الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 372. الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 126.

[7]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 308.

يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((إسناد الغشي إلى النعاس حقيقة على المتعارف، وقد علم أنّه من تقدير الله)).[1]

أمّا قراءة الباقين فهي على معنى واحد، وقد جاء التنزيل بهما في قوله تعالى:﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾[2] والفاعل فيها هو الله -عزّ وجلّ- وليس النّعاس لتقدّم ذكره في قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[3]ونصب النعاس لتعدي الفعل إليه، ويقوّيه أنّ أنّ بعده فعلا مسندا إليه: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم ﴿١١﴾﴾[4] فأضاف الفعل إلى الله -عزّ وجلّ-، فكذلك فكذلك الإغشاء يضاف إلى الله– عزّ وجلّ-، ليتشاكل الكلام. ولأنّ بعده ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾والهاء تعود على الله. [5] والإغشاء كان من أسباب النصر، فلا جرم أن يكون وقت حصوله ظرفا للنصر .[6]
.[6]

يقول ابن عاشور(ت1393هـ): ((فإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله لأنّه الذي قدر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عاما سائر الجيش فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم)) .[7]

والأمنة يقول ابن عاشور(ت1393هـ) ((الأمن وهو منصوب على المفعول لأجله على قراءة من نصب النعاس، وعلى الحال على قراءة من رفع النعاس.

وإنّما كان النعاس أمنا لهم لأنّهم لما ناموا زال أثر الخوف من نفوسهم في مدّة النوم فتلك نعمة، ولما استيقظوا وجدوا نشاطا، ونشاط الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة ويزيل شعور الخوف الذي هو فتور الأعصاب، وصيغة المضارع في ﴿ يُغشيكم﴾ لاستحضار الحالة))[1].

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص: 278.

[2]- سورة يس: الآية 9.

[3]- سورة الأنفال: الآية 10.

[4]- سورة الأنفال: الآية 11.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 69. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 321. الجامع: المصدر السابق، ج7، ص: 372.

[6]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج9، ص:278.

[7]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نخلص ممّا سبق أنّ القراءتين تؤولان إلى معنى واحد يعرضه السياق القرآني عرضا حيا وهو أن الله -عزّ وجلّ- هو المغشّي على كلتا القراءتين حتى وإن أسند فعل الإغشاء إلى النعاس على قراءة ابن كثير ومن معه، إلا أنّه عُلم أنّه من تقدير الله– عزّ وجلّ-، ومع ذلك فالاختلاف بينهما يحقّق تعدّد الأساليب في عرض المعنى المقصود الذي هو المقصد العام، والذي يندرج تحت مقصد التبشير، إضافة إلى بروز أوجه بلاغية، ومهما ارتقى البيان البشري في تعدّد الأساليب على المعنى الواحد فلن يبلغ درجة البيان القرآني.

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

الاختلاف في صور الالتفات والجانب الصرفي

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الاختلاف في صور الالتفات

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب الصرفي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطالب الأول : الإختلاف في صور الالتفات

في هذا المطلب مثال واحد لكلمة قرآنية قرئت بوجه الالتفات، وسوف نحاول أن نستخرج منها المعاني والدلالات التي نستجليها من هذا التغيير مع إبراز نوع المقصد المشار إليه.

قوله تعالى:

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾[1]

يوضّح الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية بأنّ المنافقين يختبرون، في كلّ عام مرّة أو مرّتين، ولا يتوبون من ذنوبهم السالفة، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم[2] .

وقد اختلف القراء في لفظة ﴿يَرَوْنَ﴾ فقرأ حمزة ويعقوب بالتاء، وقرأ الباقون بالياء[3]. فما المعاني التي تحملها كلّ قراءة ؟ وما نوع المقصد المشار إليه؟

يقول ابن عاشور(ت 1393هـ): ((والاستفهام هنا إنكار وتعجيب لعدم رؤيتهم فتنتهم فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم. والغرض من هذا الإنكار هو الاستدلال على ما تقدم من ازدياد كفر المنافقين وتمكنه كلما نزلت سورة من القرآن بإيراد دليل واضح ينزّل منزلة المحسوس المرئي حتى يتوجه الإنكار على من لا يراه)).[4]

من قرأ بالتاء فهي على المخاطبة من الله تعالى للنّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، والمراد المؤمنون وكذلك إخبارا عن المنافقين [5] والمعنى:« أو لا ترون أيها المؤمنون أنّ المنافقين يفتنون في كلّ عام، أي يمتحنون بالأمراض والشدائد والأسباب التي يخاف معها الموت، فلا يرجعون عن كفرهم ونفاقهم »[6].

---

[1]- سورة التوبة: الآية 126.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج4، ص: 240.

[3]- السبعة: المصدر السابق، ص: 320. التيسير: المصدر السابق، ص:120. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 395.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج11، ص: 67.

[5]- الجامع: المصدر السابق، ج 8، ص: 299. شرح الهداية: المصدر السابق، ج2، ص: 335.

[6]- الموضح: المصدر السابق، ج2، ص:609.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فتكون معنى القراءة كما قال ابن عاشور(ت 1393هـ): ((من تنزيل الرائي منزلة غيره حتى ينكر عليه عدم رؤيته ما لا يخفى)).[1]

نستخلص من هذا المعنى أنّه تنبيه للمؤمنين على ما يعرض للمنافقين من فتن كي ينتبهوا لحالهم.

قال أبو علي(ت377هـ): ((﴿أولا ترون﴾ تنبيه، قال سيبويه عن الخليل: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾[2] المعنى: انتبه أنزل الله من السماء ماء، فكان كذا وكذا)).[3]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ الخطاب جاء على سبيل التنبيه وموجّه للمؤمنين إخبارا عن حال المنافقين، أمّا قراءة الباقين فهي إخبار عن المنافقين لتقدّم ذكرهم، وفيه أيضا إخبار للنّبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن حال المنافقين. والمعنى:« أولا يرى هؤلاء المنافقون أنّ الله يختبرهم في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون »[4] وفي هذا المعنى معنى التوبيخ والتقريع على تماديهم على نفاقهم مع ما يرونه من من فتن، والإقلاع عما هم عليه من النفاق [5].

يقول الرازي (ت656هـ): ((ومن قرأ على المغايبة كان المعنى تقريع المنافقين بالإعراض عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الأمور الموجبة للاعتبار)).[6]

كما أنّ من معان القراءة معنى التنبيه، لكنّه على هذه القراءة موجّه للمنافقين دون المؤمنين؛ لأنّهم الأولى بالتنبيه، فهم الموصوفون بأنّهم يمتحنون فلا ينزجرون.[7]

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ القراءة أفادت معنى التنبيه الموجّه للمنافقين لأنّهم الأولى بالتنبيه دون غيرهم، كما أفادت معنى التوبيخ والتقريع.

1- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج11، ص: 67.

2- سورة الحج: الآية 63.

3- الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 232.

4- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 73.

5- مفاتيح الأغاني: المصدر السابق، ص: 202. الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 233. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 88.

6- التفسير الكبير: المصدر السابق، ج16، ص: 232.

7-. الحجة: المصدر السابق، ج4، ص: 233. الموضح: المصدر السابق، ج2، ص: 610.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعلى كلتا القراءتين يحتمل أن تكون الرؤية من رؤية العين أومن رؤية القلب، ورؤية العين أولى وأحسن؛ لأنّه علم لا يدخله ريب، فذلك أقوى عليهم في الحجّة.[1]

نخلص ممّا تقدّم أنّ القراءتين أفادتا معنيين، لكلّ معنى دلالته ومقصده، وكلّه يندرج تحت مقصد واحد ألا وهو الوعظ والإنذار والتحذير للمؤمنين والمنافقين بشكل أخصّ، وذلك لأنّ كلّ قراءة آية، والجدير بالذكر أنّ الفرق بين القراءتين وقوع حرف مكان حرف فحسب.

يقول الطبري(ت 310هـ): ((والصواب عندنا من القراءة في ذلك: الياء على وجه التوبيخ من الله لهم، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه وصحة معناه)).[2]

[1]- الحجة: المصدر نفسه. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 88.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج11، ص: 73.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب الصرفي

في هذا المطلب أمثلة قرآنية تعبّر عن التغييرات الحاصلة في القراءات القرآنية، الناجمة عن الاختلاف الحاصل في ميزان الكلمة، وسوف نحاول أن نستجلي دلالة كلّ قراءة مبرزين بذلك المعاني والمقاصد المنشودة من هذا الاختلاف.

المثال الأول: قوله تعالى:

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]

نهى الله - عزّ وجلّ- في هذه الآية عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين، وأخبر أنّه من يفعل ذلك فقد برئ الله منه إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته. [2]

وقد اختلف القرأة في لفظة ﴿تُقَىٰةً﴾، فقرأها الجمهور بضمّ المثناة الفوقية وفتح القاف بعدها ألف، وقرأ يعقوب بفتح الفوقية وكسر القاف وفتح التحتية مشدّدة.[3] فما الفرق بين القراءتين؟ وما نوع المقصد المشار إليه من هذا الاختلاف؟

من قرأ ﴿تقية﴾ فهي مصدر على فعيلة كالقطيعة، ويجوز أن يكون اسما للمصدر بمعنى الاتقاء، فوضعوا الاسم موضع المصدر كما وضعوا النفقة موضع الانفاق، والمعنى: إلا أن تتقوا منهم اتقاء،[4] والاتقاء هو تجنّب المكروه.[5]

---

[1]- سورة ءال عمران: الآية 24.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج2، ص:30.

[3]- تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 320.

[4]- الموضح: المصدر السابق،ج1، ص: 367.

[5]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج3، ص: 220.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمّا قراءة الجمهور فيجوز أن تكون اسما للمصدر كما تقدّم في القراءة الأولى، ويجوز أن تكون جمع تقي.[1] والتقوى هي جعل النفس في وقاية مما يخاف .[2]

وتقية وتقاة مصدران بمعنى الوقاية، يقال: اتقى، يتقي، اتقاء، وتقاة وتقية.[3] والوقاية هي حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه.[4]

والتقية عند الزجاج (ت316هـ) هي خوف القتل إلا أنّ هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النية وخوف القتل،[5] وكلا القراءتان عند الفرّاء (ت207هـ) صواب.[6]

وقد جاء في تفسير هذه اللفظة: ((إلا أن تخافوا منهم مخافة، فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنّما هي تقية من الكفار، لا من غيرهم)). [7]

قال أبو منصور(370هـ): ((من قرأها ﴿تقية﴾ فهي اسم من اتقى يتقي اتقاء أو تقية، فالاتقاء مصدر حقيقي. والتقية اسم يقوم مقام المصدر. ومن قرأ ﴿تُقَىٰةً﴾ فله وجهان أحدهما أنّ التقاة اسم يقوم مقام الاتقاء أيضا مثل التقية، والوجه الثاني أنّ قوله﴿تُقَىٰةً﴾ جمع تقى)).[8]

وعن فائدة التأكيد بالمفعول المطلق وزمن التقية يتكلّم ابن عاشور(ت1393هـ) في تحريره فيقول: ((وفائدة التأكيد بالمفعول المطلق هنا: الإشارة إلى تحقّق كون الحالة حالة تَقية، وهذه التقية مثل الحال التي كان عليها المستضعفون من المؤمنين الذين لم يجدوا سبيلا للهجرة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[9] ومثل الحالة التي لقيها مسلمو الأندلس حين أكرههم النصارى على الكفر فتظاهروا به إلى أن تمكّنت طوائف منهم من الفرار، وطوائف من استئذان

[1]- الموضح: المصدر السابق،ج1، ص: 367.

[2]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 881.

[3]- القراءات وأثرها: المصدر السابق، ج1، ص: 647.

[4]- مفردات ألفاظ القرآن: المصدر السابق، ص: 881.

[5]- معاني القرآن للزجاج : المصدر السابق، ج1، ص: 396.

[6]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج1، ص: 205

[7]- جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 229.

[8]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص:250.

[9]- سورة النحل : الآية 106.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكفار في الهجرة إلى بلاد الإسلام فأذن لهم العدو، وكذلك يجب أن تكون التّقاة غير دائمة لأنّها إذا طالت دخل الكفر في الذراري)).[1]

ممّا سبق يتبين لنا أنّ القراءتين أفادتا معنى الحالة التي يكون عليها المسلمون مع الكفار وهي حالة بين الاتقاء والتقية، فالاتقاء هو تجنّب المكروه والتقية هي خوف القتل، وعلى كلا القراءتين هي وقاية من الوقوع في الضرر، وعليه فالقراءتين على اختلافهما في ميزان الكلمة إلا أنّهما يتفقان معنى، ممّا يدلّ على درجة بيان القرآن وإعجازه في اللفظة المختلفة لفظا والمتفقة معنى. مع العلم أنّ المقصد منهما واحد ونوعه يندرج تحت مقصد المواعظ والإنذار والتحذير.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والقراءة التي هي القراءة عندنا، قراءة من قرأها ﴿تُقَـٰةً﴾ لثبوت حجة ذلك بأنّه القراءة الصحيحة، بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه الخطأ)).[2]

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج3، ص: 221.

[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج3، ص: 230.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المثال الثاني: قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾[1]

تشيرُ الآية إلى ضرورة التثبّت في الأحكام وعدم التّسرّع في أمر القتل، إذ يجب على كلّ من سار إلى جهاد الأعداء أن يتمهّل ويتبيّن حقيقة من يُقاتل أهو مسلمٌ أم كافر، مسالمٌ أم محارب، وأنّه يكتفي في الحكم على الشخص بالإسلام بالنطق بالشهادتين في الظاهر، دون الكشف عن السرائر[2].

وقد اختلف القراء في لفظة ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾، فقرأها نافع و ابن عامر وحمزة وخلف بدون ألف بعد اللام، وقرأ الباقون بالألف[3]، فما الفرق بين القراءتين ؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

من قرأ بدون ألف فالمعنى أنّه أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين[4] والإعطاء بيده[5]، كما أنّ من معانيها عند ابن زنجلة (ت403هـ) والزجاج (ت316هـ) المقادة والاستسلام[6]، وعليه فيكون المعنى: « لا تقولوا لمن استسلم إليكم وانقاد لست مسلما فتقتلوه حتى تتبينوا أمره »[7].

---

[1]- سورة النساء : الآية 94.

[2]- ينظر: التفسير المنير: المصدر السابق، ج 5، ص: 217.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 97. الإقناع: المصدر السابق، ج2، ص:631. تحبير التيسير: المصدر السابق، ص: 342.

[4]- الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 177. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 255.

[5]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج1، ص: 283.

[6]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 209. معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج2، ص: 89.

[7]- الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1 ، ص: 434.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى ألقى السلم عند ابن عاشور(ت1393هـ) هو ضد الحرب بمعنى: « أظهره بينكم كأنّه رماه بينهم »[1].

ومن قرأ ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ فتحتمل معنيين اثنيين هما:

- أن يكون بمعنى السلام الذي هو تحية المسلمين، أي: لا تقولوا لمن حياكم هذه التحية إنّما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف، لتأخذوا سلبه ولكن كفّوا عنه، واقبلوا منه ما أظهره من ذلك وارفعوا عنه السيف، وتحية الإسلام هنا علامة على أنّه مسلم.

- والآخر أن يكون المعنى: « لا تقولوا لمن اعتزلكم وسالمكم وكف يده عنكم لست مؤمنا »[2].

- ويحتمل أيضا أن يكون بمعنى القراءة الأولى. [3]

فأعلم الله – عز وجلّ- من كل هذا أنّ حق من ألقى السلام أن يتبيّن أمره.[4]

ويحتمل من القراءتين أيضا أن يكون بمعنى الإسلام وهذا ما ذهب إليه الزمخشري(ت528هـ) في تفسيره عندما قال: ((وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الإسلام، وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام)).[5]

وهذا ما ذهب إليه أبو منصور(ت370هـ) في كتابه المعاني بل أنّه أضاف معنى آخر للقراءة الأولى وهو معنى الصلح، في قوله: ((من قرأ إليكم ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ فقد جاء في التفسير أنّ رجلا سلّم على بعض سرايا المسلمين وظنوا أنه عائذ بالإسلام وليس مسلما فقتل، ومن قرأ ﴿السلم﴾ فمعناه الاستسلام والسلم يكون بمعنى الصلح ويكون بمعنى الإسلام)).[6]

---

[1]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج5، ص: 167.

[2]- التحرير والتنوير: المصدر نفسه، ج5، ص: 167. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 255. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 434. الحجة: المصدر السابق، ج3، ص: 177. معاني القرآن للنحاس، المصدر السابق، ج2، ص:167.

[3]- معاني القرآن للنحاس : المصدر نفسه.

[4]- حجة القراءات: المصدر السابق، ص: 209

[5]- الكشاف: المصدر السابق، ص: 254.

[6]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج1، ص: 315.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمّا السمين الحلبي(ت756هـ) فقد وجّه القراءتين بقوله: ((فأمّا السلام فالظاهر أنّه التحية وقيل الاستسلام والانقياد والسلم الانقياد فقط)).[1]

ممّا سبق يتبين لنا أنّ القراءتين أفادتا عدّة معان، كلّ معنى له دلالته المقصودة في الآية، فالقراءة الأولى أفادت معنى الاستسلام والانقياد والإعطاء والمقادة والإسلام والصلح، وكلّها معان متقاربة في المعنى، بل أنّ بعضها له نفس المعنى، فالاستسلام هو الإسلام أمّا الانقياد والإعطاء فيدخلان في هذا المعنى وكلّ يصبّ في معنى الصلح والسلم، لأنّ هذا الأخير بمعانيه أريد به إظهاره، والهدف من ذلك كلّه هو الصلح لذلك وجب على المؤمنين أن يتبينوا في الأمر دون عجل.

أمّا القراءة الثانية فقد أفادت معنى تحية الإسلام وهي علامة على أنّ هذا الشخص مسلم، والمعنى الثاني عدم نفي الإيمان عنه لأنّه سالم و اعتزل وكفّ يده، والمعنى الثالث يشترك مع معنى القراءة الأولى في معنى الانقياد والاستسلام، وعليه لابدّ من كلّ من ألقى السلام أن يتبيّن أمره. وعلى كلا القراءتين فالمستسلم هو مسلم والمحيي بتحية الإسلام مستسلم، وكلّ يدخل في معنى السلم و السلام، وعليه فالقراءتان متداخلتان متقاربتان متكاملتان يحققان المعنى المقصود.

وكلّ هذه المعاني المستنبطة من القراءتين كان سببها حرف واحد فقط هو حرف الألف، ويدخل في باب الاختلاف في ميزان الكلمة، كما تعتبر هذه المعاني مقاصد جزئية لمقصد عام هو التبين من أمر من ألقى السلم والسلام كي يتثبت أمره ولا ينفى عنه الإيمان، فيقدم على قتله. مع العلم أنّ هذا المقصد العام يندرج تحت مقصد التشريع.

يقول الطبري (ت310هـ): ((والصواب من القراءة في ذلك عندنا لمن بمعنى: من استسلم لكم، مذعنا لله بالتوحيد، مقرا لكم بملتكم، وإنما اخترنا ذلك لاختلاف الرواية في ذلك، فمن راو روى أنّه استسلم بأن شهد شهادة الحق، وقال إني مسلم، ومن راو روى بأنّه قال السلام عليكم، فحياهم تحية الإسلام، ومن راو روى أنّه كان مسلما بإسلام قد تقدم منه قبل قتلهم إياه، وكلّ هذه المعاني يجمعه السلم؛ لأنّ المسلم مستسلم والمحيي بتحية الإسلام مستسلم، والمتشهد شهادة الحق مستسلم لأهل الإسلام، فمعنى السَّلم: جامع جميع المعاني التي رويت في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه هذه الآية وليس كذلك في السلام، لأنّ السلام لا وجه له في هذا الموضع إلا التحية، فلذلك وصفنا السلَم بالصواب)).[2]

[1]- الدر المصون: المصدر السابق، ج4، ص: 74.
[2]- جامع البيان: المصدر السابق، ج5، ص: 226.

المثال الثالث: قوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾[1]

يقول الله – عزّ وجلّ- عن هذه السورة بأنّها سورة أنزلها - وفيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها - وبيّن حلالها وحرامها وأنزل فيها آيات مفسرات واضحات.[2]

وقد اختلف القرأة في لفظة﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء، وقرأ الباقون بتخفيف الراء[3]. فما الفرق بين القراءتين؟ وما نوع المقصد المشار إليه ؟

يخالف ابن عاشور (ت1393هـ) المفسّرين في تفسير هذه اللفظة بقوله: ((أن يكون الفرض هنا بمعنى التعيين والتقدير، وهي عند المفسّرين أوجبنا العمل بما فيها، وإنّما يليق هذا التفسير بالنّظر إلى معظم هذه السورة لا إلى جميعها فإنّ منها ما لا يتعلّق به عمل)).[4] وأظنّه جانب الصواب بحجّته هذه، وإن كان المعنى الذي ذهب إليه يتداخل مع المعاني التي سوف نستجليها من الاختلاف الحاصل في اللفظة.

من قرأ بالتشديد فتحتمل عدّة معان من بينها:

- الكثرة بمعنى لكثرة ما فيها من الفرض، أي فرضنا فيها فروضا كثيرة.[5] والحجّة في التشديد عند النحاس(ت338هـ) أنّنا أنزلنا فيها فرضا بعد فرض، فلما كثرت شدّد الفعل.[6]

---

[1]- سورة النور: الآية 1.

[2]- ينظر: تفسير القرآن: المصدر السابق، ج6، ص: 5.

[3]- التيسير: المصدر السابق، ص: 161. الإقناع: المصدر السابق، ص: 711.

[4]- التحرير والتنوير: المصدر السابق، ج18، ص: 143.

[5]- ينظر: الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 309. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 439.

[6]- معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 201.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- كثرة المفروض عليهم.[1]

- التفصيل والبيان والتحديد بمعنى بيّنا وفصّلنا وحدّدنا ما فيها من الحلال والحرام [2].

- المبالغة في الإيجاب والتوكيد.[3]

- ويجوز أن يكون التشديد على معنى فرضناها عليكم وعلى من بعدكم فشدّد لكثرة المفروض عليهم.[4]

نخلص ممّا سبق أنّ قراءة التشديد أفادت معنى الكثرة ، وهذه الأخيرة حاصلة بسبب كثرة الفروض الموجودة في السورة وكثرة المفروض عليهم، كما أفادت معنى التفصيل والبيان والتحديد، والهدف من ذلك كلّه المبالغة في إيجاب هذه الفروض وتوكيدها.

أمّا من قرأ بالتخفيف فتحتمل كذلك معان منها:

- القلة والكثرة بمعنى يصلح للقليل والكثير.[5]

- الوجوب بمعنى أوجبنا ما فيها[6] وألزمناكم العمل بما فرض فيها من الواجبات والحقوق.[7]

يقول ابن عطية(ت541هـ) في معنى هذه القراءة : ((معناه الإثبات والإيجاب بأبلغ وجوهه إذ هو مشبه بالفرض في الإلزام)) .[8]

- يقصد بها:« فرضنا فيها فرائض مختلفة أو فرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة»[9] ويدخل هذا المعنى مع معنى القراءة الأولى.

---

[1]- الدر المصون: المصدر السابق، ج8، ص: 379. البحر المحيط: المصدر السابق، ج6، ص: 393.

[2]- ينظر: معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 27. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 236. شرح الهداية: المصدر السابق، ص: 439. مجاز القرآن: المصدر السابق، ج2، ص:63.

[3]- الدر المصون: المصدر السابق، ج8، ص: 379. البحر المحيط: المصدر السابق، ج6، ص: 393. الكشاف: المصدر السابق، ص: 717.

[4]- الكشاف: المصدر نفسه، ص: 717. الكشف عن وجوه القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 236.

[5]- الحجة: المصدر السابق، ج5، ص: 309.

[6]- شرح المهدوي: المصدر السابق، ص: 439. معاني القرآن للنحاس: المصدر السابق، ج 4، ص: 493.

[7]- معاني القرآن للزجاج: المصدر السابق، ج4، ص: 27. معاني القراءات: المصدر السابق، ج2، ص: 201.

[8]- المحرر الوجيز: المصدر السابق، ص: 1343.

[9]- معاني القرآن للفراء: المصدر السابق، ج 2، ص: 244.

نخلص من هذه القراءة أنّها أفادت معنى القلة والكثرة ومعنى الوجوب والإلزام لكن ليس بصيغة المبالغة، وعليه إذا جمعنا كلّ المعاني من القراءة الأولى والقراءة الثانية نخلص إلى أنّ القراءتين متكاملتان، فالقراءة الأولى فصّلت الفرائض وبيّنت وحدّدت الحلال والحرام مع كثرة وقلّة هذه الفرائض، والقراءة الثانية أوجبت وألزمت العمل بهذه الفرائض، وبالتالي يكتمل المعنى من خلال الجمع بين القراءتين وإن كانت قراءة التشديد أقوى في المعنى من قراءة التخفيف.

وكلّ هذه المعاني هي معان جزئية لمقصد عام يندرج تحت مقصد التشريع أو مقصد التعليم.

يقول الطبري(ت310هـ): ((والصواب من القول في ذلك: أنّهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أنّ الله قد فصّلها، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام، وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما: التفريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب)).[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- جامع البيان: المصدر السابق، ج18، ص: 66.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد هذه الجولة المتواضعة في أطراف هذا الموضوع والموسوم بـ: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أخلص إلى مجموعة من النتائج والتوصيات.

أوّلا - النتائج: وأهمّها:

1- أنَّ الإعجازَ القرآني دائمٌ لا ينقطع، وأظهر إعجازٍ فيه هو الإعجاز البياني.

2- إنّ كلّ قراءة من القراءات تحمل روضة من المعاني والدلالات تساهم في بناء المعنى المقصود، وقد تتعدّد هذه المعاني، فكلّ قراءة تكمّل الأخرى فيما ورد فيها من معان، أو تفصّل ما ورد فيها من إجمال.

3- إن التغيير اللفظي الحاصل في القراءات القرآنية لا يتغير معه البيان السحري للقرآن الكريم، بل يبقى هذا البيان ويتنوّع ويمتدّ، كما يعطينا هذا التغيير تنوعا في الأساليب البلاغية وتعددا في وجوه الدلالة، ممّا يزيد التعبير القرآني جمالا ورونقا الأمر الذي يفضي إلى ثراء المعنى وغنائه، أليس اختلاف القراءات هو اختلاف تنوّع وليس تضاد.

4- سعةُ القراءات القرآنية وخصائصها البيانيّة المتعددة.

5- يتحقّق الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، بل أنّ تعدد القراءات هو في حد ذاته مظهر من مظاهر الإعجاز البياني.

6- تجلّت مظاهر الإعجاز البياني في السور المكية والمدنية من خلال صور بلاغية تمثّلت في محتوى البحث ومطالبه؛ كما أنّه كان أكثر وضوحا وبيانا في السور المكية منه في السور المدنية.

7- يُصاحِب هذا الاختلاف خصائص بيانية يمكن أن نضيفها إلى خصائص القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني. فمن بين الخصائص البيانية المتعلقة بالسور المكية ما يلي:

- ✓ معظم القراءات الواردة في السور المكية متقاربة ومتكاملة في المعنى.
- ✓ تعدّد المعاني على الأسلوب الواحد.
- ✓ بلاغة القرآن وقوّة معانيه خاصة في الجانب النحوي.
- ✓ قوّة الوجه البياني ووضوحه.
- ✓ تعدّد الصور البلاغية وتنوّعها.

أمّا فيما يخص الخصائص البيانية المتعلّقة بالسور المدنية فهي:

جمعية أ عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ✓ معظم القراءات الواردة في السور المدنية متداخلة ومتقاربة ومتكاملة في المعنى.
- ✓ تعدّد الأساليب في المعنى الواحد.
- ✓ تعدّد المعاني على الأسلوب الواحد.
- ✓ تعدّد الأوجه البلاغية بما يميّز البيان القرآني عن البيان البشري.
- ✓ توضيح القراءات المبهم لفظها الخاصة بالأحكام الشرعية.

8- إنَّ الاختلافَ الوارد في القراءات له دلالتُه ومعناه ومقاصده، كما أنّه يفيد المعنى المقصود من الآية.

9- أهميّةُ المقاصدِ القرآنية في ضوءِ القراءات القرآنية، فالاختلافُ الوارد فيها يحمل عدّةَ معانٍ ودلالاتٍ، وبالتالي فهو يحمل مقاصد جديدة تضاف إلى مقاصد القرآن الكريم، فتنوُّعُ الألفاظ القرآنية هو تنوُّعٌ للمعاني وبالتَّالي فهُو تنوُّع للمقاصِد، وهذا التنوّع يعدّ اختلاف تنوّع وليس اختلاف تضاد.

10- حوت السور المكية مقاصد العقيدة، ومقاصد القصص، ومقاصد المواعظِ والإنذار والتحذير والتبشير، في حين حوت السور المدنية على مقاصد التشريع، ومقاصد القصص، وبنسبة أقل مقاصد المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا ممّا يؤكّد الخصائص الخاصّة بالسور المكية والمدنية التي تكلّم عنها العلماء.

11- شملت هذه المقاصد العامة مقاصد جزئية وأقصد بها المعاني والدلالات التي جاءت بها القراءات القرآنية جرّاء الاختلاف البياني الوارد فيها، والتي جاءت متنوّعة ومتكاملة ومبيّنة لبعضها البعض.

12- إنّ المقاصد الجزئية جاءت نتيجة الاختلاف البياني في اللفظة القرآنية، ممّا يبيّن قيمة الإعجاز البياني، الذي لا يزال يثري مقاصد القرآن الكريم بالمعاني المستنبطة منه جرّاء الاختلاف الوارد في القراءات. ولعلّ هذه المقاصد دليلٌ واضح على قيمة الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية.

13- يعزّز هذا الإعجاز بحوث الإعجاز القرآني، ويعتبر إضافة جديدة في دراسات الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

14- الإعجاز البياني أصل معجزة النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، والإفادة منه هو الدعوة إلى الله -عزّ وجلّ-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا- التوصيات: وعلى ضوء هذه النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة، ظهرت لي بعض التوصيات والمقترحات، وهي كالآتي:

1- الاهتمامُ ببيانِ أوجه الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية.

2- العمل على استجلاء المقاصد الجزئية الواردة في القراءات القرآنية، وإضافتها للمقاصد العامة للقرآن الكريم.

3- الاهتمام ببيان الخصائص البيانية للسور المكية والمدنية في ضوء القراءات القرآنية.

4- التركيز على هذا النوع من الإعجاز لأنّه يعزز بحوث الإعجاز القرآني، كما يعتبر إضافة جديدة في دراسات الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

5- العمل على إخراج هذا التراث للفائدة.

وفي الأخير هذه فقط جوانب من أسرار الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية وأظنّها ستثري موضوع الإعجاز القرآني، والله أسأل أن يوفّقنا لخدمة كتابه العزيز، وأن يرزقنا تدبّره والعمل به، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس الفنية

وتشتمل على:

1- فهرس الآيات القرآنية .

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام.

3- فهرس الأشعار .

4- فهرس المصادر والمراجع

5- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ...........﴾	02	159
	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ.........﴾	05	159
البقرة	﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ........﴾	124	227
	﴿ أَتَأۡمُرُونَ............﴾	44	184
	﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾	47	228
	﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾	74	214
	﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا......﴾	81-80	220
	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا............﴾	85-84	229
	﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا............﴾	125	226
	﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ...........﴾	125	226
	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ .﴾	219	198
	﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ.....﴾	228	139
	﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾	229	69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ..........﴾	259	233
	﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ............﴾	259	235
	﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ..........﴾	259	235
	﴿رَبِّ أَرِنِي..........﴾	260	245
	﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾	260	245
	﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ...﴾	24	254
	﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ........﴾	37-35	180
	﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ..﴾	44	51
آل عمران	﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾	44	180
	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ........﴾	80-79	183
	﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾	90	64
	﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ..........﴾	125	207
	﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ...﴾	138	39
	﴿أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ........﴾	154	247
	﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾	195	23

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النساء	﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا...﴾	6	162
	﴿وَمَن يُشْرِكْ............﴾	48	200
	﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا....﴾	66	201
	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ..﴾	81	23
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ.........﴾	94	257-201
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ......﴾	150	86
المائدة	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ.........﴾	02	240
	﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ......﴾	03	54
	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم......﴾	13	213
	﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ..﴾	31	34
	﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾	67	53
	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ.........﴾	89	216
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟..﴾	87	216
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ..........﴾	89	224
	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ..﴾	91	199
	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى..﴾		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ ...﴾	110	236
	﴿ وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا ......﴾	112	243
	﴿ قَالَ ٱللَّهُ..............﴾	113	245
		115	246
الأنعام	﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾	2	88
	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ............﴾	94-93	125
	﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ.........﴾	62	91
	﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾	76	130
	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾	98	112
	﴿وَإِن تُطِعۡ ....﴾	116	65
	﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ.﴾	119	62
	﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ.﴾	145	62
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ.....﴾	159	85
الأعراف	﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ....﴾	36	66
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ..﴾	40	66
	﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ...﴾	83	142

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

129	114-113	﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ..........﴾	
171	134	﴿وَلَمَّا وَقَعَ...................﴾	
161	146	﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ......﴾	
132	149-148	﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ.......﴾	
132	150	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ................﴾	
69	170	﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ.......﴾	
118	206	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾	
248	10	﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ.............﴾	الأنفال
247	11	﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ....﴾	
248	11	﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم........﴾	
221	47	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	
230	67	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ........﴾	
186	37	﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ............﴾	التوبة
52	49-46	﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ .....﴾	
72	65	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ.........﴾	
251	126	﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ ....﴾	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

88	11	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ.........﴾	يونس
221	22	﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ..........﴾	
135	27	﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾	
47	38	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ..﴾	
138	89-88	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ....﴾	
47	13	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ...﴾	هود
51	49	﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ...﴾	
141	81	﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا..........﴾	
156	121	﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ....﴾	
155-91	123	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ.....﴾	
71	12-11	﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا.............﴾	يوسف
72	13	﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ......﴾	
89	15	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ .....﴾	
72	17	﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ.....﴾	
167	109	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا............﴾	
164	110	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ......﴾	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إبراهيم	﴿وَإِن تَعُدُّواْ..........﴾	34	222
الحجر	﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا..............﴾	04	94
	﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ.....﴾	08	94
	﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ...﴾	09	24 - 53
	﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾	22	57
	﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ...........﴾	95	53
النحل	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ.......﴾	09	26
	﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾	89	39
	﴿وَلَا تَنقُضُواْ...........﴾	91	217
	﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ......﴾	106	255
	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ.........﴾	125	64
الإسراء	﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى..........﴾	02	158
	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ...........﴾	23	145
	﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾	38-37	144
الكهف	﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ............﴾	10	161
	﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ..﴾	26	147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ....﴾	27	147
	﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ....﴾	55	109
	﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾	66	162
	﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾	78	127
	﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ.....﴾	104	05
مريم	﴿فَحَمَلَتۡهُ ....﴾	24 -22	149
	﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا.﴾	98	40
طه	﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ.............﴾	97	97
	﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ....﴾	102	137
	﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ..........﴾	120	204
الأنبياء	﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم....﴾	45	76
	﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾	26	118
	﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ.........﴾	80	121
الحج	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ............﴾	63	252
المؤمنون	﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا .....﴾	110-108	79

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

260	01	﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا..........﴾	النور
225 -199	14	﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ......﴾	الفرقان
95	25	﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾	
103	56 -52	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ....﴾	الشعراء
168	49	﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ.........﴾	النمل
82	23	﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ......﴾	القصص
115	48	﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ.......﴾	
115	49	﴿هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾	
63	13	﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ......﴾	العنكبوت
220	54	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ..............﴾	
152	66 -65	﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ....﴾	
52	4-1	﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾	الروم
189	13	﴿ يَقُولُونَ إِنَّ............﴾	الأحزاب
189	14	﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ..............﴾	
40	19	﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ ....﴾	
69	37	﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سبأ	﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي.........﴾	45	164
فاطر	﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ........﴾	32	23-16
يس	﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ...........﴾	09	248
الصافات	﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾	26	91
	﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ............﴾	138-137	136
ص	﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ...﴾	14	164
	﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ......﴾	50	67
الزمر	﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى...﴾	60	137
فصلت	﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ........﴾	05	127
	﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ.....﴾	47	92
الزخرف	﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ......﴾	19	118
الشورى	﴿شَرَعَ لَكُم................﴾	13	87
	﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ.......﴾	37	200
محمد	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ.......﴾	12	210
	﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ......﴾	15	210
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ......﴾	25	204

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفتح	﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾	27	53
الطور	﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ..﴾	34	47
القمر	﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾	09	119
	﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ.......﴾	45	52
	﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ.......﴾	11	67
الرحمان	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ .....﴾	2-1	39
	﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ............﴾	31	89
	﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ........﴾	41	137
الحديد	﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ.........﴾	16	214
	﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ..........﴾	18	192
	﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ........﴾	23	195
المجادلة	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ..﴾	08	51
الصف	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ..........﴾	14	245
المنافقون	﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ﴾	04	40
الممتحنة	﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ﴾	09	116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التحريم	﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ .﴾	04	116
الجن	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ....﴾	26	148
المدثر	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ.........﴾ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ...﴾	5-1 51-48	170 100
القيامة	﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ ﴾ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ.........﴾	18-17 9-7	5-4 172
الانفطار	﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ ....﴾ ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾	07 19	175 92
المطففين	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ......﴾	31-29	106
الزلزلة	﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾	50	89
القدر	﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ....﴾	04	95

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
22	- ((أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك))
231	- ((فاديت نفسي))
227	- ((هذا مقام أبينا إبراهيم....... ....))
22	- ((يا جبريل إنّي بُعثت إلى أمّة أمّيين ....))
217	- ((أن يحلف على الشيء مرارا)).
166	-((أكُذبوا أم :كُذّبوا................................))
202	-((إنّ التبيّن من الله والعجلة من الشيطان فتبيّنوا))
207	-((سوّموا فأنّ الملائكة قد سوّمت))
241	-((نصدّ هؤلاء كما صدّونا ....))
245	-((أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ))
ب	-((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمَهُ))
244	-((كان القوم أعلم بالله عز وجلّ..................))
36	-((وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا سقط الناس وعجزهم))

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

الأعلام المترجم لهم	الصفحة
- محمد دراز	49
- إبراهيم بن سهل (الزجاج)	80
- إبراهيم بن هانئ (النظّام)	48
- أحمد بن أبي بزة المكي (البزي)	11
- أحمد بن إسماعيل (النحاس)	72
- أحمد بن عبد الدايم الحلبي السمين	190
- أحمد بن عبد الغني الدمياطي	16
- أحمد بن عبد الملك القسطلاني	7
- أحمد بن عمّار المهدوي	90
- إدريس بن عبد الكريم	15
- إسحاق بن عبد الله	15
- إسماعيل بن كثير	197
- الحسن بن رشيق	41
- الحسن بن سليمان (أبو علي الفارسي)	73

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الخليل بن أحمد الفراهيدي	136
- السيد قطب	56
- القاسم بن فيره الشاطبي	10
- الليث بن خالد (أبو الحارث)	14
- المفضل بن محمد الأصفهاني الراغب	36
- حفص بن المغيرة	13
- حفص بن عدي الدوري	12
- حمزة بن حبيب	14
- خلاد بن خالد	14
- خلف بن هشام البزّار	14
- روح بن عبد المؤمن	15
- زبّان بن العلاء (أبو عمرو البصري)	12
- سعيد بن مسعدة المجاشعي (الأخفش)	126
- سليمان بن جماز	15
- شعبة (أبو بكر)	13
- صالح بن عبد الله السوسي	12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عاصم بن أبي النجود	13
- عبد الحق بن عطية	110
- عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري	198
- عبد الرحمان بن زنجلة	64
- عبد الرحمان بن سابق الخضيري الأسيوطي	21
- عبد القادر بن عبد الرحمان الجرجاني	41
- عبد الله بن ذكوان	13
- عبد الله بن عامر اليحصبي	12
- عبد الله بن كثير	11
- عبد الواحد بن خلف الزملكاني	49
- عثمان بن سعيد (ورش)	11
- علي بن سعيد النوري الصفاقسي	8
- علي بن فيروز الكسائي	14
- عمرو بن قنبر الحارثي (سيبويه)	230
- عمرو بن محبوب (الجاحظ)	40
- عيسى بن وردان	15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عيسى بن وردان (قالون)	10
- محمد أبو زهرة	50
- محمد الأمين الشنقيطي	39
- محمد الطاهر بن عاشور	21
- محمد بن الأزهر أبو منصور	64
- محمد بن الجزري	7
- محمد بن الحسين الواسطي	48
- محمد بن العربي	21
- محمد بن المتوكل (رويس)	15
- محمد بن جرحة (قنبل)	11
- محمد بن جرير الطبري	5
- محمد بن جعفر الباقلاني	48
- محمد بن حيان الأندلسي	174
- محمد بن عبد الله الزركشي	16
- محمد بن عمر جلال الدين القزويني	42
- محمد بن فرح الأنصاري القرطبي	215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد بن منظور	38
- محمد بن وهب القشيري	17
- محمد رشيد رضا	27
- محمود بن أحمد الزمخشري	34
- مصطفى صادق الرافعي	22
- معمّر بن المثنى التّيمي	4
- مكي بن أبي طالب القيسي	19
- نافع بن أبي نُعيم الليثي	10
- نصر بن محمد (ابن أبي مريم)	69
- هشام بن مسيرة	13
- يحي بن إبراهيم العلوي	155
- يحيى بن منظور الديلمي الفرّاء	48
- يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني	15
- يعقوب بن إسحاق الحضرمي	15
- يوسف السكاكي	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

القائل	البيت	الصفحة
عمروبن كلثوم	- .... هجانِ اللونِ لم تقرأ جنينا	4
ابن الأنباري	- ألانَ فقد فرغتُ إلى نميرٍ فهذا حين صرتُ لهمْ عذابا	89
الفراء	- أمسك حِمارك إنه مستفِرٌ في إثرِ أحمِرةٍ عمَدن لغرَّبِ	101
أبوزبيد الطائي	- لهاصواهلُ في صم السِّلام كمَا صاحَ القسيَّاتُ في أيدي الصَّيارف	214
الأعشى	- فذاك ولم يعجز من الموت ربه ولكن أتاه الموت لا يتأبّق	34
طرفة	- فنفسك فانْـع ولا تنعني وداو الكلـــوم ولا تبـــرقِ	173
الأعشى	- وَدّع هريرةَ إنّ الركب مرتحلٌ وهل تُطيق وداعًا أيها الرجلُ	233

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.(مصحف المدينة للنشر الحاسوبي)

أولا - كتب القراءات وعلوم القرآن

- **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، لأحمد سعود أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط.ت.

- **أحكام القرآن**، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت.

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، د.ط.ت.

- **إعراب القراءات وعللها**، لأبي عبد الله الحسين بن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

- **إعراب القرآن**، لأبي جعفر محمد بن إسماعيل النحاس، اعتنى به: الشيخ خالد العلي، الطبعة الثانية، 1429هـ- 2008م.

- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، د.ط، 1429هـ _ 2008م.

- **الإقناع في القراءات السبع**، لأبي جعفر أحمد بن خلف الأنصاري بن الباذش، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1403هـ.

- **الإكليل في استنباط التنزيل**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت د.ط، 1401هـ1981م.

- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.

- **التبيان في علوم القرآن**، لمحمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م.

- **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م.

- **التفسير البياني في القرآن الكريم**، لعائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1966م.

- **التفسير الكبير**، لفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.

- **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني، مكتبة العلم، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1387هـ - 1967م.

- **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، حققه: بدر الدين قهوجي وبشير جويجالي، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م.

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط.ت.

- **الدر المنثور**، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1993م.

- **القراءات أحكامها ومصدرها**، لشعبان إسماعيل، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، سلسلة كتاب دعوة الحق، العدد 19، د.ط، 1402هـ-1982م.

- **القراءات وأثرها في علوم العربية**، لمحمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1998م.

- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1428هـ - 2007م.

- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ط.ت.

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ط.ت.

- **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، لمحمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.

- **الموضح في وجوه القراءات وعللها**، لابن أبي مريم، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، إشراف: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، جامعة أم القرى، السعودية، 1408هـ.

- **النبأ العظيم**، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1390هـ.

- **النشر في القراءات العشر**، لمحمد بن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.ت.

- **إملاء مامنّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، لأبي البقاء عبد الله بن عبد الله العكبري: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.ت.

- **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، لمحمد المختار ولد أباه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، 1422هـ - 2001م.

- **تحبير التيسير في القراءات العشر**، لمحمد بن الجزري، تحقيق ودراسة: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.

- **تسهيل علم القراءات الجامع لكل من طريقي الشاطبية والدرة والطيبة**، لأيمن بقلة، الطبعة الأولى، 1430هـ -2009م.

- **تفسير البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

- **تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار**، لمحمد رشيد رضا، تحقيق وتعليق: فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط.ت.

- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ- 1999م.

- **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ- 2009م.

- **تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، لأبي البركات عبد الله بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت_ لبنان، د.ط، 1405 هـ _1984م.

- **حجة القراءات**، لأبي زرعة عبد الرحمان بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1418هـ - 1997م.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ط.ت.

- **شرح الهداية**، لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط، 1415هـ .

- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، لمحمد بن الجزري، ضبطه وعلّق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1420هـ -2000م.

- **صفحات في علوم القرآن**، لأبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المكتبة الإمدادية، مكة، الطبعة الأولى، 1415هـ-1955م.

- **غيث النفع في القراءات السبع**، لعلي النوري الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.

- **في ظلال القرآن**، لسيّد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1397هـ-1977م.

- **قطف الأزهار في كشف الأزهار**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط.ت.

- **كتاب السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ط.ت.

- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، لشهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، طبعة القاهرة، د.ط، 1492هـ / 1972م.

- **مباحث في علوم القرآن**، لمنّاع القطان، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م.

- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1401هـ.

- **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: الحاج السيد باشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ط.ت.

- **من روائع البيان**، لمحمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الثالثة، 1392هـ.

- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: د. أحمد المعصراوي، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة، 1431هـ -2010م.

- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، لمحمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

- **منظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، لأبي القاسم بن فيره الشاطبي، تحقيق : أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، د.ط.ت.

_ **أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم**، لحورية عبيب، دار طليطلة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1433هـ _ 2012م.

ثانيا –كتب الحديث

- **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م.

- **الموطأ**، لمالك بن أنس، تحقيق: فؤاد محمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.ت.

- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992م.

- **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان- بيروت، د.ط.ت.

- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ط.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البوغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ /1987م.

- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاّج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.ت.

- **كتاب المصاحف**، لأبي بكر عبد الله بن أبي داوود، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

ثالثا- كتب المعاني

- **الإبانة عن معاني القراءات**، لمكي بن أبي طالب القيسي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ط.ت.

- **مشكل إعراب القرآن**، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، د.ت.

- **معاني القراءات**، لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة: د. عيد مصطفى درويش و د. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م.

- **معاني القرآن الكريم**، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م.

- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج، شرح وتعليق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م.

- **معاني القرآن**، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.

- **معاني القرآن**، لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ - 1983م.

- **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، لأبي العلاء الكرماني، تحقيق: د. عبد الكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.

- **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، د.ط.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا - كتب الإعجاز

- **إعجاز القراءات القرآنية،** لصبري الأشوح، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

- **إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين،** لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1974م.

- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،** لمصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر ، د.ط.ت.

- **إعجاز القرآن،** لأبي بكر الباقلاني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 2013م،.

- **الإعجاز البياني في القرآن الكريم،** لعمار ساسي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2007م.

- **الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،** لأحمد بن محمد الخرّاط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية - المدينة المنوّرة، د.ط، 1426هـ .

- **المعجزة الكبرى،** لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ط.ت.

- **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية،** لأحمد مصطفى متولي، دار بن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ _ 2005م.

- **تاريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر،** لنعيم الحمصي، قدم له الأستاذ محمد بهجة البيطار، دمشق، د.ط، 1374هـ _ 1955م.

- **دلائل الإعجاز،** لعبد القادر الجرجاني، شرحه وعلق عليه: د. محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ _ 2005م.

- **مباحث في إعجاز القرآن،** لمصطفى مسلم، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ-1996م.

خامسا - كتب البلاغة واللغة

- **أساس البلاغة**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط.ت.

- **أسرار البلاغة في علم البيان**، لعبد القادر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ _ 2002م.

- **الاشتقاق ودوره في نمو اللغة**، لفرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995م.

- **الاشتقاق**، لأبي بكر محمد بن دُريد الأزدي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م.

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق ودراسة: د.جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م.

- **الإيضاح في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني، شرح وتعليق:د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.

- **البيان والتبيين**، للجاحظ، تحقيق: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا _بيروت، د.ط، 1423هـ_ 2003م.

- **التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية**، لشفيع السيد، دار الفكر العربي، مدينة نصر- مصر، الطبعة الرابعة، 1415هـ-1995م.

- **الصبح المنير في شعر أبي بصير، ديوان الأعشى**، لميمون بن قيس الأعشى، مطبعة آدولف هلزهسين، د.ط، 1927م.

- **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ليحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، د.ط، 1222هـ- 1914م.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت_ لبنان، د.ط، 1414هـ - 1994م.

- **تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة، 1404هـ-1984م.

- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، لأحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان،، الطبعة السادسة، د.ت.

- **ديوان الأعشى الكبير**، لميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب، د.ط.ت.

- **ديوان طرفة بن العبد**، لطرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م.

- **ديوان عمرو بن كلثوم**، لعمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.

- **شذا العَرف في فنّ الصرف**، لأحمد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان، الرياض، د.ط.ت.

- **شعر أبي زبيد الطائي**، لأبي زبيد الطائي، تحقيق: نوري محمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد- العراق، د.ط.ت.

- **علم البيان _ دراسة تحليلية لمسائل البيان_** لبسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة _ مصر، الطبعة الثانية، 1425هـ_2004م.

- **فنون بلاغية، البيان _ البديع**، لأحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، 1395هـ _ 1975م.

- **كتاب الأضداد**، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، 1407هـ -1987م.

- **كتاب العين**، لأبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي مخزوم و د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ط.ت.

- **لسان العرب**، لأبي الفضل بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة، 1426هـ /2005م.

- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط.ت.

- **مفتاح العلوم**، ليوسف بن علي السكاكي، علّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ _1987م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا– كتب التراجم

- **الأعلام**، لخير الدين لزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة السابعة عشر، 2007م.

- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، لبنان – بيروت، د.ط.ت.

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر أحمد بن علي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ط، 1392هـ-1972م.

- **الفهرست**، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م.

- **المغازي**، لأبي عبد الله محمد بن واقد، تحقيق: مارسدن جونس، لبنان، بيروت، عالم الكتب، د.ط.ت.

- **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، 1420هـ/ 2000م.

- **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م.

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1384هـ- 1965م.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، 1387هـ-1997م.

- **سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذَهَبِي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط.ت.

- **طبقات المفسرين**، لأحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997م.

- **طبقات المفسرين**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1396هـ- 1976م.

- **طبقات المفسرين**، لمحمد بن علي شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **طبقات النحويين واللغويين**، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، د.ت.

- **غاية النهاية في طبقات القراء**، لمحمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.

- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م.

- **معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، استانبول، د.ط، 1416هـ- 1995م .

- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ط.ت.

سابعا- كتب أخرى

- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبو حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م.

- **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، لمحمد الغزالي، طبعة دار الشروق، د.ط.ت.

- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1430هـ -2009م.

- **مقاصد الشريعة ومكارمها**، لعلال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 1411هـ- 1991م.

- **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، لعبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م.

- **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: عبد الله بن ثابت الحميري، طبعة مكتبة الرشد، د.ط، 2006م.

ثامنا– الدوريات والرسائل العلمية

- **الدرس البلاغي عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، لرابح دوب، أطروحة دكتوراه، سنة 1994م.

فهرسُ الموضوعات

المقدّمة...أ/ز

الباب الأولُ: ماهيةُ القراءاتِ القرآنيَّة والإعجازُ القُرآني

الفصل الأول: القراءات القرآنية ومقاصد القرآن...........................31/2

المبحث الأول: حقيقةُ الاختلافِ بين القراءاتِ وفائدتُه........................24/3

المطلب الأول: التَّعريفُ بالقرآنِ والقراءاتِ.......................................15/4

أولا- تعْريفُ القرآنِ...6/4

ثانيا-تعريفُ القِراءاتِ والقرّاء العشْر 15/7

أ- تعريف القراءات...7

ب-الفرق بين القراءة الصحيحة والقراءة الضعيفة...............................8

ج- الفرق بين القراءة والراوي والطريق والخلاف الواجب والجائز..................9/8

د- تعريف القرّاء العشر ورواتهم...15/10

المطلب الثاني: عَلاقةُ القِراءاتِ بالقرآنِ وفَوائدُ اختلافِها..........................24/16

أولا-علاقةُ القراءاتِ بالقُرآن..18/16

ثانيا-فوائدُ اختلافِ القِراءات...24/19

1- أسبَابُ اختلافِ القِراءاتِ القُرآنيّة...20/19

2- فوائدُ اختلافِ القراءاتِ..24/21

المبحث الثاني: مقَاصدُ القُرآنِ..31/25

المطلب الأوّل: التّعريفُ بمقاصدِ القرْآن 27/26

أولا- تعْريفُ المقاصِدِ...26

ثانيا- تعْريفُ مقاصدُ القرآنِ..27

المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند العلماء. 31/28

الفصل الثاني : الإعجَازُ القرآني وأنواعُه....................................58/32

المبحث الأول: الإعجازُ والبيَانُ...44/33

المطلب الأول: تعريف الإعجازُ والمعجزة...37/34
أولا – تعريفُ الإعجَازِ...35/34
ثانيا- تعريفُ المعجزَة...37/36
المطلب الثاني: تعريف البيانُ...44/38
أولا- تعريفُ البيَان..43/38
ثانيا- تعريفُ الإعجَازِ البَياني..44
المبحث الثاني: أنواعُ الإعجَازِ القُرآني..58/45
المطلب الأول: الإعجَازُ البيَاني..49/47
المطلب الثاني: الإعجَازُ الغَيبي...53/50
المطلب الثالث: الإعجَازُ التشرِيعي...55/54
المطلب الرابع: الإعجَازُ العلمِي...58/56

البابُ الثاني: مظاهر الإعجاز البياني في القراءات في السور المكية و السور المدنية.

الفصل الأول: الإعجازُ البيَاني في السورِ المكيَّة................................177/60
المبْحَثُ الأوّلُ: الاختلافُ الواردُ في الأسماءِ وَالأفعالِ الجامدةِ والمشتقَّةِ.........123/61
المطلبُ الأوّلُ:الأفْعَالُ التِي يَرجعُ الاخْتِلاَفُ فِيها إلى أصْلِ الاشْتقَاقِ. 84/62
المطلَبُ الثاني: الأفْعالُ التِي يَرجعُ الاخْتلافُ فِيهَا إلى نَوعِ الاشتقَاقِ.................**87/85**
المطلَبُ الثَّالِث: وُقوعُ الكَلمَةِ بينَ المَاضِي المبْني للفاعِل، وَالمبْني للمَفعُولِ **90/88**
المطلَبُ الرَّابع: وُقوعُ الكَلمة بَين المضارِعِ المبْني للفَاعِل وَالمبْني لِلمَفْعُول..................**99/91**
المطلبُ الخامِس: وقوعُ الكَلمَة بينَ اسْم الفاعل واسْم المفعُول...................**102/100**
المطلبُ السَّادس: وقوعُ الكَلمَة بين اسْم الفاعِل والصِّفة المشبَّهة..................**108/103**
المطلَبُ السَّابع: وُقوعُ الكَلِمة بَيْن صِيَغ مُختلِفَةٍ...**120/109**
المطلب الثامِن: وقوع الكلمَة بين التذْكيرِ والتأنِيث................................**123/121**
المبحث الثاني:الاختلافُ في العَاملِ النحْوي.......................................153/124
المبحث الثالث: الاختلافُ في صورِ الالتفاتِ والجانب الصرفي.....................177/154
المطلبُ الأوَّلُ: الاختلافُ في صُور الالتفاتِ....................................160/155

المطلبُ الثاني: الاختلافُ في الجانبِ الصَّرفي...................................177/161
الفصل الثاني: الإعجَازُ البيَاني في السورِ المدنيَّة.............................262/178
المبْحَثُ الأوّلُ: الاختلافُ الواردُ في الأسماءِ وَالأفعالِ الجامدةِ والمشتقَّةِ.......238/179
المطلب الأول: الأفعَال التِي يَرجع الاختلاف فيها إلى أصلِ الاشتقاقِ................197/180
المطلبُ الثاني: الأفْعَالُ التي يَرجعُ الاختلاَفُ فيهَا إلى نوعِ الاشْتقاقِ................203/198
المطلب الثالث: وقوعُ الكَلمَة بينَ الماضِي المبني للفاعِل والمبني للمفعُول..............206/204
المطلبُ الرابع: وقوعُ الكلمَة بينَ اسمِ الفَاعل وَاسمِ المفعُول..........................212/207
المطلبُ الخامس: وُقوعُ الكلِمة بينَ اسمِ الفاعِل وَالصِّفة المشبَّهة......................215/213
المطلبُ السادس: وُقوعُ الكلِمة بينَ اسْم الفَاعلِ وأمثِلةِ المبالَغَةِ.........................219/216
المطلبُ السابع: وُقوعُ الكَلمة بَين المفردِ والجمْعِ...225/220
المطلَبُ الثامن: وُقوعُ الكَلمَة بَينَ الماضِي وَالأمْر..228/226
المطلبُ التاسع: وُقوعُ الكَلمَة بيْنَ صِيَغ مُختلفَةٍ..238/229
المبحث الثاني :الاختلافُ في العاملِ النَّحوي...249/239
المبحث الثالث: الاختلافُ في صورِ الالتفاتِ والجانب الصرفي.......................262/250
المطلب الأول: الاختلافُ في صُور الالتفاتِ...253/251
المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب الصرفي...262/254
الخاتمة...266/263
الفهارس الفنية...267
فهرسُ الآياتِ القرآنية 279/268
فهرسُ الأحاديثِ النبوية...280
فهرسُ الأعلامِ...285/281
فهرسُ الأشعار 286
فهرسُ المصادرِ والمراجع...297/287
فهرسُ الموضوعاتِ...300/298

مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

يَدرسُ هذَا البحث جوانب من أسرارِ الإعجاز البيَاني في ضَوءِ القراءاتِ القرآنيةِ حيثُ حوى على ستة وستين كلمة قرآنية ورد فيها إعجاز بياني، ويحاول أن يستجلي منَاحي الإعجازِ فيها من جرّاءِ اختلافِ حُروفِها. معززا بذلك بُحُوثَ الإعجازِ القرآنِي، ومبرزا المعَاني والدَّلالاتِ التي تحمِلهَا اللَّفظةُ القرآنيَّة من جرّاءِ هذا الاختلاف الذي يتَّصل بأغْوارِ اللُّغة والبَلاغةِ أكْثرَ ممّا يتَّصِلُ باختلافِ اللَّهجَات العربيَّة، ومبيّنا في الأخير الخصائص البيانية التي تمتاز بها السور المكية والمدنية.

كمَا يدرسُ البحْث المقاصدَ القرآنيّة في ضوءِ هذا الاختلاَف، ويحاول أن يستجلي المقاصِد الجزئيَّة المتفرّعَة عنهَا وإضافتها لمقاصدِ القُرآن، مع إبرازِ أنوَاعها وفقَ تقسيمِ ابن عاشُور لمقاصدِ القرآن.

وَقدْ قُسّم البحثُ إلى مُقَدّمَةٍ وبَابين وَخَاتمة، تناولَ الباب الأوّل مَاهيَة القِراءاتِ والإعجَازِ وقسّم إلى فَصْلينِ، كلّ فصلٍ يضمّ مبحثين، وكلّ مبحث يحتوي على مطالب. أمَّا البابُ الثاني فكَانَ الحديثُ فيهِ عن الإعجَازِ البياني في القِراءاتِ القُرآنية في السُّور المكيَّة والسُّورِ المدنيَّة، وقسّم بدورِهِ إلى فصلينِ، وقدْ أَدّت طَبيعةُ البَحثِ أَن يَكُون مُقسّمًا إلى مباحث ومطالب تختلف من حيثُ العدَد بينَ الفصلِ الأوّلِ والفصْل الثاني، وَكَانَ ذَلكَ بَعْدمَا صُنِّفَتِ القِراءاتُ المختَارةُ، وَأُنشأتْ هَذهِ المباحِثُ والمطالب وِفقَها. وعُنيت فيه بإبرازِ الإعجَاز البياني والمقاصد مِن خلالِ تنوّع القراءات القرآنية كتنوّع القِراءات في الكلمَة الواحدة بين المفرد والجمع، وبين اسم الفاعل والصّفة المشبّهة وأمثِلة المبالغة، وبين التذكِير والتأنيث، وبين اسمِ الفَاعل واسم المفعُول، وبين الماضي المبني للفاعل والمبني للمفعول، وبين المضارع المبني للفاعل والمبني للمفعول، وبين الماضي والأمْر ...الخ

وخلُصَ في الأخير أنَّ الإعجازَ القرآني بوجوهه دائمٌ لا ينقطع، وأنَّ الإعجاز البياني هو أوضحُ وأظهرُ هذه الوجوه، وأنّه يتحقّق في ضوء القراءات القرآنية حيث تجلّت مظاهره في صور بلاغية تمثّلت في محتوى البحث ومطالبه، وكان أكثر بيانا ووضوحا في السور المكية منه في السور المدنية. كما يُصاحب الاختلافَ الوارد في القراءات خصائصَ بيانيةً متميّزةً تنمُّ عن سعة القراءات القرآنية وخصائصِها البيانيّةِ المتعدِّدة، والتي يمكن إضافتها إلى خصائص القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني. ضف إلى أنّه يحمل مقاصد جديدة يمكن إضافتها لمقاصد القرآن الكريم، التي أكّدت أنواعها الموجودة في السور المكية والمدنية الخصائص التي تكلّم عنها العلماء الخاصة بالسور المكية والمدنية.

كلّ هذه الخصائص البيانية والمقاصد القرآنية جاءت نتيجة الاختلاف البياني في اللفظة القرآنية، ممّا يبيّن قيمة الإعجاز البياني الذي لا يزال يثري هذين الموضوعين بالمعاني المستنبطة منه جرّاء الاختلاف الوارد في القراءات، وما على الباحثينَ إلا الاهتمام ببيانِ أوجهِ الإعجازِ البياني في القراءات القرآنية، وإخراج هذا التراث للفائدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résume

Cette recherche à pour but l'étude des c otes et des sevrets des (Miracles graphiques et linguistiques du saint coran sous la lumière des differntes lectures coraniques) qui contient soisante six 66 termes coraniques en référence avec les miracles graphiques et lin guistique du saint coran. Ainsi notre recherche a pour objectif de mettre en relief les miracles de la parole dévine au niveau linguistique et lexicolagique notre recherche s'ajoute donc aux différentes études dans ce domaine au niveau sémantique et réthorique selon les différents dialectes arabes et les caracteristiques graphiques et linguistiques des versets cad les sourates mekites et madanites .

Parailleurs notre travail vise l'étude objective linguistique lecturelle et leurs ramifections selon la répartition dibn achour.

Quant au plan adopté ou dit exposé il se répartit en trois axes un préambule ensuite une analyse enfin une conclusion. Se premier chapitre vise à montrer l'essence des lectures coraniques et les miracles qui s'y attachent le même chapitre se répartit en deux volets et chacun comporte deux une recherches une doléance . En outre le deuxième chapitre traitera du miracles graphique et linguistique dans les sourates mékites et madanites chapitre divisé aussi en deux volets une recherche et une doléance qui se defférencient en nombre entre le premier chapitre et le deuxième chapitre selon la répartition des lectures choisies.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Enfin nous sommes arrires à la condusion que les miracles avec sa dynamique éternelle restera infinie qui se révéle à travers les différentes lectures mise en relief par les images réthoriques développées dans les objectifs de la dite recherche et cela était plus évident et clair dans les sourates mekites et madauites .

Aussi accompagné à cela les spécificités linguistiques exeptionnelles et l' imensité des lectures coraniques et ses proprietés langagières imomlrables qu' il faut ajouter aux caracteristiques du saint coran dans les deux volets mekites et madauites ,en plus il faut ajouter de nouvaux objectifs ceux du coran mekites et madauites dont les savants se sout peuchés sur eux.

Toutes ces différences des caracteristiques graphiques et linguistiques et leurs objectifs sont le resultat des diversités langagières coraniques ce qui démontre le miracle graphique et linguistique par excellence qui donne matière de recherche et enrichit le sujet , reste aux spécialistes en la matière de mettre en lumière cette réserve inépuisable langagière , graphique et linguistique.

Abtract

This research studies some parts of the inimitable secret elequonce and good style in the light of coranic readings , in which sixty six 66 words contain inimitable quoranic good style.it also studied this inimitability from the difference in its letters; showing therefore the meanings of the quoranic word which is more likely linked to Arabic language rather than Arabic dialects throwing light by the end on the specificity of madani as well as maqui surat.

The research also studies the legal objectives in quoran and an attempt to give its different types according to ibn achour 's division .

The reaserach is divided into an introduction ,2 chapters and a conclusion.the first chapter focused on the definition of the coranic readings and its inimitability ;it is composed of two parts and each part is also subdivided to 2 categories.the second chapter is interested in the study of quoranic inimitability in madani and maqui surats.

It concluded that this good and inimitable miraculous quoran is continous and ceaseless and that the miraculous side is clear in good style and eloquence and it can be felt in quoranic readings which are clearly seen as rethoric images find in this research; this good style is more present in maki sourat rather than madani ones.

All these specific legal objectives and specific linguistic eloquence find in coran resulted from the difference in coran words and their meanings which shows the greatness of this inimitable style find in coran due to different readings ;and readers and researchers should focus and throw light on this side and bring it to society with all its benifits.

The People’s Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Emir Abd-el-Kader University Of Islamic Sciences Constantine
Faculty of Usūl al-Dīn
Department Of kitab and sunna
Specialty : interpretation and quran sciences

Serial Number:…………
Registration Number:………….

The illustrative inimitability in the light of the Quranic recurrent recitations

Thesis presented to get Scientific Doctorate LMD

Specialty: interpretation and quran sciences

Elaborated by the student:
Benallal Hamza

Supervised by the Professor :
Abed Rahmen Maachou

Discussion Committee

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
Eljamai Chbaiki	President	Professor	Emir Abdelkader University
Abed Rahmen Maachou	Supervisor and Reporter	Professor	Emir Abdelkader University
Radoine Larchine	Member	Professor	Emir Abdelkader University
Zakaria Tounani	Member	Professor	Emir Abdelkader University
Aissa Bouakaze	Member	Professor	Batna University
Mahdi Dehime	Member	Professor	Algiers University(1)

University year: 1437 - 1438h / 2016-2017

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية